

تاريخ مدينة الطرير للفنون الشعبية

في العصر العباسي

(منذ إنشاءها حتى استيلاء المرابطين عليها)

٣٤٥ - ٤٨٤ / ٩٥٥ - ١٠٩١ م

تصدير

دكتور السيد عبد العزيز سالم

أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

تأليف

دكتور محمد أحمد أبو الفضل

مدرس التاريخ الإسلامي والحضارة

كلية التربية - جامعة طنطا



الهيئة المصرية العامة للكتاب
فرع الإسكندرية

اهداءات ٢٠٠٢

ا.د/ أسامة محمود غنيم

الاسكندرية

تاريخ مدينة الطبرية (الطبرية)

في القرنين الثاني والثالث للهجرة

(منذ إنشاءها حتى استيلاء المرابطين عليها)

٣٤٤ - ٤٨٤ هـ / ٩٥٥ - ١٠٩١ م

تصدير

دكتور السيد محمد الغزالي

أستاذ التاريخ الإسلامي والمحاضرة
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

تأليف

دكتور محمد أحمد أبو الغنم

مدرس التاريخ الإسلامي والمحاضرة
كلية التربية - جامعة طنطا

١٩٨١



الهيئة المصرية العامة للكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ عِلْمٍ
إِلَّا قَلِيلًا

صدق الله العظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

تصلح

اهتم فريق من مؤرخي الإسلام بتسجيل محاسن مدنيهم التي نشأوا فيها
وخواصها ، وتخليد مآثر بلادهم وفضائلها ، وإبراز مناقب علمائها والمتفقيين
من أعلامها ، اعزازاً بأوطانهم ، وتعبيراً عما أدت عن ارتباطهم بأراضيهم ، وتوصيلاً
واضحاً لأقاليهم . وقد اصطلاح على تسمية هذا اللون من الكتابة التاريخية في علم
التاريخ بالتاريخ المحلي الذي يعرفونه بأنه وليد الشعور بالقومية والتعصب
للإقليمية . ومن المعروف أن أقدم أمثلة الكتابة في التاريخ المحلي في المشرق
الإسلامي تتمثل فيما كتبه أحمد بن أبي طاهر طبريزي (ت ٢٨٨ هـ) عن تاريخ
بغداد ، وعمر بن شبة (ت ٢١٣ هـ) عن ختلط البصرة . وأن أقدم أمثلة في
الاندلس كتاب في حنة قرطبة رحاها ونارل الاعبان بها لأحمد بن عيسى
الرازي (ت ٢٢٤ هـ) .

وقد لفت الكتابة في التاريخ المحلي أقبالاً كبيراً من جانب مؤرخي
الاندلس لأن بلاد الاندلس تسمير جبل كل شيء بتسوع وانحسج في طبيعتها
الجغرافية ، سواء من حيث السطح أو المناخ أو البيئة نفسها بحيث وضج
الاختلاف في سائر كورها وأقاليمها ما نسب عليه النزوع إلى الانتزاع ، والميل
إلى الاستلاخ عن الحكومة المركزية ، وهي ظاهرة واضحة عبر حقب التاريخ
الإسلامي ، وساء ذلك على قيام أكثر من عصور الاريالات المنقطعة - إذا
صحت هذه التسمية - أو طالع على ميتها دون تار البناء الف ، ما كان يتم
إدماجها في الحكم المركزي في كل مرة إلا في الترات التي تظهر فيها شخصية
قوية ، كالشأن في شخصية عبد الرحمن بن عبد العزيز في دولة المرابطين
أو دولة الموحدين ، ولعل ذلك يفسر إلى حد كبير الاختلاف الواضح في

العوادات والتقاليد وحتى في اللسان واللهجات في مختلف أقاليم أسبانيا في وقتنا الحاضر ، كالجلافة ، والبشكنس ، والقطلان ، والبلنسين ، وأهل الجنوب ، فكل من هؤلاء لغته أو لهجته الخاصة ، وهذا يوضح ظاهرة الانفصالية التي تسود اليوم في أقاليم أسبانيا وترتب عنها حتى الآن قيام دولة قطلونية ودولة الباسك .

وإذا كان مؤرخوا الأندلس قد صرفوا اهتمامهم إلى التفاخر ببلدهم الأندلس وذكر أخباره ، في كتاباتهم الاهتمام بتاريخه ووصف جغرافيته وتسجيل مآثره ، بحيث أصبحت عناوين مصنفاتهم تدور حول اسم الأندلس .

كاشان في الامثلة الآتية : الديان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب لابن هنادي

تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية القرطبي

تاريخ ملوك الأندلس لابن القرضي

الصلة في تاريخ أمّة الأندلس لابن بشكوال

الغزيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام الشنقيبي

المقتبس من انباء أهل الأندلس لابن حيان

مطبخ الانفس ومسرح الناس في ملجأ أهل الأندلس لابن خاقان

جقاوة المقتبس في ذكر رجال الأندلس لحميدى

بنية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس للضي

فرحة الأندلس في تاريخ الأندلس لابن غالب

فإن ظاهرة الكتابة في تاريخ مدن الأندلس لم تكن واضحة بنفس وضوحها بالنسبة لبلد الأندلس ، فقد كان مؤرخوها الأندلس ، رغم اعتزازهم باقلينتهم لا ينزعون كثيرا إلى التفاخر بمدنهم ، وإذا كان لا تعرف عن كتب كتاباتهم في هذا المجال سوى الامثلة الآتية :

- صفحة قرطبة وخططها ومنازل الأعيان بها ، لاحمد بن محمد الرازي
تاريخ قضاة قرطبة ، لاخشني
تاريخ بلنسية المعروف بكتاب البيان الواضح في الملم القادح لمحمد بن
علقمة
تاريخ مالقة لابن عبد الله بن عسكر وأتمه ابن أخيه أبو بكر بن
خمس
تاريخ علماء البيرة لابن القاسم محمد بن عبد الواحد العافق الملاحي
تاريخ شقورة لابن ادريس
الاعلام بمحاسن الأعلام من أهل مالقة لابن العباس أصبغ بن العباس
الاحتفال في أعلام الرجال (تاريخ قرطبة) لابن بكر الحسين بن محمد
ابن مفرج
تاريخ الرؤساء والفقهاء والقضاة بطليطلة لابن جعفر بن مظاهر
تاريخ فقهاء قرطبة لابن حيان
تاريخ الجزيرة الخضراء لابن حسين
تاريخ قلعة محصب المسمى بالطالع السعيد لابن الحسين بن سعيد
تاريخ بقيرة لابن عبد الله بن المؤذن
الدرة المكنونة في أخبار أشبونة لابن بكر بن محمد بن ادريس العزابي
الغالوسي
مزية المرية لابن جعفر أحمد بن خاتمة الأنصاري
تاريخ المرية وباجة لابن البركات بن الحاج
غير أن مؤرخي إسبانيا المحدثين على خلاف مؤرخي الأندلس المسلمين
أولوا الكتابة في تاريخ المدن الإسبانية جانباً كبيراً من غنايتهم بدافع الشعور

بالإقليمية فأسرفوا في ذلك إسرانا نعر عنه كثرة متذاتهم الإقليمية عن مدن إسبانيا في العصر الإسلامي أو ع-ير حقب التاريخ بحيث أصبحت مكتبة المدن الإسبانية نظم مثانا من الكتب ، وفيها يلي أمثلة لبعضها :

1 - Arellano, Historia de Cordoba

(آريانو ، تاريخ قرطبة)

2 - Francisco Rios, Zúñiga

(فرنشيسكو ريوس ، سرقسطة)

3 - Gilen Robles; Malaga Musulmana

(جيلين روبليس ، مالقة الإسلامية)

4 - Gaspar Remiro, Historia de Murcia Musulmana

(جاسبار ريميرو ، تاريخ مرسية الإسلامية)

5 - Huici Miranda, Historia Musulmana de Valencia

(أويشي ميراند ، تاريخ بلنسية الإسلامية)

6 - Chabas, Historia de la ciudad de Denia

(شاباس ، تاريخ مدينة دانية)

y - Tapiaga rillo, alheria Musulmana

(تاييا جاريدو ، المرية الإسلامية)

كما صدرت لبعض مؤرخي العرب المحدثين دراسات عن مدن أندلسية ، دفعهم إلى الاهتمام بتأليفها ، اعجابهم الشديد بتاريخ هذه المدن في العصر الإسلامي ، أو حرصهم على إبراز أنجاد إسلامية تكن في هذا التاريخ ، ومن أمثلة هذه الكتب :

تاريخ مدينة المرية الإسلامية فاضله أستاول الأندلس للدكتور

السيد عبد العزيز سالم

فرطبة حاضرة الخلافة الأموية في الاندلس ، لنفس المؤلف
مملكة سرقسطة في عصر الطوائف للدكتور عفيف الترك
مملكة غرناطة في عهد عهد الخامس للدكتور أحمد مختار العبادي

* * *

والكتاب الذي بين يدي القارئ كتاب في التاريخ المحلي الاندلسي ،
والذات في تاريخ مدينة أندلسية هي المرية ، كان لها دور عسكري واقتصادي
هام في التاريخ الاسلامي ، ولم يكن هذا الكتاب وليد نهج وور بالتفاخر
القومي ولا التعصب للأرض وإنما جاء ثمرة دراسة مستفيضة لقرع في
التاريخ الاسلامي لم يحظ بهد بالاهتمام الذي يستحقه ، وأعنى به تاريخ
الاندلس الذي تهز أحداثه النفس ، وتستثير حضارته مشاعر متداخله من
العزة والذخار والحزن والأسى على أمجاد إسلامية بادت ودفنت ، وعن
فردوس أصيل فقدناه ، وترات شاخ نذرف عليه الدموع .

فلقد افقت نظر الدكتور محمد أحمد أبو الفضل ، مؤلف الكتاب ، الدور
الهام الذي تمثله المرية الإسلامية منذ نشأتها في عصر الخلافة حتى دخولها في
فلك دولة المرابطين ، على الصعيدين السياسي والاقتصادي ، وأفاد من البحث
القيم الذي صدر في مجلة الاندلس لعالم الآثار الإسلامية الإسباني أستاذي دون
ليوبولدو توريس بلباس عن المرية الإسلامية ، وهو بحث اهتم فيه بوجه
خاص بدراسة الجانبين الطبوغرافي والاثري ، كما أفاد من كتابي الموسوم
بتاريخ مدينة المرية الإسلامية قاعدة أسطول الاندلس الذي أبرزت فيه
أهميتها كقاعدة لأساطيل الاندلس في عصر الخلافة ، وأهميتها الاقتصادية
كمحطة رئيسية للتجارة الخارجية مع نفور العالم الاسلامي والغرب الأوروبي ،
وحالقه التوفيق في التوصل إلى حقائق جديدة بفضل ما كان يعثر عليه من

اشارات طبوغرافية أو تاريخية متناثرة هنا وهناك في بطون المصادر الجغرافية وكتب التراجم وفي دواوين الشعراء وكتابات الأدباء ، وبفضل غوصه إلى أعماق النصوص التاريخية ومنهجه القائم على التحليل والاستنباط ، وبفضل هذه الحقائق نجح الدكتور أبو الفضل في الكشف عن كثير من غوامض تاريخ المرية وفي تسليط الضوء على دورها الكبير في التاريخ والحضارة .

أختار الدكتور محمد أبو الفضل لدراسة التاريخ السياسي للمرية فترتين من أزهى عصورها : الاول عصر الخلافة ، والثاني عصر دويلات الطوائف ، وقد لعبت المرية خلالها ، وعلى الأخص زمن الطوائف ، دوراً سياسياً رائداً في أحداث الاندلس واستطاع ملوكها في هذا العصر أن يجنبوها ربحي الفتنة الطاحنة والاضطراب الداخلي والخارجية ، كما حرصوا على أن يسودها الاستقرار والأمان ، وعملوا على رعاية الفنون والآداب ، فتألفت الحياة العلمية والأدبية والثرنية في هذا العصر تألقا تشهد به الأعداد الكبيرة من العلماء الذين أنجبته المرية ، والتوسع العمراني الذي شهدته المرية في هذا العصر ، والمنشآت الجليلة التي أقيمت بوجه خاص في عهد بني صمادح .

ولقد وفق الباحث غاية التوفيق في تبويب البحث وتقسيم عناصره ، فخصص قسماً من الدراسة لتاريخ السياسة منذ قيام المرية في عهد عبد الرحمن الناصر سنة ٢٤٤ هـ حتى دخولها في فلك دولة المرابطين في سنة ٤٨٤ هـ ، وخصص القسم الآخر لدراسة بعض مظاهر الحضارة ، واهتم في هذا القسم الأخير بإبراز الجانب العمراني والإنشائي من جهة ، والجانب الاقتصادي من جهة ثانية ، والجانب العلمي من جهة ثالثة ، والحق لقد بذل جهوداً مضمينة مستهدفاً عرض صورة أقرب ما تكون إلى الوضوح لمدينة المرية الإسلامية حتى بداية عصر المرابطين سواء من حيث سرده للأحداث

— ك —

التاريخية التي مرت بها المدينة ، أبرز من حيث تتبعه التطور العمراني الذي تعرضت له المدينة منذ قيامها ، وأهم الآثار الباقية من العصر موضوع الدراسة ، هذا إلى عرضه الرائع لمؤومات الثروة الاقتصادية ، وتاريخه الدقيق للنهضة العلمية .

وبعد فيسرنى أن أقدم إلى القارئ العربي وإلى الباحثين في الدراسات الأندلسية أولى الثمرات العلمية التي قدمها الدكتور محمد أحمد أبو الفضل في هذا المجال ، وهو مجال بكر يحتاج إلى جهود ضخمة ومتضافره من المتخصصين ، والكتاب دراسة جادة وإضافة لثمها قيمتها في تاريخ الإسلام في الأندلس وتاريخ الحضارة الإسلامية عامة ، وأسأل الله تعالى أن تكون هذه الدراسة فاتحة إنتاج خصب في تاريخ الأندلس في العصر الإسلامي ، وأن يتابع الدكتور أبو الفضل بحوثه القيمة في هذا المجال والله الموفق .

الاسكندرية في ١٩ / ١٠ / ١٩٨١

دكتور السيد عبد العزيز سالم

أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة

، كلية الآداب جامعة الاسكندرية

مقدمــــــــــــــــة

أولاً : موضوع البحث ومنهج الدراسة

ثانياً : عرض لأهم مصادر البحث

أولاً : موضوع البحث ومنهج الدراسة

المريّة ، مدينة إسلامية البناء محدثه ، أنشأها الخليفة عبد الرحمن الناصر في سنة ٣٤٢ هـ (٩٥٥ م) ، ولم يأل جهداً في تحسينها والاهتمام بشئونها ، وقدر هذه المدينة الاندلسية أن تلعب دوراً هاماً في تاريخ الاندلس ، فقد كانت أعظم قواعد الاسطول الاندلسي في عصر الخلافة الأموية وعصر الطوائف ، كما أنها كانت المركز الأول للتجارة البحرية مع أقطار البحر المتوسط الغربي والشرقي في آن واحد كذلك لعبت المريّة دوراً سياسياً وحضارياً هاماً في عصر الطوائف .

والواقع أن الذي دفعني إلى إختيار « تاريخ مدينة المريّة الاسلاميه حتى استيلاء المرابطين عليها » ، موضوعاً للبحث احساسى بخطورة الدور الذي كانت تؤديه هذه القاعدة البحرية الحربية والتجارية واهميته في تاريخ الاندلس بوجه عام وتاريخ البحرية الإسلامية بوجه خاص باعتبارها باب الشرق ومنفذ تجارتها البحرية مع أقطار العالم الاسلامي الشرقي وأقطار المغرب الإسلامي على السواء ، هذا بالإضافة إلى فلة ما كتب في هذا الموضوع ، الأمر الذي شجعتني على اختياره والبحث فيه عسى أن أتوصل الى حقائق جديدة ، حقيقة ان الكتابات المباشرة في هذا الموضوع قليلة . إذ لم نجد ان أول من كتب موضوعاً متكاملًا عن مدينة المريّة هو المستشرق الألماني لستاد

ليوبولد وتوريس بلباس الذى اعد دراسة قيمة مركزة عن المربه فى العصر الإسلامى بعنوان « Almeria Islamica » (١) . ولكن هذه الدراسة رغم جدتها واصالتها مقتضبه وتنقصها المادة التاريخية إذ اورد صاحبها معظم صفحات البحث للدراسة الاثرية . ويليه فى قائمة الباحثين استاذى الدكتور السيد عبد العزيز سالم الذى خصص لتاريخ المربه مصنعا فأثما بذاته بعنوان « تاريخ مدينة المربه الاسلامية قاعدة اسطول الاندلس » ، اشتمل على دراسة تاريخ المربه دراسة كاملة ، مع رسم صورة متكاملة عن حضارتها فى العصر الإسلامى ، أما غيرها من المحدثين فبحوثهم تنسم بأنها بحوث عامه غير مخصصه ، فكل ماكتبوه عن تاريخها وآثارها لا يعدو ابجاثا قصيرة متفرقة ويتصدر المستشرق الاسبانى دون ليوبولدو توريس بلباس قائمة هؤلاء الباحثين لكثرة دراساته عن المدق الاندلسية ، هذا غير ابجاث عديده متفرقة للمستشرق الهولندى رينهارت دوزى والمستشرق الفرنسى لى بروفنسال وغيرهم .

وبالاضافه إلى قلة الابجاث التى أجريت حولها أجتذبت هذه المدينة اهتمامى بآثارها الحربية والدينية الكثيرة وماضيها الحافل بالأحداث خاصة فى العصر الاموى وعصر الطوائف وهما العصران اللذان لعب فيها المربه . ورأيت ان أعد رسالتى عن تاريخ المربه وحضارتها لحقه حددتها من قيام المدينه حتى دخول المرابطين الاندلس مع إبراز أهمية الدور الذى لعبته هذه المدينه فى تاريخ الاندلس .

(1) Torres Balbas (Leopoldo) : Almeria Islamica. al-Andalus. Vol XXII 1957 .

ولقد وضعت منذ البداية هدفين أساسيين حاولت من خلال بحثي ان اصل اليهما أولهما ، إبراز دور المربة واهميتها في عصر الطوائف ، وثانيها ، إجلاله الصورة الحضارية للمربة سواء على الصعيد الاقتصادي او الفنى او العلمى ، متبعاً في كل ذلك المنهج العلمى فى كتابتى لهذا البحث القائم على المقابلة بين النصوص وتحليلها وأستنباط النتائج والحقائق التى يمكننى ان انى عايتها دلائل الرسالة ، ولتحقيق هذين الهدفين بذلت قصارى جهدى لاجلاء الصورة مستعيناً فى ذلك بعدد كبير من المصادر العربية التى تعرضت من قريب أو من بعيد لموضوع الدراسة ، ومعظمها لا يعدو بحوثنا تاريخية تسجل أحداثاً وحوليات تتضمن روايات المؤرخين لم نصل إلينا كتبهم كالشأن فى كتاب « الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة » لابن بسام الشنترينى ، الذى حوت كتاباته الأدبية مائة تاريخية هامة للمؤرخ الكبير ابن حيان وكان معاصراً لقرن ، الى يدور حولها موضوع الرسالة وعلى الاخص كتابه الكبير المفقود « المتن » .

ولقد قسمت البحث إلى بابين رئيسيين ، الأول : خصصته للتاريخ السياسى ويتضمن هذا الباب ثلاثة فصول ، افردت أولها ، لتأسيس مدينة المربة واهمية موقعها ، تحدثت فيه عن تأسيس المدينة ، ثم عن جغرافيتها ، وسبب تسميتها بالمربة ، وارتباط تاريخ بناء المربة بمدينة بجاية ، مع عرض سريع لتقسيم بجاية وتعميرها واتساع روعتها بعد تولى البحريين زطامنها ، واهم آثارها المعمارية إلى ان اول نجم بجاية وازدهرت المربة . ثم استعرضت السياسة البحرية للدولة واهمية العلاقات على سواحل الأندلس وخاصة رباط المربة ، كذلك تكلمت عن اثر غارات النورمان على سواحل الأندلس ، وبداية تنظيم دولة الأندلس البحرية ابتداء من عهد عبد الرحمن الثالث ، واهمية تأعده المربة

البحرية ، واثـر هذا الأسطول في الدفاع عن الأندلس ومظاهر اهتمام الحكم
المستنصر وهشام المؤيد بتدعيم قاعدة المـريـه واختتمت هذا الفصل بالحديث
عن قاعدة المـريـه البحريـه في عصر الطوائف .

أما الفصل الثاني : فقد افردته لدراسة المـريـه في عهد خير ان وزهير العامرين
فقد ركزت فيه الحديث عن المـريـه كقاعده كوره ، وتعرضت لدراسة تقسيـماتـها
الاداريـة ، ومسئوليات حكمـها في عصر الولاـه الموفدين من قرطبه حاضره
الخلافه ، ثم أوردت ثبـتـا بعدد الولاـه الذين تولوا حكم المـريـه وبجـانـه بعد ابن
رماحس حتى سنة ٤٠٠ هـ (١٠٠٩ م) . ثم تكلمت بإيجاز عن بداية انهيار
الخلافـة الأمويـه وسقوط الدولـة العامريـة ، واشتعال نار الفتنة البربريه وقيام
دويلات الطوائف ، ثم عن أنتـزاع خـيـران الصـقـايـي بالمـريـه ، مع التعريف
بالصقالبه، وإتخاذ خيران المـريـه قاعدته الاساسية واستيـزاره لأبـي جعفر أحمد
ابن عباس ثم تحدثت عن سياسة خيران العامري الخارجيه مستهـلا ذلك بإيضاح
دوره في الأحداث السياسية بقرطبه منذ ان تحالف مع علي بن حمود ضد سليمان
المستعين . ثم خلاف خيران مع علي بن حمود وهـفـتـل الاخير وتوليـه ابن القاسم
ابن حمود ومحاولته استئالة خيران وزهير العامرين اليه حـيـما بلغه قيام خيران
بتنصيب المرتضى خليفـة بقرطبه ، وما كان من تحلى خيران عن نصره المرتضى
وخذلانه له حتى لقي الأخير مصرعه . ثم تحدثت عن تدخل خيران ومجاهد
العامرين في الأحداث السياسية بقرطبه مره ثانيـة ، وانتهيت من دراسـي
بالتأكيد على ان سياسة المصلحه كانت المحرك الذي يوجه خيران العامري
صاحب المـريـه في كل تصرفاته ثم تكلمت عن دوره في شـرى الأندلس
ومساهمته في ارتقاء عبد العزيز بن عبد الرحمن شـنـجـول حكم شاطبه ثم عـره

على التخلص منه واضطرار عبد العزيز إلى الفرار إلى بلنسية سنة ٤١٣ هـ (١٠٢١ م) ، ثم تعرضت للحدث عن العلاقات القائمة بين خيران ومجاهد العامرين وتطرق إلى نية مجاهد في مهاجمة أملاك خيران بالمريه ، وقيام خيران بتنصيب محمد بن عبد الملك المظفر أحد أئمة المنصور بن أبي عامر خليفة للاندلس وتلقيه إياه بالمعتصم ، كما عرضت للأحوال المتأزمة بين خيران والخليفة المعتصم وفرار الأخير والتجائه إلى مجاهد العامري إلى أن انتهى المطاف به إلى حصن داره حيث توفي ، ثم تحدثت بعد ذلك عن علاقة خيران مع جيرانه البربر أصحاب غرناطة ثم عن سياسته الداخلية وازدهار المريه واتساع أملاكها في عهده واهتمامه بتحصين قصبتها وزيادته في جامعها وأسوارها وأبوابها ، ثم عن دوره في تشجيع الحركة الأدبية إلى وفاته . ثم انتقلت إلى الحديث عن زهير العامري وكيفية نوايه حكم المريه ، ونزاعه مع مسلم الفتي القائم على حصن أوربول ، ثم نافست رواية ابن الخطيب عن اختلال زهير لقرطبة في سنة ٤٢٥ هـ (١٠٣٤ م) وإقامته بها خمسة عشر شهراً ، وعن قيام زهير بتجديد بيعه الخليفة هشام المؤيد المشكوك في موته وأفدائه على احضار شبيه بهشام سنة ٤٢٦ هـ وتمويله به زمناً ، ثم تحدثت عن العلاقات بين زهير وجاره حبوس بن ماكسن وقيام الأخير بقطاع علاقته مع زهير بسبب موالة زهير لمحمد ابن عبد الله البرزالي صاحب فرمونه في حربه لحبوس صاحب غرناطة ، ثم علاقة زهير باديس بن حبوس وخروج الأول بحيشه إلى غرناطة والأحداث التي أعقبت ذلك إلى أن انتهى الأمر بمصرع زهير مع الإشارة إلى دور وزيره ابن عباس الفحال في توجيه الأحداث ونسييرها حتى قيام أهل المريه باسناد ولاية المريه إلى شيخهم أبي بكر الريمى ، ومكاتبتهم لعبد العزيز بن عبد الرحمن

بلنسية وخطور هذا الأخير إلى المريه ربما كان من أمر مجاهد العارضى صاحب
دانيه مع عبد العزيز واضطراره إلى مغادرة المريه والذهاب إلى بلنسية بعد أن
ترك على حكمها ابنه عبد الملك واستوزر له ذا الوزا تين الأصوص معن بن
صّادح ، ثم استقلال معن بن صّادح بالمريه .

وخصصت الفصل الثالث للحديث عن المريه في ظل بني صّادح حتى استيلاء
المرابطين عليها ، مستهلا الكتابه فيه عن اصل بني صّادح وأولويتهم في
الأندلس وعن أستوزار عبد العزيز بن أبي عامر لمعن بن صّادح ، وانتزاع
معن بحكم المريه ، ثم تكلمت عن سياسة معن مع باديس صاحب غرناطه ،
ودور معن بن صّادح في أستفرار الأمور بالمريه حتى وفاته سنة ٤٢٣ هـ
(١٠٥١ م) ، ثم تحدثت عن ابنه وخليفته أبي يحيى محمد بن معن بن صّادح
الملقب بالمعتصم بالله ، الذي نصب واليا على المريه وهو حدث قاصر لم يبلغ
الرشد بعد ، والآثار التي ترتب على ذلك من مطامع لا حدود لها في السيطرة
على البلاد ، وثورات تحدثم في المدن التابعة للمريه كثورة ابن شبيب على
لورقه ، ومساندة المنصور بن عبد العزيز بن أبي عامر له ثم انتقلت بعد ذلك
إلى الحديث عن الحلف القائم بين مريه المعتصم وغرناطه باديس وما بذله
الأخير لحليفه من نصره وعون لمواجهة ثورة ابن شبيب ثم تحدثت عن حملة
المعتصم على أحد حصون تدمير التابعة للمنصور بن عبد العزيز حليف ابن
شبيب ، كما أبرز الدور الذي قام به ابن نقراله اليهودي وزير ابن باديس
في توتر العلاقات بين المريه وغرناطه وتذبذب هذه العلاقات
وبديه وعدائيه في حياة باديس وبعد وفاته إلى أن لجأ ابن
مجاهد قائد مدينة بسطه — من أعمال غرناطه — إلى المعتصم وسهل له مهمة
الاستيلاء عليها وعلى حصن شابش ، هذا بالإضافة إلى الدور الذي لعبه سماجه

وزير الأمير عبد الله في تخيير دوله الأخير عند المعتصم وتشجيعه إياه على انتزاع غرناطه وما كان من أمر التحصينات التي اعدّها الأمير عبد الله لمواجهة خطر المريه ، ثم المهادنة والسلم بين المعتصم والأمير عبد الله ، ولم يفتنى ابن انتارق إلى السياسة الداخليه للمعتصم فأشرت إلى أعمال المعتصم العمرانية ، وتألق الادب والفنون في عصره ، كما أشرت إلى مجالسه الادبيه . ثم انتقلت بعد ذلك إلى الحديث عن الوضع السياسى للاندلس عشية دخول المرابطين ، واسباب استدعاء المرابطين للجهاد في الاندلس والمحت بايجار إلى موقعه الزلاقيه مع إبراز الدور الذي أسهمت به المريه . ثم تحدثت عن الجواز الثاني ليوسف بن تاشفين إلى الاندلس واسهامه في محاصرة حصن لبيط واشترك المعتصم بنفسه في هذه الحمله ، ثم عن الجواز الثالث لابن تاشفين وشروعه في الاطاحة بملوك الطوائف إلى ان استولت قواته على المريه في سنة ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م) .

أما الباب الثاني من الرسالة ، فقد خصصته لدراسة أهم مظاهر الحضارة في المريه . ويتضمن ثلاثه فصول ، أولها يدور حول عمران المريه وطوره مع دراسة لأهم آثارها الباقية وقسمت هذه الآثار إلى : ١ — آثار حريه ، وتشتمل على دراسه القصبه واسوار المدينة وابوابها . ٢ — آثار مدنيه ، وتعلق بدراسة قصر الامارة والصادحية وبقايا منزل عمرى بالمريه إتخذته نموذجا لنظام الدور الاسلاميه في العصر موضوع الدراسة : ٣ — آثار دينيه ونقتصر على دراسة بقايا المسجد الجامع ، ثم مقبرتين تقعان خارج أسوار بربرى المريه .

والفصل الثاني من هذا الباب ، يعالج الحياه الاقتصاديه في المريه وهو

الموضوع واسع يتضمن جوانب اقتصادية متعددة، أولها ما يتعلق بحاصلات الافليم الزراعية وبعن الفنون الصناعية كصناعة النسيج والصناعات القائمة على الرغام ، وأخيراً التجارة وما يتصل بها من دراسة الاسواق الخارجية وطرق التجارة برياً وبحرياً .

وخصمت الفصل الثالث والأخير لدراسة الحركة العلمية بالمريه ، فقدمت لهذا الفصل بحديث عام عن الحركة العلمية في الأندلس في عصر الخلافة ونحصر الطوائف كمدخل لتأريخ الحركة العلمية في مدينة المريه ، وفي هذه المقدمة القصيرة تحدثت عن الحياة الأدبية في المريه وبرز ادبائها وشعرائها سواء من اهلها او من وفدوا عليها ثم تكلمت عن تقدم العلوم اللغوية والدينية في المريه وبرز عدد من علماء النحو واللغة والتفسير وعلم القراءات من اهل المريه . وانتهيت بدراسة الجانب الجغرافي من هذه الحركة العلمية وضممته الحديث عن اشهر جغرافيين هذه المدينة واعنى به احمد بن عمر بن انس مع دراسة لمنهجه في كتابه « ترصيع الاخبار وتنويع الاثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك » .

واختتمت الرسالة بخاتمه ضممتها اهم النتائج التي توصلت إليها في بحثي .

ولا ينوتني بهذه المناسبة ان اقدم عظيم شكرى وامتنانى وتقديرى لاستاذى الفاضل الدكتور السيد عبد العزيز سالم ، لما اولانى من رعاية وتشجيع ، وما حبانى به من عطف ، وما قدمه لى من سديد النصيح والارشاد كذلك اشكر لسيادته تلك الساعات الطوال التي لم يبخل بها على على الرغم من كثرة مشاغله يعيننى فيها على نص غمض على تحقيقه ، او في ترجمة

لص اسباني صعب على فهمه ، كما فتح لى سيادته باب مكتبته العامرة وامدنى
بما احتاجه منها ، وبمؤلفاته الخاصة فيجراه الله عن العلم وعن خير الجزاء .

والله ولى التوفيق

محمد احمد عبده ابو الفضل

الإسكندرية فى ١٦ ذى القعدة ١٤٠١ هـ

١٤ سبتمبر ١٩٨١ م

ثانياً : عرض لأهم مصادر البحث

اعتمدت في بحثي على عدد من المصادر العربية المتخصصة في التاريخ والجغرافيه والادب . التراجم ، بعضها معاصر للاحداث كذكرات الامير عبد الله الزيرى وكتاب المقتبس لابن حيان وكتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار للعزري ، وبعضها الآخر متأخر عن العصر موضوع الدراسة ولكن مصنفها ضمنوا هذه التواليف نقولاً من مصادر كانت تعاصر الاحداث موضوع الرسالة ، ولكنها فقدت ، ومن هنا يمكننا ان نقدر الفيمه العلميه لهذه المصادر . وفيما يلي عرض لأهم مصادر البحث :

أولاً : المصادر التاريخية :

- ١ - ابن حيان القرطبي (ابو مروان بن حيان بن خاف) ، ٣٧٧ - ٤٦٩ هـ ، ٩٧٧ - ١٠٧١ م) .

يعد من أعظم مؤرخي الإسلام ، وهو بلا جدال شيخ مؤرخي الاندلس بوجه عام ولهذا العصر بوجه خاص ^(١) ، انتظم ابو مروان في سلك وظائف الدولة ، وشغل منصب « صاحب السُرطه » ^(٢) تم اسندت إليه مهمة « املاء الذكر في ديوان السلطان » وهو العمل الذي يصرح ابن حيان بأنه كان يلقى بتجرفه ^(٣) .

(١) راجع البحث القيم الذى أعده الدكتور محمود على مكى في مقدمة المقتبس لابن حيان القسم الخامس بعد الرحمن الاوسط) من ص ٧ الى ص ١٢٧ . القاهرة ١٣٩٠ هـ ، ١٩٧١ م .

(٢) المقرئ (أحمد بن محمد) : نفع الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ٢ ، المكتبة التجارية الكبرى ، ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٩ م ص ١٠٢ .

٣ / ابن بسام (أبو الحسن على) : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق ١ ، ٢ م ، القاهرة ، ١٩٤٢ ، ص ١١٨ .

وقد صنف ابن حيان عدداً كبيراً من الكتب لا يقل عن خمسين^(١)، ولكن للأسف لم يصل إلينا من هذه المؤلفات كلها إلا أجزاء يسيرة نذكر منها :

المقتبس في أخبار الاندلس : ويتناول تاريخ الاندلس منذ ان افتتحها طارق بن زياد إلى اواخر القرن الرابع الهجرى ، وقد اقتبس ابن حيان مادته من مصنفات قدامى مؤرخى الاندلس وعلى الاخص عيسى الرازى ، ولذلك أسماه ابن حيان المقتبس ، وللأسف لم يتبق من هذا الكتاب الضخم الذى كان يضم عشرة اجزاء^(٢) إلا خمس قطع منفصلة :

القطعة الاولى : وتتناول عصر الحكم الربضى وجزءاً من عصر عبد الرحمن الاوسط وكانت فى حوزة المستشرق الفرنسى ليفى بروفنسال الذى انتفع منها فى ابحاثه ، ولكنها اختفت بعد وفاته^(٣) .

القطعة الثانية : تتناول الجزء الاخير من إمارة عبد الرحمن الاوسط ، والشرط الاعظم من إمارة ابنه محمد بن عبد الرحمن ، وقد نشر الدكتور محمود على مكي الجزء الخاص بعبد الرحمن الاوسط ، القاهرة ١٩٧١ .

القطعة الثالثة . وتعلق بعصر الامير عبد الله الاموى ، نشرها الاب ملتشورانطونيا بالاسكوريال سنة ١٩٣٠ .

(١) ابن حيان : المصدر السابق ، ص ٥١ من مقدمة المحقق .

(٢) بالذيا ، أنخل جوثات ، تاريخ الفكر الاندلسى ، ترجمة الدكتور حسين مؤنس ، الطبعة الاولى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، ص ٢٠٨ .

(٣) أحمد مختار العبادى : من التراث العربى الاسبانى نماذج لأم المصادر العربية والمجوليات الاسبانية التى تأثرت بها ، (عالم الفكر) ، المجلد الثامن ، العدد الاول ، أبريل مايو ، يونيو ١٩٧٧ ، ص ٤٨ .

القطعة الرابعة : تتناول عهد عبد الرحمن الناصر ، وما تزال مخطوطه .

القطعة الخامسة : تتناول خمس سنوات من عصر الحكم المستنصر ،

أشهرها الدكتور عبد الرحمن الحجى ، بيروت سنة ١٩٦٥ .

هذا وقد اعتمدنا في دراستنا للفصل الاول من الباب الأول على القطع الثلاثة الاخيره ، فقد أمدتنا القطعة الثالثة بمعلومات وافية عن مدينه بجاية ودور البحريين فيها وعلاقتهم بسوار بن حمدون امير عرب غرناطة وخليفته ابن جودى ، هذا بالإضافة إلى اخبار الغزوه البحريه التى قام بها شنير قومس أنبورس بقطلونيه على المربه ، اما القطعة الرابعة فتضمنت رواية ابن حيان عن النشاط البحرى الاسلامى فى عصر عبد الرحمن الناصر لا سيما الغزوات التى قام بها الاسطول الاندلسى من قاعدة المربه البحريه فى عامى ٣٢١ هـ ، ٣٢٣ هـ ، ومن الجدير بالذكر ان ابن حيان انورد وحده دون غيره من المؤرخين بذكرها ، أما القطعة الخامسة ، فتضمن اخباراً تشير إلى اهتمام الحكم المستنصر بالمربه قاعدة اسطول الاندلس وقيامه بزيارتها وتعدد تحصيناتها الدفاعيه .

ولهذه القطع اهميه تاريخيه عظمى فقد ساعدت على سد ثغرات عميقه فى تاريخ الاندلس فى عصر الدوله الامويه ثم ان روايات ابن حيان تحظى بثقة المؤرخين ندقتها وصدقها ^(١) وحيدتها هذا إلى ما إتصف به صاحبها من قدره تحليليه صائبه ^(٢) ، وما تميز به اسلوبه التاريخى من بساطه وطاقه تعبيريه ، وبالإضافه إلى المقتبس ألف ابن حيان كتابه « المتين » ، وكان يقع فى ستين مجلداً ، والكتاب منقود ، ولم يتبقى منه سوى فقرات رواها بعض من أتى من بعده من الكتاب كأبن بسام وابن الخطيب ^(٣) ، ومن هذه النقول يتبين

(١) بالنتييا : تاريخ الفسك الاندلسى ، ص ٢١١ .

(٢) أحمد مختار العبادى : من التراث العربى الاسبانى ، ص ٤٩ .

(٣) بالنتييا : المرجع السابق ، ص ٢١٠ .

لنا اهمية هذا الكتاب المفقود حيث انه يؤرخ لفترة هامة وحاسمة في تاريخ الاندلس منذ اوائل القرن الخامس الهجرى حتى قبيل وفاة المؤلف ، وهي فترة حافلة بالاحداث .

٢ - ابن عذارى المراكشى ، (ت : فى اواخر القرن السابع الهجرى)

« البيان المغرب فى اخبار الاندلس والمغرب »

يعتبر هذا الكتاب اهم مصادر تاريخ المغرب والاندلس فى العصر الاسلامى ، تناول فيه هذا التاريخ منذ الفتح الاسلامى حتى اواخر القرن السادس الهجرى ، وقد اعتمد فيه على مصادر عربية واندلسية ترجع الى القرنين الخامس والسادس الهجرى اشار اليها ابن عذارى فى مؤلفه منها البكرى وابن الرقيق والقضاعى ، وابن شرف وغيرهم ^(١)

ويقسم ابن عذارى « البيان المغرب » الى ثلاثة اجزاء ، الاول يشتمل على اخبار افريقية منذ الفتح الاول فى خلافة عثمان ، حتى ظهور المرابطين ، والجزء الثانى خصصه لتاريخ الاندلس منذ الفتح الاسلامى حتى دخول اللمتوين الاندلس فى سنة ٤٧٨ هـ ، اما الجزء الثالث ، فيتضمن تاريخ دولتي المرابطين والموحدين حتى انقراض دولة الموحدين وقيام الدول الوارثة لهم فى المغرب .

وقد اعتمدت فى بحثى بوجه خاص على القسم الثالث من البيان ^(٢) ، ويتضمن اخبارا هامة عن الدولة العمارية ، والسنوات الاخيرة من عصر

(١) السيد عبد العزيز سالم . المغرب الكبير ، ج ٢ ، الدار القومية للطباعة والنشر

١٩٦٦ م ١٠١ .

(٢) ابن عذارى : كتاب البيان المغرب فى اخبار الاندلس والمغرب ، ج ٣ ،

تحقيق لبي برغفسال ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان (بدون تاريخ) .

الخلافه واحداث الفتنة البربريه التي عجاك بسقوط الخلافه وقيام دويلات الطوائف ، ورواية ابن عذارى عن الدور الذي لعبه خيران في احداث الخلافه بقرطبة وكذلك خليفته زهير العامري من الروايات الهامه التي عوات عليها في تأريخى لاحداث المربه قبيل انتزاع خيران العامري بها كذلك اعتمدت عليه فيما اورده من روايات عن بنى صمادح بالمربه ، وهى روايات ساعدت كثيرا في اجلاء ماغمض من احداث الفترة التي تلت انهيارالدولة العامريه وبخاصة انتزاع الزيدان العامريين بشرق الابداس واعانتنا كثيرا في دراسنا التاريخية للفصلين الثانى والثالث : ولاشك ان اهمية هذه الروايات - رغم ان مؤرخنا من مؤرخى القرن السابع الهجرى - ترجع الى استقائه هذه الاخبار ونقلها عن عدد من المصادر المغربية والاندلسية السابقة عليه .

٣ - ابن بلقين : مذكرات الامير عبد الله اخر ملوك بنى زيرى بغرناطة

(٤٦٩ - ٤٨٣ هـ ، ١٠٧٧ - ١٠٩٠ م) المسماه بكتاب التبيان .

يرتفع نسب الامير عبد الله بن بلقين اخر ملوك غرناطة في عصر الطوائف الى اسرة بنى زيرى الصنهاجيه فجدده هو ادريس بن حبوس بن زيرى بن مناد الصنهاجى . ولد عبد الله في سنة ٢٤٧ هـ (١٠٥٦ م) ، نصب عقب وفاة ابن بلقين سيف الدولة سنة ٤٥٦ هـ (١٠٦٤ م) ، وليا لعهد جده الامير باديس بن حبوس ، وفي سنة ٤٦٩ هـ (١٠٧٧ م) اعتلى عرش غرناطة واصل يؤدي هذا الدور الى ان عزله المارابطون عن ملكة ونفوة بمدينة اغمات في جنوب المغرب الاقصى ، حيث قضى بقيه عمرة (١) ، وفي اغمات د ن لامير عبد الله مذكراته الخاصة التي تتضمن اخبارا تاريخية عن عصر ملوك الطوائف

(١) مذكرات الامير عبد الله ، مشروقة ، يقيم لبي مرفوعة ، دار المعارف بمصر

بوجه عام على درجة كبيرة من الاهمية ^(١) . وتعتبر هذه المذكرات وثيقة سيكولوجية من الطراز الاول، تساعد على الحكم على حالة الانحلال الاجتماعي والتمسك السياسي في الاندلس قبل معركة الزلاقة وفي اعقابها بالاضافة الى انها تسد فراغا كبيرا في تاريخ الاندلس زمن الطوائف ابتداء من الفترة التي انتهت فيها مؤامرات ابن حيان ^(٢) كذلك تمدنا هذه المذكرات بكثير من المعلومات عن العلاقات السياسية بين امراتي الماربه وغرناطة ، علاوة على ما جاء بها من نصوير صادق لحالة دويلات الطوائف ذل وبعد معركة الزلاقة .

٤ - ابن الخطيب (لسان الدين) ، ٧١٣ - ٧٧٦ هـ / ١٣١٣ -

١٣٧٤ م ،

يعتبر ابن الخطيب آخر كاتب عظيم انجبته الاندلس ^(٣) ، فقد صنف عددا كبيرا من المصنفات ، نذكر منها ما اعتمدت عليه في دراستي :

« كتاب اعمال الاعاظم فيمن بويغ قبل الاحتلام من ملوك الاسلام

ومايجر ذلك من شجون الكلام » .

وقد اعتمدت في بحثي بوجه خاص على القسم الثاني الخاص بالاندلس ^(٤)

(١) أحمد مختار العبادي : من التراث العربي الاساني ، ص ٥٦ .

(٢) مذكرات الامير عبد الله ، ص ٩ من المقدمة .

(٣) بالنبيا : تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ٢٥٩ ، راجع أيضا حول ترجمة ابن الخطيب المرحوم السابق من ص ٢٥٢ الى ص ٢٥٧ ، السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ص ٢ ، من ص ١٠٥ الى ص ١٠٧ ، أحمد مختار العبادي : في تاريخ المغرب والاندلس ، من ص ٣٦١ الى ص ٣٦٨ ، وله أيضا ، من التراث العربي الاساني ، (عالم الفكر) ، من ص ٦٥ الى ص ٦٧ .

(٤) ابن الخطيب (لسان الدين) : أعمال الاعلام ، (القسم الثاني) ، تحقيق

ليق بروفسال ، دار الشكشوف ، طبعه بيروت ، ١٩٥٦ .

ويتضمن روايات هامة عن الدولة العامرية ، وأحداث الفتن البربرية التي
عجلت بسقوط الخلافة بقرطبة وقيام دريالات الطوائف ، وفيما اوردت من
اخبار هامة عن خيران وزهير العامريين وبنى صمادح بالمريه ، ساعدت
كثيرا في دراستنا التاريخية / كلا التصلين الثاني والثالث .

ثانيا : كتب الجغرافية :

١ - العذري (احمد بن عمر بن انس) ٣٩٣ - ٤٧٨ هـ / ١٠٠٢ -

١٠٨٥ م ،

« ترصيع الاخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك

الى جميع الممالك »

مصدر جغرافي هام لاغناء عنه لاي باحث في تاريخ الاندلس ، ويتضمن
الكتاب مجموعة من الاخبار المتعلقة بمدينة المريه في عصر الطوائف سدت
فراغا كبيرا في الدراسة التاريخية التي اعدتها . والكتاب بالاضافة الى ذلك
يحتوي مادة جغرافية علي قد كبير من الاهمية بالنسبة لطبوغرافية المريه
وما يتعلق بثرواتها الزراعية والصناعيه ، وقد تولى الدكتور عبد العزيز
الاهواني تحقيق هذا الكتاب واحضره في مدريد عام ١٩٦٥ ، وه ذا الجزء
المنشور لا يتجاوز عشر حجم الكتاب على حد قول عمقه (١) .

٢ - الادريسي (ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك بن ادريس) ،

المعروف بالشريف الادريسي ، (٤٩٣ - ٥٦٤ هـ / ١٠٩٩ - ١١٦٩ م)

وهو حفيد ادريس الثاني الحموي امير مالقه ، ويبدو انه درس في قرطبه ،

(١) العذري (احمد بن عمر بن انس المعروف بأبن اللاتني) : ترصيع

الاخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك ،

تحقيق الدكتور عبد العزيز الاهواني ، مدريد ١٩٦٥ ، ص ١ من مقدمة المحقق .

وقام بأسفار كثيرة في العالم الاسلامي شرقيه وغربيه .
وكتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ^(١) يعتبر اعظم عمل جغرافي
عربي خاصة مايتعلق ببلاد المغرب والأندلس ، والكتاب غني بالماده الجغرافيه
والتاريخيه التي سجلها المصنف كشمرة لمشاهداته اثناء رحلاته ووصفه للمريه
يتضمن حقائق هامه تعيننا على تصور ما كان عليه عمرانها في عصر الخلافه
وعصر الطوائف ، وعلى الرغم من ان حديثه عن صناعات المريه وعلى الأخص
صناعة النسيج يتعلق بذشاطها الصناعى في عصر المرابطين إلا اننا اعتمدنا
عليه ايضاً في تصورنا للاوضاع الاقتصادية في المريه قبل عصر المرابطين .

٣ - الحميرى (ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم) ، ت ٨٦٦ هـ / ١٤٦١ م

« كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار » ^(٢)

على الرغم من ان الحميرى من رجال القرن التاسع الهجرى إلا ان كتابه
يعتبر من الركائز الهامه للباحثين في تاريخ الأندلس وحضارتها في العصر
الإسلامي ^(٣) . فهو إلى جانب كونه معجماً جغرافياً لمدن الأندلس ، يتضمن
معلومات تاريخيه نقلها من مصادر قديمه ضاعت .

٤ - معجم البلدان لياقوت الحموى (شهاب الدين ابو عبد الله) ، ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٨ م

معجم جغرافى للعالم الإسلامى ، يمتاز باتساع مادته وغزارتها ، ويجمع بين

(١) الادريسى (الشريف محمد) ، صفة المذهب وأرض السودان ومصر والأندلس
مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق و اختراق الآفاق ، نشره دي ثيوبية ودوزى ، ليدن
١٨٦٦ .

(٢) الحميرى (أبو عبد الله محمد بن عبد الله) : دفة جزيرة الاندلس منتخب من

كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار ، نشرها ليني يروفسن ، القاهرة ١٩٣١ .

(٣) بالشيا : تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ٣١١ .

المادة التاريخية والأدبية والجغرافية ، وتظهر فيه معرفة مؤلفه الواسعة بالعالم الإسلامي من خلال تجارته وأسفاره في أنحاءه ، فلقد زار مصر والشام والعراق وفارس وبلاد العرب وبلاد ما وراء النهر بالإضافة إلى اعتماده على النقل من كتب التاريخ والجغرافية بأمانه ، مسنداً كل ما ينقله من مادة جغرافية إلى مصادرها الأصلية ^(١) . وقد اعتمدت عليه اعتماداً خاصاً في تحقيق بعض المواضع الأندلسية .

ثالثاً كتب الأدب والشعر :

١ - ابن بسام (أبو الحسن علي) ، ت ٥٤٢ هـ ١١٤٧ م .
من أهل الأدب ، صنف موسوعة أدبية تاريخية بعنوان « الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة » ، احتوت تراث القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) ، وتلخص أهمية هذه الموسوعة في تاريخ الأندلس أنها تضمنت نصوص طويلة من كتاب المتن - وهو كتاب مفقود - لابن حيان ، بالإضافة إلى ما تضمنته هذه الموسوعة من تراجم أدبية لأهل هذا القرن . والكتاب ينقسم إلى أربعة أقسام على حسب الأقاليم الجغرافية الأندلسية ويتضمن كل قسم منها تاريخ هذا الأقليم وتراجم عن ملوكه وأمرائه وشعرائه .
والجدير بالذكر أنه ، فضلاً عما نقله ابن بسام من مادة قيمة للمؤرخ ابن حيان فإنه يقدم إلينا نبذاً تاريخية بقلمه ، تعطي صورة متكاملة للحياة الأدبية والاجتماعية علاوة على مجموعة حافلة من تراجم أمرائه وأعيانه ووزرائه وكتابه وشعرائه ومختارات عديده من رسائلهم ، ومنثورهم ومنظومهم ، افدت منها كتاباً ثيراً وبخاصة فيما يتعلق بموضوع الحركة العلمية في المربى .

(١) السيد عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ، دار الكتاب العربي

٢ - ابن خاقان (أبو نصر الفتح محمد بن عبد الله القيس) (١) ت ٥٣٥ هـ /

١١٤٠ م

من أهل الأدب ، متمكناً من اللغة والقدرة على صياغة الكلام ، تميز أسلوبه بالنثر المسجوع ، من أهم ما ألف كتابين من المختارات الأدبية والتاريخية وهما : « مطمح الأنس ومسرح التأنس » ، « وقلائد العقيان ومحاسن الأعيان » .

يقدم لنا في كتابه « مطمح الأنس ومسرح التأنس » تراجم لرجال الأندلس ، ويكرر في كتابه « قلائد العقيان ومحاسن الأعيان » بعض أجزائه من المطمح وينقسمه إلى أربعة أقسام : الأول « في محاسن الرؤساء وابتنائهم ودرج انموجات من مستعذب ابتنائهم » ، والثاني ، « في غرر حلية الوزراء وفقر للكتاب والبلقاء » ، والثالث ، « في لمع أعيان القضاة ولمع اعلام العلماء السراء » ، والرابع ، « في بدائع نبهاء الأدباء وروائع فحول الشعراء » . وتتميز كتابات ابن خاقان بالأسلوب المسجوع المتكلف ، وترجع أهميتها إلى أنها تتضمن معلومات تاريخية هامة هذا إلى قيمتها الأدبية العظيمة وعلى الأخص فيما يتعلق بالدراسة الأدبية لرجال هذا العصر .

٣ - المقرئ (أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي العيش) ت ١٠٤١ هـ /

١٦٣١ م

« نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب » (٢) .

(١) ينحدر أصله من قرية « صخرة الولد » على متربة من قلعة يحمب ، من أعمال غرناطة (راجع ، بالثيا : تاريخ الفصيح الاندلسي ، ص ٢٩٦) .

(٢) المقرئ (أبو العباس أحمد بن محمد) : نفح الطيب من غصن الأندلس =

يعتبر هذا الكتاب من المصادر الأساسية في تاريخ الأندلس والمغرب ، وتنحصر أهميته لما تضمنته من روايات هامة لمؤلفات سابقة ضاع معظمها وعلى سبيل المثال ، كتاب « مزية المريه » ، على غيرها من البلاد الأندلسية » لأبي جعفر بن خاتمه ضم تاريخاً حافلاً وقد صرح المقرئ بأنه تركه ضمن كتبه بالمغرب ^(١) . وهذه الروايات أوردتها المقرئ في موسوعته في غير نظام ، ولكن في دقة وضبط حسن ^(٢) .

وقد استفدت كثيراً من هذا الكتاب فيما أوردته من روايات عن نشاط حرّكه بناء المدن الإسلامية وكذلك عن اهتمام الخليفة الناصر وحبه للبناء والتشييد ، علاوة على ما تضمنته من أخبار عن الأعوام التي سبقت انهيار الخلافة الأموية ، يضاف إلى ذلك ما أوردته من أخبار عن الصقالبة وأماكن استجلابهم ، هذا إلى معلومات عن حالة الأندلس قبيل دخول المرابطين ، اعاننى كثيراً في دراستي للقسم التاريخي من الرسالة وإلى جانب هذا كله يضم تراجم عديدة لبعض شعراء وشاعرات المريه وأدبائها ساعدتني بقدر كبير في دراستي للحركة العلمية في المريه .

رابعاً : كتب التراجم :

كما اعتمدت على كتب التراجم الأندلسية ومن بينها :
تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي ^(٣) ، كتاب الصلة

= الرطب ، تحقيق الشيخ محمد يحيى الدين عبد الحميد ، عشرة أجزاء ، المكتبة التجارية ، القاهرة ١٩٤٩ .

(١) نفس المصدر ، ص ١٠٤ .

(٢) بالنتيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص ٠٣ .

(٣) ابن الفرضي (أبو الوليد ، عبد الله بن محمد) * تاريخ علماء الأندلس ، =

لابن بشكوال^(١)، كتاب التكملة لكتاب الصلة لابن الابار^(٢)، وكتاب المعجم في أصحاب أبي علي الصدقي لابن الابار^(٣)، وكتاب الحلة السيرة لابن الابار^(٤)، افدت منها كثيراً إذ تلقى ضوءاً كافياً على حياة شخصيات علميه جليله لعبت دوراً كبيراً في تنشيط الحركة الفكرية في الأندلس بوجه عام والمريه على وجه الخصوص .

خامساً : كتب الرحلات :

ابن سعيد المغربي (أبو الحسن علي بن موسى) ، ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م .
« المغرب في حلي المغرب »^(٥) .

وهذا المؤلف ضاع معظمه ولم يبق منه سوى أجزاء بسيطة تضمنت تراجم لبعض الشخصيات البارزة في الأندلس من العصر الأموي حتى نهاية عصر الموحدين أعاننى في دراستي لبعض الشخصيات الهامة في المريه ومنها على سبيل المثال شخصية الوزير الأديب أحمد بن عباس وغيره .

-
- == نشر كوديره الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مصر ، ١٩٦٦ .
- (١) ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك) : كتاب الصلة في تاريخ أئمة الاندلس جزئين ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٩ .
- (٢) ابن الابار (أبو عبد الله محمد القضاى) التكملة لكتاب الصلة ، جزئين مطبعة السماعة بمصر ، ١٩٥٥ ، ١٩٥٦ .
- (٣) ابن الابار (أبو عبد الله محمد القضاى) : المعجم من أصحاب الفاضل الامام أبي عبد الله الصدق ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، ١٩٦٧ .
- (٤) ابن الابار (أبو عبد الله محمد القضاى) الحلة السيرة ، تحقيق الدكتور حبيب مؤنس الطبعة الاولى ، جزئين ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٢ .
- (٥) ابن سعيد المغربي (علي بن موسى) : المغرب في حلي المغرب ، جزاءان ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٥٢ ، ١٩٥٥ .

البَابُ الْأَوَّلُ

التاريخ السياسي

الفصل الأول

تأسيس مدينة المريه وأهمية موقعها

شهدت الأندلس في العصر الأموي نشاطا واضحا سجلته أمراء هذه الدولة وخلفاؤها الذين كانوا يحرصون على احاطة دولتهم بكل مظاهر الترف والفخامة احياء لحضارتهم في الشرق ، ولهذا السبب انطلق أمويو الأندلس بكل طاقاتهم الى تشجيع البنيان وتعمير المدن ^(١) .

وأول من نشط في هذا المجال من الامراء الامويين بالأندلس الامير عبد الرحمن الداخل (١٣٨ - ١٧٢ هـ ٧٥٦ - ٧٨٨ م) ، مؤسس الدولة وذلك عندما اقدم على انشاء مدينة الرصافة التي اعتبرت ربضا شمالياً لقرطبة احياء لذكرى رصافه هشام بـرض الشام ^(٢) ، ويليه في هذا المضمار الامير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ / ٨٢١ - ٨٥٢ م) ، الذي ينسب إليه بنيان مدينة مرسية ^(٣) . وفي عهد الامير محمد بن عبد الرحمن الاوسط (٢٣٨ -

(١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثارهم في الأندلس ، بيروت ،

١٩٦٢ ص ٥٤ .

(٢) المقرئ (أحمد بن محمد) . نفع الطيب من غصن أندلس الرطب ، تحقيق محيي الدين هـد الحيد ، ٢٠٠ ، المكتبة التجارية ، القاهرة ، ١٩٤٩ ، ص ١٤ ، وأنظر أيضا ، السيد هـد العزيز سالم ، قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ، ج ١ ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ٤٩ ، أحمد مختار العبادي ، في تاريخ المغرب والأندلس مؤسسة الثقافة الجامعية بالاسكندرية ، ١٩٧٤ ص ١١٣ .

(٣) ان سعيد / هـل بن موسى المغربي) : المغرب في حلي المغرب ، تحقيق شوقي

ضيف ج ١ ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٣ ، ص ٤٨ ، الحميري (أبو عبد الله محمد بن =

٢٧٢ هـ / ٨٥٢ - ٨٨٥ م) ، أسست مدينة بجانه ^(١) وبطليوس ^(٢) .
 أما مدينة المرية موضوع هذا البحث فقد كان انشاؤها من أجل مآثر
 الخليفة عبد الرحمن بن محمد الناصر لدين الله ، فقد أمر ببنائها في عام ٣٤٤ هـ
 (٩٥٥ م) ^(٣) ، لتكون مرقبا للساحل الجنوبي الشرقي الأندلس وقاعدة
 بحرية رئيسية للأسطول الأموي ، وكان الناصر أكثر خلفاء بني أمية ولعاً
 بالبناء والتشييد ^(٤) ، إذ كان يربط بين البنيان والعظمة والسطوة والسلطان ^(٥)
 ولهذا فان مدينة المرية تدخل في نطاق المدن الحديثة ^(٦) . وسوف نهتم
 في هذا الفصل بدراسة الخصائص الجغرافية لمدينة المرية ثم تأسيس مدينة بجانه

= عبد الله) : كتاب الروض المطار في خبر الانقطار تحقيق ليلى بروفندال ، مطبعة لجنة
 التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٢٧ ، ص ١٨١ .

(١) ابن سعيد : المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ١٩٠ .

(٢) ابن القوطية (أبو بكر محمد بن عمر القرطبي) ، تاريخ أفتتاح الأندلس
 تحقيق خوليان ريبيرا ، مدريد ١٩٢٦ ، ص ٩٠ .

(٣) الحمري : الروض المطار ، ص ١٨٣ .

(٤) الحمري : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٣٢٧ .

(٥) نفس المصدر ، ج ٢ ، ص ١٥٠ ، وينسبون الى الخليفة عبد الرحمن الناصر

هذه الايات :

هم الملوك اذا أرادوا ذكرها من بعدم فبالسن البنيات

اث البناء اذا تعاظم قدره أضفى يدل على عظيم الشأن

(المقرئ ، نفس المصدر والجزء ، ص ٦٢) .

(٦) ابن حوقل (أبو القاسم) ، كتاب صورة الارض ، دار مكتبة الحياة ،

بيروت (بدون تاريخ) ، ص ٤٤ .

والثرة في قيام المربة ، ونختم الفصل بدراسة عن المربة كقاعدة بحرية لاسطول
الاندلس في البحر المتوسط .

اولا : الخصائص الجغرافية لمدينة المربة

الموقع :

تقع المربة - كما يحدد الجغرافيون القدماء بين - مدينتي مالقة ومرسية ، على
« ساحل بحر الزقاق »^(١) ، وكانت تشغل نفس الموقع الذي تقوم عليه مدينة
المربة الحالية وفي البقعة المعروفة باسمها من السهل الرسوبي الممتد ما بين
البحر وسلاسل الجبال الملاصقة لسلسلة جبال جادور^(٢) « Sierra de Gador »
ويحدها من الشرق فحوص مثلث الشكل وارض منبسطة في امتداد متصل
يبلغ ثمانية ايامال تقريبا شرقي المربة بين سلسلة جبال رأس القبطة في الجنوب
الشرقي من المربة وجبل الحمة في الشمال الشرقي منها^(٣) .

وهكذا تحوط المربة مرتفعات وجبال من كل جهة باستثناء الجهة الجنوبية
والتي تحصر اثرتي ، ويسهل اثريف المدرج في هذه المنطقة في قوله :

(١) ابو الفدا / عماد الدين احماد بن محمد بن عمر : تقويم البلدان ، تحقيق

دي سلا De slane ، باريس ، ١٨٤٠ ، ص ١٧٦ وما يليها .

(٢) Enciclopedia de la cultura Espanola, tomo I, Madrid, (٢)

1963, P. 248.

Torres Balbas (Leopoldo : Almería Islamica, El Andalus, (٣)

Vol XXII, 1957, pp. 411 - 412.

وانظر أيضا : السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ مدينة المربة الإسلامية

قاعدة أسطول الاندلس ، الطبعة الاولى ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص

« وموضع المريه من كل جهة استدارت به صخور مكدسة ، واحجار صلبة مخرسة ، لآراب عليها ، كأنما غربلت ارضها من التراب ، وقصد موضعها بالحجر » (١) ، وإلى الشمال الغربي من المريه وعلى بعد نحو ثلثائة وخمسين مترا من الساحل تتدرج الارض فى الارتفاع طويلا بجذاء الساحل ، وعلى هذا النشز المرتفع تقوم قصبه المريه فى الوقت الحاضر : على ارتفاع يصل الى ستمائة وخمسين مترا فوق مستوى سطح البحر ، وتكتنف هذا النشز أجراف شديدة الانحدار (٢) ، وينحدر من جانبيه المتطرفين الشرقى والغربى واديان صغيران يسميان رامبلاس « R mblas » ، والتسمية مشتقة - كما هو واضح - من كلمة « رماله » والسبب فى تلك التسمية يرجع ان مجرى كل من هذين الواديين أراض رملية رخوة ، ويفصل هذا المرتفع عن الجبل الشمالى الذى يمثله فى الارتفاع والامتداد أخدود عميق فسيح كان يعرف بأسم خندق « باب موسى » وكان خندقاً معموراً فى القرن الخامس والنصف الأول من القرن السادس الهجرى ، ويصف الإدريسى هذا الموضع بقوله : « والمريه فى ذاتها جبلان وبينهما خندق معمور ، وعلى الجبل الواحد قصبته المشهورة الحصانة والجبل الثانى منها فيه ربضها ويسمى جبل لاهم » (٣) .

وكان لموقع المريه الرائع فى جنوب شرقى الاندلس وعلى خليج واسع

(١) الإدريسى (الشريف أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز) : صفة المغرب وارض السودان ومعر ، والاندلس ، أخودة من كتاب نزهة المشتاق واختراق الافق ، تحقيق دى غويه ودوزى ، ليون ، ١٨٦٤ ، ص ١٩٨ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٥ .

(٣) الإدريسى : صفة المغرب ، ص ١٩٧ ، وراجع أيضاً ، الجبرى ، الروض المعطار ص ١٨٤ .

عميق يحميها من الرياح أعظم الاثر فيها حظيت به من شهرة تجارية تجاوزت الافاق بحيث اصبحت بحق باب الشرق ومفتاح الرزق ^(١) .

المناخ :

ويسود المريه مناخ معتدل يسوده الجفاف ، فهي تتمتع دائماً بحرارة معتدله وسما صحو أغلب أيام السنة ، والامطار تكاد تكون شحيحة في فصل الشتاء ^(٢) ، ومع هذا فلا تصلح المريه لأن تكون مشى من المشاتي الجيدة نظراً لتعرضها للرياح الشرقية الجافة المحملة بغبار ايض ذى طبيعه ملحية بسبب الصخور الملحية المحيطة بها ^(٣) ، وندرة تعرضها للرياح الغربية الملطفة .

وقد ساعد على جفاف المريه ان شعاب الجبال التي شقتها السيول في اتجاه البحر عميقة ، ولهذا قلما تحتفظ بمياه الامطار لجريانها السريع نحو البحر ^(٤) .

ثانياً : تأسيس مدينة بجانه واثره في قيام المريه

تقوم المريه الاسلاميه في موضع كانت تشغله بؤرة عمرانية قديمة ، اسسها الفينيقيون عرفت باسم باستولس Bastulos ، خضعت بعد ذلك لحكم الفترطاجنيين والرومان ، ونظراً لموقعها الجغرافي الممتاز اطلق عليها الرومان

(١) ابو الفدا : تقويم البلدان ص ١٧٧ .

(٢) يوسف ابن الخطيب (لسان الدين) : مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والاندلس (مجموعة رسائله) تحقيق أحمد مختار العبادي ، مطبعة جامعة الاسكندرية ، ١٩٥٨ ، ص ٨٣ ، وندرة هذه الامطار بقوله : (ومماؤها (أى المريه) بخيله ، وبروقها لا تصدق منها بحيلة) .

(٣) Enciclopedia de la cultura, Tomo I. p 28 (٣)

(٤) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المريه ، ص ١٤ .

اسم يورتس ماجنس أو الميناء الكبير « Tortus Magrus » ، كما سميت باسم
برخيتانس Virgita us . ولعل ذلك لقربها من برجه Berja ، (١) ،
ولما كان موقع مدينة المربة القديم أرضا صخرية جرداء ذات طبيعة جافة
لا تساعد على قيام تجمعات سكانية ، فقد اقتضى الأمر إنشاء مدينة في السهل
المنحدر الواقع شمالها ويشقه نهر اندرش ، وعلى هذا النحو أسس الرومان
مدينه بجانة الرومانية - في الطريق الممتد ما بين قسطلونه « Cazlona » ، ومالقه
3aiafa . وعرف المركز العمراني الروماني باسم اورسي « Urci » وهو اسم
ذكره بطليموس (٢) .

ثم اتخذ الموقع في عصر الامارة الأموية وعلى الاخص في عصر الأمير
عبد الرحمن الأوسط محرسا بحريا استناداً إلى قول الحميري : « وتخذها العرب
مرآى : وابتنت بها محارس » (٣) . فكانت مرآى . مرقبا بحريا لمدينة

Enciclopedia, Op. cit , P 24٦.

(١)

(٢) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المربة ، ص ١١ .

(٣) الحميري : الروض المطار ، ص ١٨٣ ، وذكر ياقوت الحموى : « والمربة
بالفتح ثم الكسر وتشديد الياء منقطتين من تحتها ، يجوز أن يكون من مرى الدم
يمر إذا جرى والراء سرية ، ويجوز أن يكون من الشيء المرى فحفروا الحفرة
(راجع : ياقوت الحميري (شهاب الدين) أمى عبد الله) : معجم البلدان ، المجلد الخامس
دار صادر بيروت ، ١٩٥٧ ، ص ١١٩) ، ويعتقد الأستاذ محمد العاصي أن اسم المربة
معناه المرأة الصغيرة ، (الاعلام الجغرافية الاندلسية ، مجلة البنية ، العدد ٣ ، يواو
١٩٦٢ ، ص ٣٢) ، بينما يرى المستشرق دوزي ان اسم المربة لم يكن علما في الأصل
بل صفة لبرج يكون مشرفا على البحر وتراه السفن من بعيد ، وعلى هذا أفترض ان اسم
المربة من فعل رأى فية ولون الشيء هو مره . وهي مربة » =

بجانه التي لا تبعد عنها من جهة الشمال بأكثر من خمسة أميال وسدس الميل ، وعلى طريق العقبة ستة أميال ^(١) . ولذلك سميت بمرية بجانه - مثلما أطلق الاسم على « مرية بلش » وهي بلدة بالأندلس من أعمال ريه على ضفة النهر ، كانت مرسى يركب منه في البحر إلى بلاد البربر في العده من البر الأعظم ^(٢) ، ثم تحولت مرية بجانه إلى المرية بعد أن أمر الخليفة عبد الرحمن الناصر ببنائها ٣٤٤ هـ (٩٥٥ م) ^(٣) .

ويتضح مما سبق أن تاريخ بناء المرية ارتبط ارتباطاً وثيقاً بمدينة بجانه ، لأنها كانت في الأصل فرضتها ومريتها ومحرسها .
وبجانه مدينة محدثة أيضاً ، اختطت في عصر الدولة الاموية على أصول قديمة لقرية في نفس مكانها كانت تعرف باسم Fundus Baianus ^(٤) ، أمر

Duzy «R» : Supplement aux dictionnaires arabes, t. I paris = 1927, p 498b.

ويرجح الاستاذ الدكتور أحمد مختار العبادي أن هذه الصفة أطلقت أيضاً على مدينة الاسكندرية التي مر عنها النمل الثمسي بعبارة « اسكندرية مرية » ، (ابن الخطيب (لسان الدين) : أعمال الاعلام ، القسم الثالث ، تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادي والاستاذ محمد ابراهيم الكتاني ، دار الكاتب ، دار البيضاء ، ١٩٦٤ ، ص ١٧٢ ، ٢٥) .

(١) العنزي (أبو العباس أحمد بن عمر بن أسد المعروف بابن الدلائلي) : نصوص من الأندلس من كتاب ترصيم الأخبار وتنويع الآثار والستاز في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك ، تحقيق عبد العزيز الهمواني ، مدريد ١٩٦٥ ، ص ٨٦ .

(٢) ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، المجلد الخامس ، ص ١٢٠ .

(٣) أنظر ما فات من قبل ، ص ٢٦ .

(٤) Torres Balbas, Ameria Islamica. P. 416. (٤)

وراجع أيضاً ، سالم : تاريخ مدينة المرية ، ص ١٩ .

بتأسيسها الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط ^(١) ، وعهد بنائها لابن اسود ^(٢) . وكان الهدف من انشاء مدينة بجانه ، حماية الساحل الجنوبي الشرقي من الاندلس بتوطين بعض الاسرات العربية فيها ، فأُنزل امراء الامويين جماعة من العرب هم بنو سراج القضايعيون ، « وجعلوا إليهم حراسة ما يليهم من البحر وحفظ الساحل ، فكان ما ضمنوا من مرسى كذا إلى مرسى كذا يسمى ارش اليمن ، اى عطيتهم : نحلهم » ^(٣) ، وقد كانت بجانه اشرف قرى ارش اليمن ودار سكى ملكهم (فى موضع مدينة بجانه اليوم) ، مما جعل المستشرق الاسبانى توريس بالباس يؤكد ان ارش كلمة معربة من ارسى Urci وهى المركز العمرانى القديم لمدينة بجانه ^(٤) ، بينما يرى الاستاذ الدكتور حسين مؤنس ان لفظ Urci موضع قديم فى اقليم ارش اليمن ^(٥) . وكيفما كان الامر ، فان مدينة بجانه حين انشائها كانت تتكون من حارات متفرقة ، فهى تقع على الضفة اليسرى من نهر اندلس المعروف بواى بجانه ، وكان يتفرع من هذا النهر جدولان يشقان الارباض الشمالية ويتجاوزانها إلى الارباض القبلية ^(٦) .

ومن الجدير بالذكر ان بنى سراج القضايعيين كانوا يقومون بحراسة

(١) انظر ما فات هنا من قبل ، ص ٢٥

(٢) ابن سعيد : المغرب ، ٢٠ ، ص ١٩٠

(٣) الحميرى : الروض العطار ، ص ٣٧

(٤) Torres Balbas: op. cit., P. 418.

(٥) حسين مؤنس : فجر الاندلس ، دراسة فى تاريخ الاندلس من الفتح الاسلامى الى قيام الدولة الاموية « ٧١٩ - ٧٥٦ م » ، الطبعة الاولى ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٤١

(٦) الحميرى : الروض العطار ، ص ٣٨

ما يلبسهم من البحر ، ويحفظون الساحل ، وشيدوا لهذا الغرض برجاً للمراقبة والحراسة بالقرب من مصب وادى بجانة ، فوق الجبل الذى تقوم عليه قصبة المريه فى الوقت الحاضر ، باعتبار ان هذا الجبل المرتفع من اصلاح المواقع لهذا الغرض ، وسموا موضع المحرس باسم « مريه بجانة » ، ونحدها العرب رباطاً . وابتدأت فيها حارس ، كما ان الناس ينتجعونها ويرابطون فيها ولا عمارة فيها يؤمئذ ولا سكنى ^(١) ، وذلك عندما قام النورمانديون بالأغارة على السواحل الاندلسيه والمقرية فى عام ٢٤٥ هـ (٨٦٩ م) .

وفى عام ٢٧١ هـ (٨٨٤ م) نزل بحربه بجانة ، وكانت تحت سيطرة بنى سراج القضاة - جماعة من البحريين الاندلسيين على رأسهم الكركنى وأبو عايشة والصنقر وصهيب ، كما انرا بادىء ذى بدء يميزون بسننهم ما بين الساحل الجنوبي الشرقى للاندلس وساحل مدينة تنس الحالية بالازرقية ، وهم الذين اسسوا هذه المدينة الازرقية فى عام ٢٦ هـ (٨٧٥ م) ، وسكنها فريقان من أهل الاندلس من أهل البيرة وتامير ، ثم انتقل بربر ذلك الاقليم إلى سكنها ورغبوا فى الانتقال إلى فاهة تنس وأستأذنوا البحريين نى ان يتخذوها سوقاً ودار سكنى نظائر فديم المعونة ورسن المجاورة والعشرة فأجابهم البحريون إلى ذلك ، وانتقلوا إلى الفاهة ، ويذكر البكرى بانه « لما دخل عليهم الربيع اعتلوا واستوبوا الموضع ، فركب البحريون من أهل الاندلس مراكبهم ، واظهروا لمن بقى منهم انهم يمتارون ، فحيث نزلوا مريه بجانه ، وتغلبوا عليها ^(٢) .

(١) الدرر : ترصيع الأديار ، ص ٨٦ .

(٢) البكرى « أبو عبد الله بن عبد العزيز » : المغرب ودمشق بلاد المغرب والمغرب ، نشر دى سلان ، الطبعة الثانية ، باريس ، ١٩١١ ، ص ٦١ .

وهذا الحديث ينقلنا إلى التعرض لبدء ظهور البحريين في الاندلس . فقد كان معظم هؤلاء البحريين الاندلسيين من أصول اسبانية واقلمهم عرباً وبربراً^(١) ، توفرت لديهم خبرات بحرية لا حد لها توارثوها جيلاً بعد جيل ولحمة أثر لحمة ، وعمد هؤلاء البحريون إلى تأسيس قواعد لهم على طول الساحل السالمى الشرقى ما بين طرطوشه وبلنسية شمالاً والساحل الجنوبى الشرقى عند الموضع الذى قامت عليه مريّة بجانة بعد ذلك جنوباً ، وتزعمهم امير مرقسطه^(٢) ، ومضوا يشتغلون لحسابهم الخاص .

وكان هؤلاء البحريون ينزلون مرسى أشكوبرس Escombreras الواقع فى خليج قرطاجنة الخلفاء ، وقبل ان يستقر بهم المقام فى مريّة بجنة^(٣) . وعلى الرغم من قيام هؤلاء البحريين احياناً بنقل بعض السلع التى ينتجها الاندلس إلى المغرب ووسق سفنهم من سلع المغرب ، فان عملهم الاعظم الذى انصرفوا له كان يستهدف الجهاد البحرى ، فكانوا يغزون السواحل

(١) Levi-provenccl (E) : Histoire de L'Espagne Musulmane ,

T 1 , Paris , Leiden , 1950 , P. 249.

وأنظر أيضاً سالم « بالاشتراك مع أحمد مختار العبادى » فى ، تاريخ البحرية الاسلامية فى المغرب والاندلس ، بيروت ، ١٩٦٩ ، ص ١٥٢ .

(٢) لويس « ارشيدالد » القسوى البحرية والتجارة فى حوض البحر المتوسط ، ترجمة أحمد محمد هبسى ، مراجعة وتقديم محمد شفيق غربال ، مكتبة النهضة العربية القاهرة ، ١٩٦٠ ص ٢٢٩ ، وأنظر أيضاً السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ الاسكندرية وحضارتها فى العصر الاسلامى ، الطبعة الثانية ، دارالاعراف ، ١٩٦٩ ، ص ١٣٥ .

(٣) البكرى المصدر السابق ، ص ٨١ .

الكارولنجية بوجه خاص مستغلين في ذلك تفكك قوى الكارولنجيين البحرية في أواخر أيام لويس التقي ، واضمحلال نفوذهم على شمال إيطاليا منذ النصف الأول من القرن الثالث الهجري (منتصف القرن التاسع الميلادي) (١) .

ويرجع بداية اشتغال البحريين الاندلسيين بغزو السواحل الكارولنجية ونهبها أو ما يسمية الغريون تعصبا ضد العرب بالقرصنة (٢) . على سواحل إيطاليا وفرنسا الجنوبية وجزر البحر المتوسط مثل صقلية واقريطش الى أيام الحكم الرضى . ولكن ينبغي ان نشير هنا الى ان اعمال هؤلاء الغزاة لم تكن تتم بموافقة رسميه من حكومة قرطبه (٣) وقد بدأت غاراتهم في عام

(١) ارشيبالد لويس : القوى البحرية ، ص ٢٢٩ .

(٢) « قرصنة العرب » ، عبارة خاطئه ينبغي أن تصحح وقد وقع فيها معظم المؤرخين الأوربيين عن قصد ، واصرارهم عليها لا يخلو من روح التعصب ، مع ان المعروف ان العرب لم يكونوا في يوم من الأيام قرصنة وانما كانوا مجاهدين في البحر ، وانما الذى حدث هو ان القرصان انتشروا في حوض البحر المتوسط الشرق والغرب عقب اضمحلال الدول الاسلامية وبعدها عن السيطرة على البحار منذ بداية القرن الخامس « الحادي عشر الميلادي » ، وكانت جماعات القرصان تتكون من جنسيات مختلفة ، فكانت فيهم اعداد عظيمة من اهل إيطاليا والبلقان وجنوبي فرنسا والمغرب وربما كان المغاربة أقل عدداً من غيرهم ، ولكن البابوية عمت القرصنة على البحريين المسلمين عرباً أو مغاربة الى تلب مشاهير السخط عليهم ، (بينز « نورمان ») الامبراطورية البيزنطية - توم ريب - ص ١٠١-١٠٢ ومحمود يوسف زايد ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٠ ، ص ٣٦٨ ، ١٥ .

(٣) Lévi-povencal : Histoire, T. 1, P. 244.

وأنظر أيضاً ، سالمى ، تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والأندلس ، ص ١٠١-١٠٢

١٨١ هـ (٧٩٨ م) على جزر البليار التي يبدو انها تطلت انذاك عن تحالفها القديم مع بيزنطة ، والتمست حماية الكارولنجيين . وفي السنة من ١٨٩ هـ - ٢٠٠ هـ (٨٠٦ - ٨١٥ م) ، قاموا بهجمات بحرية منظمه على قورشقه والسواحل الكارولنجيه ما بين مصبي نهر التير ونهر الرون ، وفي عام ١٩٨ هـ (٨١٣ م) شنت قوة بحريه اندلسيه هجوما عينا علي نيقة (نيس) وشيفيتافسكيا « Civita Vecchia » وقورشقه ، الا انها تعرضت اثناء قـولها من الغزو بالقرب من ميورقة لهجوم مناجي ، شنت عليها اسطول فرنجي كان يطارددا بقيادة كونت امبورياس وتمكن الفرنجة من استعادة خمسائه اسير قورشقي ، كان قد اسرهم المسلمون في غزوات سابقة (١) . وفي عام ٢٠٠ هـ (٨١٥ م) تعرضت جزر البليار الواقعه تحت حماية الفرنجة وتنداك لغارة بحرية اسلامية (٢) وواصل المسلمون توجيه ضرباتهم لهذه الجزر الى ان قبلت في النهاية ان تدخل في فلك الدولة الامويه في سنة ٢٣٤ هـ (٨٤٨ م) ، وتعهدت بعدم التعرض لسفن المسلمين وقد ترتب على ضعف سلطان الكارولنجيين على طول الساحل الفرنسي الجنوبي ان تجرأ مغامرو المسلمين علي اتخاذ قاعدة لهم شبه دائمه هناك تتمثل في جزيرة كامرج « Camargue » عند مصب نهر الرون وقد نجحوا في التوغل من هذه القاعدة الى الداخل حتى بلغوا آرل عام ٢٤٦ هـ (٨٦٠ م) ، وبما استمرت اقامتهم بصفه شبه دائمه بعيدا عن الساحل عند

(١) ارنيبالد لويس : القوي البحرية ، ص ١٦٤ وما يليها ، وأنظر أيضاً ، الأمير شكيب أرسلان ، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط ، مصر ١٢٥٢ هـ ، ص ١٤٠ ، و « شيفيتافيا » Civita Vecchia اصطلاح لاتيني يعي المدينة العتيقة .

(٢) ارنيبالد لويس : المرجع السابق ، ص ١٦٢ .

خرائب مدينة « ماجلون » ، كما تمكنوا في عام ٢٧٥ هـ (٨١٨ م) من تأسيس قواءند أكثر ثباتاً في فراكسنيث « Faxinetum » على ساحل بروفانس^(١) .

ويتبغى ان تشير هنا الى أن أعظم مغامرات القاءات للبحر بين الاندلسيين طرافة في النصف الشرقي من حرض البحر المتوسط تمت في عام ١٩٩ هـ (٨١٤ م) بقيادة أبي حفص عمر بن شعيب البلوطي عندما تمكنوا على اثر إحدى غزواتهم في بحرايجه من احتلال مدينة الاسكندرية والسيطرة عليها قرابة اثني عشرة سنة^(٢) ، ثم أرغمهم عبد الله ابن طاهر بن الحسين على الخروج منها^(٣) ، فأبحروا شمالاً نحو جزيرة اقريطش وتمكنوا من الاستيلاء عليها في عام ٢١٢ هـ (٨٢٧ م)^(٤) .

كذلك لعب البحريون الاندلسيون بقيادة اصغ بن وكيل الهواري المعروف بـرغلوش دوراً هاماً في تمكين الاغالبه من افتتاح جزيرة صقلية

(١) ارثيبالد لويس ، القوي البحرية ، ص ٢٣٠

(٢) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الاسلامي ، ص ١٣٨ ومما بعدها .

(٣) نفس المرجع ، ص ١٤٢ .

(٤) نفس المرجع ، ص ١٤٤ ، اقريطش : جزيرة تتميز بموقع استراتيجي ممتاز في وسط البحر المتوسط الشرقي ، وقاعة من أخعب جزر اليزنطين ، راجع « ابراهيم أحمد العدوي : اقريطش بين المسلمين واليزنطين في القرن التاسع الميلادي ، « المجلة التاريخية المصرية » ، اكتوبر ١٩٥٠ ، المجلد الثالث ، العدد الثاني ،

وذلك في عام ٥٢١٤ م (١٢٩٩ م) (١)

ونستطيع ان نخرج من كل ما سبق بحقيقة تاريخية لها دلالتها وهي ان جماعات البحرين كانت تشكل قوة بحرية تجارية وحرية وانها كانت قوة لها مهارتها في فنون البحر وفنون القتال البحري واعظم شاهد على ذلك تلك الغزوات المتواصلة التي كانت توجهها على سواحل جنوب فرنسا وشمال ايطاليا ودورهم في الاستيلاء على الاسكندرية واقريطش واشتراكهم مع قوات الاغالبه في نتج جزيرة صقلية ، ولم تكن هذه الاعمال تتم بموافقة رسمية من حكومة قرطبة ، وان كانت لم تلق اعتراضا من هذه السلطات الاميرية .

ومن الجدير بالذكر ان جماعه البحرين الاندلسيين وفقت في تأسيس قاعدة بحانة دون ان تلقى اى عون من السلطة المركزية التي فقدت ظلها انذاك على معظم اقاليم الاندلس ، ولم تكن هذه القاعدة تعدو بادىء ذى بدء موضعا محدودا يقع بالقرب من وادى اندرش Rio Andarax عرف بمرية بجانه ، ويبدو ان المدينة الرومانية القديمة Urci اجتذبت انظار البحرين الاندلسيين بموقعها الممتاز الذى يبعد بعض الشيء عن الساحل ، فانتقلوا اليها بعد ان اتفقوا على ذلك مع عرب ارش اليمن ، وتباحثوا معهم في اقامة ما يشبه الجمهوريه البحرية تضم أرش اليمن ومراسيه ومحارسة ، لمواجهة أى اعتداء بحرى يقوم به اى عدو من اعداء الدولة الاندلسيه (٢) . ولم يلبث البحريون ان

(١) السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ٢ ، الدار القومية للطباعة والنشر

١٩٦٦ م ، ٣٨٩ ، وراجع أيضاً ، أحمد مختار العبادي : دواست في تاريخ

المغرب والأندلس ، الطبع الأولى ، ١٦٨ ، م ٢٥٢ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة ازريه ، م ٢٢ — ٢٣ .

تغلبوا على ما كان فيها من العرب وصار الامر لهم في بجانة ، ثم حوطوا حاراتها المفترقة بسور^(١) . ويظهر ان هذا السور اقيم بعد سنة ٥٢٧٧ هـ (٨٩٠ م) وهي السنة التي قدمت فيها قوات سعيد بن جودي ، سيد عرب البيرة ، لمهاجمة البحرين فيها ، استنادا الى قول ابن حيان انها كانت « مدبره لم يضرب بعد عليها سور »^(٢) ، اي انها كانت تتألف من دروب وحارات غير مسورة .

وقد اهتم البحريون بمصير بجانة وتعميرها ، واتخذوا من قرطبة حاضرة الاندلس إنموذجا احتذوه في بجانه ، ويفسر الحميري ذلك بقوله : « وامتلوا في ذلك بينه قرطبة وتريتها ، وجعلوا على احد ابوابها صورة تشاكل الصورة التي على باب القنطرة »^(٣) وكان يعلو باب القنطرة في قرطبة تمثال للعنزة ، الذي يقول فيه ابن عذاري : « وهي العنزة صاحبة قرطبة التي وضع أقدم حكمائهم صورتها فوق باب مدينتها القبلى وهو باب القنطرة »^(٤) ، ويستتبع الاستاذ ليفى بروفنسال من ذلك ان بجانة كانت تضم جماعة من البحرين النصراني رانهم اقاموا كنيسة لهم^(٥) . ويعلق الاستاذ الدكتور السيد عبد

(١) الحميري : الروش المطار ، ص ٣٨ ، وأنظر أيضاً ، سالم : المرجع السابق ،

ص ٢٢ .

(٢) ابن حيان « أبو مروان » : المقتبس في تاريخ رجال الأندلس ، القسم الذي

نشره الألب ملشور أنطونيا ، باريس ، ١٩٣٧ ، ص ٨٩ .

(٣) الحميري الروش المطار ، ص ٣٨ .

(٤) ابن عذاري « أبو عبد الله محمد » : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ،

تحقيق ليفى بروفنسال ، ج ٣ ، دار الثقافة ببيروت ، لبنان « بدون تاريخ » ،

ص ١٤ .

Lévi-provençal (E) : Histoire de L'Espagne Musulmane, T.I, (٥)

P. 352.

العزیز سالم على ذلك بقوله : « بان استنتاج الاستاذ لينى برودنسال لا يخلو من مبالغة نليس من الضروري ان يكون ذلك دليلا على ان المربه المحدثه كانت تضم جماعة من البحريين النصارى ، وانهم اقامه اكنيسه لهم ، فقد يكون هذا التمثال المنصوب على باب بجانة مجرد تقليد للتمثال المنصوب على باب القنطرة بمدينة قرطبه امما في تقليد هذه الحاخمة ، يؤكد ذلك قول الحميرى ، « وامتثلوا في ذلك بينيه قرطبة وترتيبها » (١) ، مما يعد اصدق دليل على اعتبار ان قرطبة كانت تمثل في ذلك الوقت قمة الرقى والازدهار في الفن والعمارة ، ومن ثم كان انجاء البحريين الى الاخذ بتقليدها واتباع نمط عمارتها بنصب تمثال على باب بجانة تقليدا للتمثال الذى كان قائما على باب اشنطرة بقرطبة ، وفي عصر الناصر اقيمت مدينة الزهراء التى كان يقوم على أحد ابوابها تمثال للزهراء يمثل امرأة لعلمها فينوس الرومانيه (٢) .

وقد تولى رئاسة البحريين ببجانة في عهد الامير عبد الله ، زعيم منهم يدعى عبد الرازق بن عيسى ، ولم يلبث هذه القاعدة ان اتسعت وكثرت مرافقها وحصونها بعد ان اتبعت اليها عناية الدولة وذلك في بداية عهد الامير المنذر بن محمد ٢٧٠ هـ (٨٨٦ م) ، الذى منح اهل بجانة من البحريين والعرب الحق في توسيع رقعة بلدهم بضم القرى والحصون المجاورة مثل : حصن برشانة المنيع في الشمال وحصن ناسر في الشرق وحصون الجمه والحامية وبني طارق في الغرب (٣) ، وبذلك اصبحت هذه الحصون تسيطر على الطريق البرى

(١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة الزهراء ص ٢٠ وما يليها .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس ، ج ١ ، ص ٢٢٦ .

(٣) ابن حيان : المقابس ، نشر الأب ماشوراطونيا ، ص ٥٣ .

الرحيد الموصل ما بين بجانة ووادي آش من جهة الغرب ومرسية من جهة الشمال الشرقي^(١).

ومنذ ان الت الرناسة في بجانة الى البحرين ، ازدهرت هذه المدينة ازدهار كبير! بفضل اسطولها الراسى بخليج مريتها ، « فأمتها الناس من كل جهة وانجفلوا اليها من كل ناحيه ، نارين من الفتن التي كانت اذذاك شاملة ، فكانت أمنا من قصدها ، وحرما من لجأ اليها ، وكانت الميره تجلب اليها من العدو ، وضروب المرافق واستجارات ، وكان ذلك ايضا من الاسباب الداعية الى قصدها واستيطانها وصار حولها ارباض كثيرة »^(٢).

واتخذ للمدينة جامع ، بناد عمر بن اسود الغساني ، ويذكر العنري (ق ٥٥) ان « فيه قبوا عاليا فيه احد عشر حنية مصنوعة على اربعة اعمدة مقش اعاليه كله بنقوش عجيبة وصنائف غريبة ، وبشرقي القبة ثلاث بلاطات وبغربية اربع بلاطات اوسع من الشرقية والمحراب والمنبر داخل القبة ، رفي صحن الجامع بئر عذب »^(٣). في حين يقول فيه الحميري (ق ٨٨) : « فيه قبوء على قبه فيها احدى عشر حنيه منضربه على اربعة عشر عمودا »^(٤).

ولعل هذا الاختلاف وقع مع مرور الزمن

وزخرت مدينة بجانة بالمنشآت وعمرت بالاسواق والمدرافق وفي ذلك يقول الحميري : « بأنه كان بمدينة بجانة احدى عشر حماما ، وطرز حريز ومتاجر رابحة وكان يذهب الوادي الاتي من شرقيها كثيرا من ارباضها

Lévi-pronencal : Histoire, T I, P. 354.

(١)

(٢) الحميري : الروض المطار ، ص ٢٨ .

(٣) العنري : ترصيع الأخبار ، ص ٨٧ .

(٤) الحميري : الروض المطار ، ص ٢٨ .

واسوئقها عند جملة» (١)

ولكن بجانه لم تنعم كثيرا باستقرارها وهدوئها اذ مالبث ان تعرضت لهجمات سوار بن حمد بن المحاربى امير العرب بغرناطة من كورة البيرة ، الذى طمع فى اخراج البحرين من موطنهم بجانه لحقده عليهم بسبب التفاف الناس حولهم ، وانتصاراً لقومه الغسانين منهم ، ويعبر ابن حيان عن ذلك بقوله: . . . واجتماع الناس اليهم ، واستخفافهم بمن جاورهم من العرب الغسانين واستطاعتهم عليهم ، وخوفهم منهم على انفسهم لقلة عددهم» (٢) . لذلك استعد سوار فى عام ٥٢٧٦هـ (٨٨٩ م) لغزوهم فى عرب البيرة ، وعندما علم رئيسهم عبد الرازق بن عيسى بخبر تأهب سوار لغزوه ، خاف على مدينته من عرب البيرة ورهب ما عرف من شدة باس سوار ، فعد الى مهادنته ومسالمة ، فبعث بجامعة من وجوه البحرين المقيمين بجانه الى العرب الغسانين لتصفية الخلاف والاعتذار عما بدر من تصرفات غير لائقة من سفهاء قومه ، وطالب منهم الاجتماع بسوار لاستلطافه وابداء رغبتهم اليه « . . . فى الانصراف عنهم وموافقتة على اجمال عشيرتهم» (٣) ، وقد اسفرت هذه المساعي عن استجابة عرب بجانه الغسانين الى رجاء عبد الرازق بن عيسى ، فارسلوا وفدا منهم على رأسه سعيد ابن أسود وخشخاش ابنه ، وعبد بن عمر بن أسود ابن اخيه ، وابو الادهم بن مخلد الغسانى الى سوار ونجح هذا الوفد فى اقناعه بالانصراف عن غزو بجانه والعودة الى غرناطة (٤) .

(١) الجبرى المصدر السابق ، ص ٣٨ ، وقد ذكر العنرى أيضاً أنه كان فى مدينة بجانه

أحمد هنتر هاماً ، « ترسيم الأخبار ، ص ٨٧ » .

(٢) ابن حيان : المقتبس تحقيق الأب ملشور ، ص ٨٨ .

(٣) ابن حيان : نفس المصدر والصفحة .

(٤) نفس المصدر والصفحة .

ولكن البحريين في بجانه لم يلبثوا ان عاودوا التجرش بالفسانيين بعد ان بلغهم نبأ مصرع سوار في عام ٢٧٧ هـ (٨٩٠ م) ، فكاتب الفسانيون ابن جودى خليفه سوار بغرناطة يستنم ضموه لغزو البحريين ، ولم يكتفوا بذلك بل قصدة وفد منهم ليحرضوه على غزو بجانه ، « نخف معهم ، وجاء الى بجانه وهى مدربة لم يضرب بعد عليها سور ، فجار بهم فيها اياما قارشوة فيها ، فلم يظفر بهم بطائل » (١) . وبينما كانت الحرب قائمة بين عرب غرناطة والبحريين في بجانه ، انتهز شنير Sunier II قومس امبـورياس Comte d , Ampurias بقطلوقة هذه الفرصة ، وقدم فى خمسة عشر مركباً ارفأت بساحل المربه فرضة بجانه ، واحرق عدد كبير آمن السفن الاسلاميه الراسية فى خاييج المرية ، وعزم على التقدم الى بجانه لنهب المدينة ، ولكنه وجد مقاومة عنيفة اذ تسلل البحريون اثناء الليل من بجانه وقصدوا المرية ، واشتبكوا مع القطلانيين فى معركة قتل فيها احد كبار البحريين وهو خلف بن زهرى بالحوض ، وانتهت هذه المعركة بجنوح القطلانيين الى الصالح مع البحريين وتم ذلك على يدى عبد الرحمن بن مطرف الحاج ، وانصرف شنير عنهم بسفنه ، وعاد البحريون الى بجانه ، فظن جودى ان مددا جاءهم ، فرحل عنهم مسرعاً (٢) .

(١) ابن حيان ، القتبس ، تحقيق الأب ماشور ، ص ٨٦ .

(٢) نفس المصدر والصفحة ، « أمـورياس » « Ampurias » اسم مدينة فينيقية قديمة ، ثم يونانية عمرها أهل صور وصيدا وأرض قطلوقة ، تقع على الساحل الشمالى الشرقى لاسبانيا شمالى برشلونه ، وكانت خارجة عن الدولة الاسلامية فى اسبانيا ودانلة فى كونية برشلونه ، راجع « الامبرشكيب أرسلان : —

ونجاح البحريين في مواجهة هذه الغارة البحرية الخطيرة ، اكتسبوا هبة جيرانهم لهم راسبت عليهم انتصاراتهم صناد من البطولة والقوة ابدت عنهم طمع جيرانهم .

وظلت بجانه محتفظه بعظمتها طوال النصف الاول من القرن الرابع الهجري ، ولكنها اخذت تفقد اهميتها امام فرضتها المريه التي اخذت مكانتها تزداد شيئا فشيئا الى أن أصدر الخليفة عبد الرحمن الناصر أمره بتأسيسها في عام ٥٤٤ هـ (٩٥٥ م) ولم تلبث المريه بعد انشائها ان اصبحت من اهم مراسى الاندلس واكثرها عمرا ، واصبحت هي وبجانه على حد قول ياقوت الحموي « بابي الشرق » ^(١) فمن المريه كان « يركب التجار وفيها تحل مراكب التجار ، وفيها مرزأ للسفن والمراكب » ^(٢) . ولم تلبث مكانه بجانه ان انحسرت منذ بداية القرن الخامس الهجري بعد ان « كانت كرسى الممالك الى ان ضعفت » ^(٣) وعظمت المريه فصارت بجانه تابعه .

ولم تقو بجانه ان تواجه الفتن الضاربه التي طحنت الاندلس وانتهت بسقوط الخلافة الاموية ، وعلى حد قول العذري : خربت مدينة بجانه ، وذهب باقى عمارتها في سنة تسع وخمسين واربعمائة ^(٤) .

== تاريخ غزوات العرب ، ص ٩٢٩ ، ١ هـ ، حسن مؤنس : تاريخ الجغرافية

والجغرافيون في الأندلس ، معهد الدراسات الإسلامية ، مدريد ، ١٩٦٧ . ص

٢٨٩ ، أحمد مختار المادى دراسات ، ص ٢٥٢ ، ٣ هـ .

١ : ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الخامس ، ص ١١٩ .

٢ : نفس المصدر والخزء والصفا .

٣ : ابن سعيد : المقرب ، ٢ ، ص ١٩ .

٤ : العذري : ترصيع الأخبار ، ص ٨٧ .

وبأضحلال مدينة مدينة بجانه ، عظمت المربة وازدهرت وانتقلت اليها
قاعدة الاقليم .

ثالثا : المربة اهم قاعدة بحرية لاسطول الاندلس في البحر المتوسط

مما لاشك فيه ان طبيعة الوضع الجغرافي للاندلس كشبه جزيرة ، يحيط بها
البحر المتوسط من الجهتين الشرقية والجنوبية الشرقية والمحيط الأطلسي من
الجهات الجنوبية الغربية والشرقية الشمالية الغربية (١) ، ساعدت على توجهه
أهلها بأبصارهم نحو البحر ، كما أن سواحلها المتعرجة وكثرة خلجانها
وأجوائها ساعدت على تعدد مراسيها التي تصاح لارساء السفن وإيوائها بعيداً
عن تيارات البحر وأنوائه (٢) . ومن هذه المراسي : بنشكله ، وبلنسيه ،
وشاطبه ، ولقنت وقرطاجنة الخلفاء مرسى مرسيه (٣) ، ومرسى محمله من عمل

(١) الادريسي : المغرب وأرض السودان ، ص ١٧٣ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والاندلس ، ص ٧٢ ،
الحون « بفتح الميم » ، وهو الخلد الناتج عن امتداد مياه البحر في الأرض ،
راجع : Dozy . Supplement, I, 235 a .

(٣) ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٧٤ ، قرطاجنة الخلفاء ، توحد ثلاث مدن بهذا
الاسم احداها الواقعة بأفريقية قرب تونس الحالية ، بينما تقع الثانية والثالثة
بالاندلس ، وهما قرطاجنة الجزيرة عند جبل طارق ، وهي مدينة قديمة مهجورة ،
وقرطاجنة الخلفاء في اتليم مرسى وهي ميناء صالح لارسو ، راجع « الجهمي :
الروض العطار ص ١٥١ - ١٥٢ ، كيليبياسار تالي تشركوا . شاهد العامري . قائد
الاسطول المروري في غرب البحر المتوسط في القرن الخامس الهجري ، القاهرة ،
١١١١ ، ص ١٨٥ ، ص ١٨٦ » .

بجائه ، ومرسى المربه ، ومرسى بزليانه من عمل كورة ديه (١) ، ومرسى جبل طارق ومرسى الجزيرة الخضراء ، ومرسى النيزه ومرسى عذره ، ومرسى بليسانه ، ومرسى القروج ، ومرسى شلوبينيه ومرسى المنكب ، ومرسى مربة باش (٢).

وقد فرضت هذه الطبيعة الجغرافية عليها انتهاج سياسة بحرية معينة لحماية سواحلها وثورها من طمع الطامعين ودرءا لغزوات المغاصرين من الشعوب الشمالية ، ومن ثم كان يتحتم على اهل الاندلس ان تكون لديهم قوة بحرية ممتازة قادرة على الذود عنها وحمايتها ، إلا ان الدولة الاموية منذ قيامها لم تظهر اهتماماً بتكوين قوة بحرية تعتمد عليها في اوقات الخطر لعاملين : أولها ، انصراف امراء قرطبه إلى تمكين نفوذهم ودعم السلطة المركزية تجاه الحركات الانتزائية داخلياً ، وفي نفس الوقت اعتماد سياسة دفاعية أو هجومية - حسب مقتضيات الحال - ازاء الممالك المسيحية في شمال اسبانيا ، واما العامل الثاني فهو اطمئنان الدولة الاموية في الاندلس إلى جانب البيزنطيين لاشتراكهم مع الامويين في الاندلس في معاداة العباسيين ، وقد ظلت العلاقات الودية قائمة بين قرطبه وبيزنطة طوال العصر الاموى ، وفي نفس الوقت ساءت

(١) ابن حيان « أبو مروان » : المقتبس ، القسم الثاني « من عصر المستنصر » ، تحقيق عبد الرحمن الحجي ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ١٩٦٥ ، ص ٢٩ وما يليها ، « وبزليانه » Ventas de Bezmiliana قرية على ساحل البحر المتوسط أى على الساحل الأندلسى الشرقى ، بينها وبين مالقة Malaga ثمانية أميال « الحميرى : الروض انمطار » ، ص ٤١ ، ابن حيان ، المصدر السابق ص ٤١ ،

العلاقات بين الاميريين في الاندلس والكارولنجيين^(١) لفترة طويلة بسبب سيطرة الاندلس في عصر الامارة على القطاع الجنوبي من ولاية سبتانيا ، وحدث تقارب بين الكارولنجيين والعباسيين ، ولهذا السبب اطمأن امراء قرطبه إلى جانب البيزنطيين ولم يحسوا بحاجتهم إلى تكوين قوة بحرية تحمى سواحلهم ، الا ان هذا التقصير في الامور البحرية كان وقفاً على الساطرة الاموية الحاكمة .

وإذا كانت الدولة الاموية قد انصرفت عن الاهتمام بالقوة البحرية اكتفاء بالنشاط البحري الذي يمارسه غزاة البحر الاندلسيين ، فان ذلك لم يستمر طويلاً ، فسرعان ما عدلت الدولة عن موقفيها السلمي من التنظيم البحري بعد الغزوة النورماندية على سواحل الاندلس في عام ٢٢٩ هـ (٨٤٣ م) ، فصرفت الاسراء منذ هذا التاريخ جهداً كبيراً من جهودهم لانشاء السفن الحربية ، وذلك عندما اصدر عبد الرحمن الاوسط امره في عام ٢٣٠ هـ (٨٤٤ م) ، بانشاء دار صناعة اشبيلية^(٢) ، كما اهتم هذا الامير منذ ذلك التاريخ بنظام الرباطات والطلائع والمحارس الساحلية على طول سواحل الاندلس لحمايتها من الغارات البحرية التي كان يقوم بها الاعداء^(٣) .

والاربطة ابنية ذات خاصيتين إحداهما حرية والاخرى دينية ، ففيها كان يتجمع اهل الرباط لتحقيق امرين الأول ، إعداد أنفسهم للجهاد في سبيل الله عن طريق التعبد وذكر الله بصوت عال ، والثاني حراسة الرباط والتأهب

(١) لويس « ارشبالد » : القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ص ٢٢٨ وما يليها .

(٢) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس ، ص ٦٧ وأنظر أيضاً ، سالم : تاريخ مدينة المريه ، ص ٢٥ .

(٣) أحمد مختار العبادي : دراسات في تاريخ المغرب والأندلس ، ص ٢٦٦ .

حربياً لمقاتلة أعداء الاسلام ، وكان الدعاء والتكبير من سمات المراقبة ، وفي ذلك يقوم الصوفي الغرناطي ابن ابي زمنين : « ورأيت أهل العلم يستحبون التكبير في العساكر والغزوات والمرايات ، دبر صلاة العشاء وصلاة الصبح تكبيراً عالياً ثلاث تكبيرات ، ولم يزل ذلك من شأن الناس قديماً » (١) .

وكان القائمون على الحراسة ليلاً يعرفون باسم السمار (٢) ، وجرت العادة ان يقوم السمار بعملهم في مراقب الالية ملاحظة الرباط يطلق عليها اسم منائر (٣) ، او في اماكن مرتفعة قريبة منه لكشف سفن العدو من مسافة بعيدة ، وكانت هذه المراقب او الربط او المناور تعرف ايضا باسم الطلائع أو الطوالع (٤) ، فكانت على اولئك السمار او المراقبين اذا ما كشفوا عدواً مقبلاً في البحر من بعيد اشعلوا النار على قمم المنار او الطلائع ان كان الوقت

(١) ابن ابي زمنين : كتاب تدويع العزى ، مخطوطة من أحمد مختار العبادي ، دراسات في تاريخ المغرب والاندلس ، ص ٣٠٠ .

(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ، ص ٢١ ، راجع أيضاً الفائق شدي « أحمد

ابن علي » : صبيح الاعشى في صناعة الانشاء ، القاهرة ١٣٨٠ هـ ، ص ٢١٧ .

(٣) منائر جمع منار وهو برج اسطوانى الشكل أو مربع ينتهى من أعلى بقبة تملأ غرفة مفتوحة بداخلها موقد توقد فيه النار للاندفاع أو بانقراض العدو ، من أمثلة هذه المنائر منار خلف العتيبة سنة ١٥٠٥ و « راجع سالم ، المغرب الكبير » ص ١٥٣ وما يليها .

(٤) Dozy (R.) : Supplément aux Dictionnaires Arabes T.

II. p. 55. Atalaya جمع طائفة أو طائفة

ليلاً^(١) ، أو اثاروا فيها الدخان ان كان الوقت نهراً ، وقد يستخدم اهل الرباط الطبل والنفير لتحذير اهالى المدن المجاورة من غارة العدو ، وكثيراً ما استعمل الم رابطون اشارات نارية أو دخانية بطرق أو حركات معينة للاخبار عن حالة العدو أو عدده أو جنسيته أو غير ذلك ، وبهذه الطريقة كان من الممكن ارسال تحذير أو نذير^(٢) .

ولقد اقتبس الاسبان نظام الم رابطه عن جيرانهم المسلمين منذ وقت مبكر ، فدخل لفظ رباط العربى فى اللغة الاسبانية ومنه اشتقت كلمة Rebats أى الرباط arrebator أى يرباط ويقا تل ، Tocar el rebato وتعنى الانذار بغارة معادية ، كذلك استخدموا نفس الوسائل والادوات باسمائها العربية مثل الطلائع Atalaya والمنارة Almenara والنفير Anafil ، إلا انهم زادوا عليها استعمال النواقيس التى تقابل الطبول عند المسلمين^(٣) .

ومن اهم الربط الساحليه الاندلسيه رباط المريه الذى كان النواة العمرانيه لمدينه المريه ، وكان الناس يرباطون فيه لحماية مدينه بجانه من غارات النورماندين ، وذلك استناداً إلى قول الحميرى : « وكان المجوس لما قدموا المريه ، وتطوفوا بساحل الاندلس والعدوة ، فاتخذها العرب مرأى ، وابتدئوا بها محارس ، وكان الناس ينتجعونها ويرباطون فيها^(٤) » ، وفى هذا المعنى

(١) الادريسى : صفة المغرب ص ١١٨ ، وصف الادريسى قمة البرج فيقول : « وعليه

برج مسمى بالحجارة مصنوع لوقيد النار فيه عدد ظهور العدو والبحر » (٢) نفس

المصدر والصفحة) .

(٢) أحمد مختار الامادى : دراسات ، ص ٣٠١ .

Asin (Oliver) : Origen y a b e del rebato, Madrid, 1928, p. 27. (٣)

راجع أيضاً ، أحمد مختار الامادى : دراسات ، ص ٢٠١ .

(٤) الحميرى : الروص المعطار ، ص ١٨٣ .

ذكر العذرى : « وابتدئت فيها محارس وكسان الناس ينتجعونها ويرابطون فيها ولا عمارة فيها يومئذ ولا سكنى ^(١) » .

وفي شرق المريه وجد رباط ساحلى آخر عرف برابطة القابطة او القبطه ولعلها قابطة بنى الاسود التى أشار إليها البكرى كموضع بجوار مريه بجانه ^(٢) ويرى الاستاذ ليني بروفنسال انها تقابل اليوم الموضع المعروف باسم Cabo de Gata ^(٣) كذلك يشير ابن البار إلى رباطات اخرى أقيمت بجوار المريه دفن فيها عدة من الفقهاء والزهاد والمجاهدين مثل رباط عمروس ورباط الخشنى وغيرها ، كل هذا يدل على ان المريه شأنها فى ذلك شأن مدن المغرب الهامة ، كانت محاطة بسلسلة من الرباطات الساحليه لحمايتها من أى عدوان باعتبارها قاعدة الاسطول الاندلسى ^(٤) .

أما إهتمام الدولة الاموية فى الاندلس بالبحرية الحربية فيبدأ منذ عام ٢٢٩ هـ (٨٤٣ م) عندما تنبه الامير عبد الرحمن الاوسط إلى اهمية وجود بحريه اندلسية وذلك فى اعقاب الغارة النورمانديه الاولى فى عام ٢٢٩ هـ (٨٤٣ م) على سواحل الاندلس الغربية ^(٥) والجنوبية حيث نزلوا بشفر

(١) العذرى : ترصيع الاخبار ، ص ٨٦ .

(٢) البكرى : المغرب فى ذكر بلاد أفريقيا والمغرب ص ٨٩ .

(٣) Levi-provençal : Histoire, T. II, P. 170.

(٤) أحمد عتار العبادى ، دراسات ص ٢٩٧ وما يليها .

(٥) شن هذه الغارة المجرسوس الاردمانيون ، ويطاق عليهم الدوران ويعرفون باللغة

الاسبانية Normandos او Wikings ، يقابل ذلك بالانجليزية

Norsemen او Vikings ولعل التسمية الاولى اكثر استعمالا فى الاسبانية

والثانية شائعة فى الانجليزية ، فكلا التسميتين تعي سكان الشمال والمقصود بهم —

الأشبونة (١) ، في أربع وخمسين مركباً عززتها بعد ذلك ست وعشرون مركباً أخرى فبلغت جملة مراكبهم ثمانين ، كما نما ملأت البحر طيراً

= سكان الدول الاسكندنافية الذين اشتهروا بنشاطهم الحربى البحرى ، وتسمى كلمة Vikings فى الاصل اللغوى سكان الخليجان وهى مشتقة من الكلمة النرويجية Vik التى تعنى ساكن الخليج ثم اطلقت كلمة Vikings على سكان شبه الجزيرة الاسكندنافية وندافترت غزوات النورمان بأعمال القتل والحرق والنهب ، اذ كانوا يندفعون الى البحر ، حيث اضافوا الى ا مهم مصدرا حديدا الرطب ، فكانوا ينقضون فجأة كما ينقض النسر فيقبضون على فريستهم ، ثم يعودون أدراجهم الى حيث يطويهم طالم المجهول ، وقد اصبح الغموض الذى يكتنفهم مضاعفا كما كان الرعب الذى يذشرونه مضاعفا كذلك ، ويعود هذا الشعب فى اصله الى الجرمان او التيتونيين وينقسم الى ثلاث مجموعات : (١) السويدبون (٢) النرويجيون (٣) الدانيون « الدانمركيون » وكانت للظروف الجغرافية وغيرها اثر فى الوجهة التى قصدها كل منهم فى نشاطه الحربى او التجارى ، والمجموعة الثالثة (النورمان ، الدانيون) هم الذين هاجوا سواحل شبه الجزيرة الاسبانية « اسبانيا والبرتغال » وافريقية احيانا ، وهم الذين تحدث عنهم ابن حياث واطلق عليهم المؤرخون المسلمون فى الغرب الاسلامى اسم المجوس او الاردمانيون او كاهبا ، واما تسميتهم بالمجوس التى تطلق اصلا على الزرادشتيين عبدة النار فلان النورمان حين غزوا الاندلس كانوا يكتفون من اعمال النار فظن المسلمون هناك انهم يعبدون النار راجع (سعيد عبد الفتاح طامور ، ادريا فى العصور الوسطى ، ١٠ القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٢١٠ ، ابن حياث : المتنبس ، تحقيق عبد الرحمن الحنبلى ، تعليق ص ٢٤٩ وما يلىها ، سكوت (ملك كالم) : الفيكنج ورحلاتهم البحرية (تاريخ العالم ، المجلد الرابع ، فصل ٩٦ ، مكتبة النهضة العربية) *

(١) الاشبونة او اشبونه ويكتب اسمها بالاسبانية Lisbonne وبالبرتغالية Lisboa =

جوناً (١) ، واحتلوا بسيط هذه المدينة ، فنازلهم أهلها وقاتلهم قتالاً شديداً حتى تمكنوا من صدم وفي هذه الاثناء انذر وهب الله بن حزم والى المدينة الامير عبد الرحمن الاوسط بقدمهم ليتخذ أهبطه ولما أدرك النورمانديون صعبو به تقدمهم قتلوا راجعين إلى سمنهم ، ومن ثم اتجهوا جنوباً ، فحلوا بكورة اشبيلية ونزلوا عند مصب نهر الوادي الكبير واتجه فريق منهم جنوباً بجذاه الساحل الاسباني حيث نزل على ساحل كورة شذونه واحتل ثغر قادس بينما صعد الفريق الاول بسفنه نهر الوادي الكبير ، فاحتل مدينة اشبيلية عدة ايام عاث خلالها قتلا ونهباً وتخريباً سنة ٢٣٠ هـ (٨٤٤ م) (٢) . ولم يكن الامير عبد الرحمن ساكناً وقتئذ فقام من فوره لمقاومة الخطر النورماندي ، فعبا جيشه وقدم عليه خير قواده واحتل هذا الجيش بالشرف Aljarafe من

— تقع على ساحل المحيط الاطلسي عند مصب نهر التاجو ، ومنها كل خروج الفتية
المغربين في المحيط ، وقزولهم في جزر الخالدات التي تعرف الان كتاريس
Canarias راجع (الحيدى : الروض المعطار ص ١٦ والترجمة الفرنسية ص ٢٢
ايى بروغزال ، مادة لشبونة في العصر الاسلامي في دائرة المعارف الاسلامية ،
الطبعة الفرنسية ص ٣ ص ٢٩ ، حيدى مـ وائس : الجغرافية والجغرافيون في
الاندلس : ص ٢٧٥ وما يليها ، ابن الكردبوس : الاكتفاء ص ١٢٨
(٣ هـ)

- (١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ص ٢ ص ٨٧ ، الجون : ضرب من التظاسود
البطون والاجنعة ، راجع العبادي : دراسات ، ص ٢٦١ هـ ٣ .
- (٢) ابن القوطيه : تاريخ افتتاح الاندلس ، ص ٦٦ ، ابن عسدارى : المصدر
السابق ، ص ٢ ص ٨٧ ، سالم : تاريخ المسلمين واثارهم في الاندلس ص ٢٢٥
وما يليها ، أحمد مختار العبادي : دراسات ، ص ٢٦٢ .

اشبيلية وفي نفس الوقت كتب الامير إلى عمال الكور في استنفار الناس ، كذلك استنفر أهل الثغر ، فأنبلوا من كل صوب إلى قرطبة ، وبفضل هذه الجهود الكبيرة التي بذلها الامير استطاع جيش قرطبة ان يوقع بالنورماندين الهزيمة في قرية طلياطه Tejada يوم الثلاثاء ٢٥ من صفر ٢٣٠ هـ (١١ نوفمبر ٨٤٤ م) وقتل منهم عدد كبير ، واحرق من مراكبهم ثلاثون مركبا (١) ويرى الاستاذ الدكتور احمد مختار العبادي ان انسحاب النورماندين من اشبيلية لم يتم إلا بعد وصول وحدات الاسطول الاندلسي إلى مكان المعركة استناداً إلى قول العنري : « ثم هبطت للامام عبد الرحمن الاوسط خمسة عشر مركبا بالمقاتلة والعسدة ، فنزلوا اشبيلية فلما احس المجوس بها لحقوا بلبله (٢) » ، وأياما كان الامر ، فقد رحل النورمانديون بعد هزيمتهم إلى بلبله ثم توجهوا من هناك إلى الاشبونه ، وانتطع خبرهم بعد ذلك .

نهت هذه الغارة النورمانديه المفاجئة الامير عبد الرحمن الاوسط إلى ضرورة مواجهة أمثالها مستقبلا ، فاهتم بتحصين الثغور الغربية والجنوبية الغربية ، كما امر ببناء « سور مدينة اشبيلية من اجل طروق المجوس لها من ناحية البحر الرومي ، وذلك في عام ٢٣٠ هـ » (٣) ، بإشارة وزيره عبد الملك ابن حبيب ، كما اهتم بإنشاء محارس وراقب على طول الساحل الغربي المطل

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، ص ٢٨ ، سالم : المرجع السابق

ص ٢٢٦ .

(٢) أحمد مختار العبادي : دراسات ، ص ٢٦٣ .

(٣) ابن حيان : المقتبس ، تحقيق عبد الرحمن المحمدي ، تاليف ص ٢٤٤ ، وانظر

ايضا ابن سعيد ، المغرب : ص ١٤٩ ، المحمدي : الروض المطاوع ص ٢١٠ .

على المحيط وشحنها بالمرا بضة^(١). واهم من ذلك كله فيما يتعلق بموضوعنا انه أصدر أمره بإنشاء دار صناعة باشيالية وإنشاء المراكب واستعد برجال البحر من سواحل الاندلس فألحقهم وسع عليهم ناستعد بالآلات والنظ^(٢). وكان من نتائج هذه السياسة البحرية ان اصبحت للدولة الأموية اسطول قوى لعب دوراً هاماً في الاحداث التالية ، فقد استخدمه الامراء للدفاع عن سواحل الاندلس أو للقيام بحملات تأديبية على بعض الجزر كما حدث في الحملة البحرية التي وجهها الامير عبد الرحمن الاوسط لجزيرة ميورقة في ثلاثائه مراكب لنقض اهل هذه الجزيرة العهد وإضرارهم عن مر عليهم من مراكب المسلمين . وأدت إلى اخضاع اهلها رقيامهم بالكتابة إلى الامير بطلب الصفح^(٣).

ثم تكرر طروق النورمان سواحل اسبانيا الاسلاميه ، فأغاروا مرة أخرى في عام ٢٤٥ هـ (٨٥٩ م) على الساحل الاندلسي الغربي في اتي وستين مراكب ، ولكنهم وجدوا هذا الساحل محروسا بمراكب المسلمين ، التي استطاعت ان تستولي على مراكبين من مراكب النورمان وغنمت ما فيها من الذهب والفضة والسبي والعدة بالقرب من سواحل كورة باجه اما بقية مراكب المجوس فقد اتجهت جنوبا حتى وصلت إلى مصب نهر الوادي الكبير حيثئذ بادر الأمير محمد بن عبد الرحمن الاوسط بتوجيه جيشه إلى المغرب ، مستنفرا الناس لملاقاة العدو ، فوصلوا من كل صوب ، ثم تقدمت مراكب النورمان حتى حلت بالجزيرة الخضراء ، وتغلبوا عليها واحرقوا مسجدها الجامع

(١) السيد عبد العزيز سالم : في ، البحرية في المغرب والاندلس من ١٦٠ .

(٢) ابن القوطية : تاريخ افتتاح الاندلس ، من ٦٧ .

(٣) ابن خلدون : البيان المغرب : ٢٠ ، من ٨٩ .

ثم اقلعت مراكبهم تجاه العدو المغربية واحتلت بناكور وعانت خلالها قتلاً ونهباً ، ثم قفلت راجعة مرة ثانية إلى الساحل الشرقي للأندلس حتى وصلت ساحل كورة تدمير ، وتمكنوا من دخول حصن أوربوله ، ثم اقلعوا شمالاً تجاه الشاطئ الافرنجى ، واستولوا على مدينه فيه ، ومكنوا بها حتى انقضى الشتاء ثم اقلعوا جنوباً تجاه الشاطئ الاندالى ، وفى هذه الاثناء استعد لهم الامير محمد بالمراكب المعدة بجنيح اصناف العدة البحرية وقوارير النفط والرماء واستطاعت القوة البحرية الاسلاميه ان تصيب مركبين لهما بساحل شذونة واستولوا على ما فيها من أموال كثيرة وامتعة واسعة ، كما احرقوا لهما مركبين آخرين وفرت باقى مراكبهم (١) .

وقد حاول الأمير محمد بن عبد الرحمن الاوسط تدعيم الاسطول الاندلسى بمزيد من القطع البحرية لاستخدامه فى الاغارة على جاليقية ، ولكن بناء هذا الاسطول تم سريعاً دون عناية باتقان صناعته ، علاوة على عدم مهارة ملاحية بحيث تعرض لتشتت قطعة بمجرد بلوغها مياه المحيط ، ويفصل لنا ابن عذارى الخبر بقوله : « أمر الأمير محمد بإنشاء المراكب بقرطبه ليتوجه بها إلى البحر المحيط عبد الحميد الرعيطى المعروف بابن مغيث ، وكان قد رفع إليه رافع ان

(١) نص من المقتبس لابن حياث خاص بمعمر عبد الرحمن الاوسط ، عن أحمد مختار العبادى ، دراسات : ص ٢٦٥ وما يليها ، ابن عذارى : البيان المفرد ج ٢ ص ٩٦ وما يليها ، ناكور : تكتب كذلك نكور وهى مدينة متندسة فى شمال شرق المملكة المغربية ، است سنة ١٢٢٢هـ ، وكان من اعمالها نشر الزمه الذى حرره الاسبان الى ألوثيا ، التى عربها المسلمون الى المسيمة الحالية التى تسمى ابنا سان خو خو وهى غاضمة للنفوذ الاسبانى ، راجع ، العبادى : دراسات ص ٢٦٦ ، ٢٢٥ .

جليقيه من ناحية البحر المحيط لا سور لها وأن أهلها لا يمتنعون من جيشه ان غشيتهم من تلك الناحية ، فلما كملت المراكب بالانشاء ، قدم عبد الحميد بن مغيث ، فلما دخل البحر ، تقطعت المراكب كلها وتفرقت ، ولم يجتمع بعضها إلى بعض ، ونجا ابن المغيث (١) .

وقد ازداد إهتمام حكام الاندلس بالبحريه فى عهد عبد الرحمن بن محمد لاضطراره إلى مواجهه القاطمين فى افريقيه ، ويمكننا القول بأنه لم يحدث ان وجدت للاندلس قوة بحريه منظمه بالمعنى الصحيح إلا على عهد الخليفه عبد الرحمن الناصر أى ابان النصف الأول من القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) .

فقد بدأ عبد الرحمن بن محمد بتنظيم البحريه فى الاندلس واستكمالها فأكثر من بناء السفن الحربية ، ومهد لهذا بالانشاء عدد كبير من دور الصناعة فى مدن الاندلس مثل المريه ، وطرطوشه (٢) ، والجزيرة الخضراء (٣) ،

(١) ابن عذارى : المصدر السابق ، ص ٢٠ وما يابها .

(٢) طرطوشه : Tortosa من الاسم القديم Dertosa تقع فى شمال شرق اسبانيا بالقرب من ساحل البحر المتوسط عند مصب نهر الابرو ، جنوبى مدينة طركونة Tarragona واشتهرت طرطوشه فى العصر الاسلامى بدار صناعة المراكب التى بناها الخليفة عبد الرحمن الناصر . ويتوافر مواد بناء هذه السفن من خشب الصنوبر المتوفر بجبلها ، راجع (الادريسى : المغرب وارص والسودان ، ص ١٩٠ الجيمى : الروض المعمار ص ١٢٤ وما يابها ، ابن الكردبوس : الاكتفاء من ١٠٠ ، ١١٥) .

(٣) الجزيرة الخضراء : وتسمى اليوم Algeciras وهى ميناء وأقصى جنوب اسبانيا بجوار جبل طارق ، وتسمى أيضا فى المراجع العربية بجزيرة ام حكيم وهى =

ومالقه ، ولقنت (١) ، وشاب (٢) ، والقصر (٣) ،

== حاربه الطارق بن زياد كان قد جهلها معه عند غزوه لاسبانيا ، ثم تركها في هذه البلدة فنسبت اليها ، وبها دار صناعه بناها عبد الرحمن بن محمد واتقن بناءها وعلى اسوارها ٢ راجع (الادريسي : المصدر السابق ، ص ١٧٩ ، الحميري : المصدر السابق ، ص ٧٣ ، ابن الكردوبوس : الاكتفاء ، ص ٤٥ ، ٢٥) .

(١) مالته Malaga مدينة على ساحل البحر المتوسط تقع جنوبي شرق اسبانيا اسمها الفينيقيون واعطوها اسم مالكو Malako ومعناه الماسيح نسبة الى مستودعات الاسماك الملحقة التي كانت تحفظ وتحفظ بها ، ولها قسبة منيعة في شرفتها وهي غاية في الحصانة والمنعة ، ولها ريسان كبيران ، بها الفنادق والحمامات واشتهرت كذلك بما كانت تحويه من شجر التين المنسوب اليها والذي كان يعمل الى مصر والشام والعراق ، راجع (الادريسي : المصدر السابق ص ٢٠٤ ، الحميري : المصدر السابق ، ص ١٧٧ وما يليها ، ابن الخطيب : اعمال الاعلام « القسم الخامس بالمغرب » ص ٢٤١ ، ٣٥) ، أما لقنت Alicante فهي مدينة صغيرة من بلاد الاندلس بينها وبين دانيه على الساحل سبعون ميلا وتنشأ بها المراكب السفرية والحرايرى ، راجع (الحميري : المصدر السابق ص ١٧٠ ، الادريسي : المصدر السابق ، ص ١٩٣) .

(٢) شاب Silves من مدن غرب الاندلس وتقع على نهر بطايوس وهي من كورة شنونه ولها مرسى في الوادي وبها الانشاء ، راجع (الادريسي : المصدر السابق ص ١٩٣ ، احيري : المصدر السابق ، ص ١٠٦ وما يليها) .

(٣) القصر : مدينة بالاندلس بينها وبين شاب اربعة مراحل ، على ضفة النهر المسمى شطور وهو نهر كبير تصعد فيه السفن والمراكب السفرية كثير .. وبها الانشاء الكثير ، راجع (الادريسي : صفة المغرب ، ص ١٨١ ، الحميري : المصدر السابق ص ١٦١) .

ودائيه (١) ، وشنمريه (٢) ، وشلطيش (٣) .

وفي أيامه وضحت القوى البحريه وازداد عدد قطعها بحيث تجاوز المائتي سفينه اذ يشير ابن خلدون في مقدمته الى ذلك فيقول : وانتهى أسطول الاندلس أيام عبد الرحمن الناصر الى مائتي مركب أو نحوها (٤) . واعتقد أن المقصود بهذا العدد السفن الغزويه المخصصه للقتال في البحر كالحراريق

(١) دانيه Denia على ساحل البحر المتوسط جنوبى بانسيه من شرق الاندلس واسم المدينه العربى والاسبانى مشتق من اسمها الرومانى القديم Danium ويشرف على دانيه جبل مرتفع هو جبل « قاعوت » ويسمى اليوم مونجو Mongu والمدينه محاطة بغابات كثيفة من شجر الصنوبر الذى تصنع منه السفن في دار صناعة دانيه ، وكانت دانيه قاعدة بحرية هامة منذ عهد الامويين واشتهر امرها عندما انتزى بها مجاهد العامرى (راجع الادريسي : المصدر السابق ص ١٩٢ الحميرى : المصدر السابق ص ١٠٢ ، ابن الكردبوس : الاكتفاء ص ٩٦ ، ٢٥٠ ، أحمد مختا العبادى ، دراسات ص ٢٩٨ ، ص ٣١٠) .

(٢) شنمريه : مدينه في الاندلس من مدن اكثونه على البحر الاكظم وبها دار صناعة الاساطيل ، راجع (الحميرى : الروض المعطار ، ص ١١٥ وما يليها) .

(٣) شلطيش : وهى جزيرة بالقرب من مدينه بلنه ، بها دار صناعة الحديد الذى يعجز عن صنعه اهل البلاد لجفائه ، وهى صنعة المراسى التى تروى بها السفن . وهى كثيرة السفن وبها دار صناعة لانشاها راجع « الادريسي : المصدر السابق ، ص ١٧٩ ، الحميرى : المصدر السابق ، ص ١١٥ وما يليها » .

(٤) ابن خلدون « عبد الرحمن بن محمد » مقدمة العلامه ابن خلدون ، المطبعة التجارية ، مصر ، ص ٢٥٣ وراجع ايضاً : محمد جمال الدين سرور ، حياصة الفاطميين الخارجية ، دار الفكر العربى ، ١٩٦٧ ، ص ١١ .

والأغربة المقاتله والا فان الرقم يقل عما كان عليه زمن الامير محمد بن عبد الرحمن الأوسط (١) .

من المعروف ان أغلب القواعد البحرية في الاندلس تركزت على امتداد الساحل الشمالى الشرقى ما بين طرطوشة Tortosa وبلنسية Valencia وربما كان مرجع ذلك العداء الشديد بين سكان شرق الاندلس وبين الفرنجة الكارولنجيين والقسم الجنوبى من الساحل الاندلسى ويشمل المريه ومالقه والجزيرة الخضراء واشبيلية .

وكانت مدينه المريه القاعدة الرئيسيه للبحرية الاندلسيه ، ويليهنا طركونه Tarragona (٢) ثم طرطوشه (٣) ولقنت (٤) Alicante فشرش (٥) Jerez. وشلب (٦) Silves فالجزيرة الخضراء (٧) Algéciras بالاضافه الى جزيرة يابسه (٨) Ibiza أصغر جزر البليار .

وكان أسطول الاندلس يتألف من قطع مختلفة لكل منها عمل معين فى

(١) أنشأ الامير محمد فى البحر سبعمائة فراب ، راجع (« ابن الكردبوس : كتاب الاكتفا ص ٥٧ » ابن ابى دینار « محمد بن ابى القاسم الرعینى القيدوانى » المؤنس فى أخبار أهريقه وتونس ، ١٢٨٦ هـ ، ص ١٧) .

(٢) الحميرى الروض المعطار ، ص ١٢٥ وما يليها .

(٣) الحميرى : الروض المعطار ، ص ١٢٠ .

(٤) نفس المصدر ، ص ١٧٠ .

(٥) نفس المصدر ، ص ١٠٢ .

(٦) نفس المصدر ، ص ١٠٦ وما يليها .

(٧) نفس المصدر ، ص ٧٣ وما يليها .

(٨) نفس المصدر ، ص ١١٨ .

القتال ومن أمثله هذه السفن الحربية : الخرايق التي كانت تصنع في دارصناعه المريه ومالقه (١) ، ولقنت (٢) ، والاغربة (٣) ، والبطس (٤) ، والجمالات (٥)

(١) المصري « ابن فضل الله » : مساك الامصار في مالك الامصار ، الجزء الخاص بوصف افريقية والاندلس ، نشر حسن حسنى عبد الوهاب ، تونس ، ص ١٤ وما يليها ، وانظر أيضا : ابراهيم احمد المدوى : الاساطيل العربية في البحر المتوسط ، القاهرة ، ١٩٦٣ ص ١٦٧ ، أحمد مختار العبادى : دراسات ص ٣٩٣ وما يليها ، والخرايق نوع من السفن الحربية التي ترمى بالنبرات كائنات الافريقية ، راجع « ما تقدم من مصادر ومراجع وتيسر ارقام الصفحات المدون امامها » .

(٢) اجبرى : الروض المطار ، ص ١٧٠ .

(٣) الاغربة : جمع غراب ، واشتهرت هذه السفن بالأس الشديد وانزال الرعب في قلوب الاعداء ، وهى سفن حربية لا تختلف عن الشوانى ، راجع : « المدوى المرجع السابق ، ص ١٦٧ ، درويش النخيل : السفن الاسلامية على حروف المعجم ، مطابع الاهرام ، ١٩٧٤ ، ص ٣٠٢ » .

(٤) البطس ، جمع بطس ، وهى من السفن الحربية العظيمة الحجم تشتمل على عدة طلاقات يشغل كل طبقة منها فئة معينة من الحند بأساحتها ، وتسيرها قلوب كثيرة ، وكانت تستخدم في شحن الغلال والاقوات والمسير والاموال والنفقات علاوة على آلات الحرب والقتال الى جانب القيام بعمليات القتال في البحر ، راجع « المدوى المرجع السابق ص ١٦٨ ، والنخيل : المرجع السابق ، ص ١٤ وما يليها » .

(٥) الجمالات : جمع جماله من مراك النقل ، وكانت تستخدم لحمل الغلال وهى من ماحقات الاسطول العربى ، مخصصة لنقل مؤونة الجيش ، وازواده والصناع والخدم الملحقين بالجيش والاسطول ، راجع في هذا ، « Dozy(R.): Supplement »

والشلمدى (١) والشوانى (٢) والطارايد (٣) والعشارى (٤) والقراقير (٥)
والمسطحات (٦) .

aux dictionnaires arabes ; I, p. 327 :

التخيلى : المرجع السابق ، ص ٤٠ وما يليها .

(١) الشلمدى : والجمع شلمديات ، وهى سراكب حربية كبيرة مسطحة لملل المقاتلة
والسلاح وتستخدم كذلك في نقل البضائع ، راجع

(Dozy : Op. cit , I. p. 459)

(٢) الشوانى : جمع شبنى او شينيه ، وهى السفينة الحربية الكبيرة وكانت مزودة
بأبراج وفلاع للدفاع والهجوم وتجدف بمائة وثلاثة واربع مجدافا ، راجع ،

Dozy : Op. cit. I. p. 717 ,

العدوى : المرجع السابق ، ص ١٦٧ ، التخيلى : المرجع السابق ص ٤٢ .

(٣) الطارايد : جمع طريدة او طراد ، وهى سفن صغيرة سريعة ، مرها دوزى بأنها
من المراكب الحربية أكثر شيها بالبرميل الهائل منها بالسفينة ، راجع

Dozy : Op. cit. . I , p. 31

(٤) العشارى : والجمع عشاريات وهى نوع من السفن الصغيرة الخفيفة الملقحة بالاسطول
العربى لتكون قوارب نجاة ، انظر التخيلى ، المرجع السابق ص ١١٥ .

(٥) القراقير : جمع قراقور وهى من السفن الصغيرة التى تعمل المائت للاسطول ،

Dozy : Op. cit. . II, p. 335

(٦) المسطحات : جمع مسطح ، وهى من السفن الحربية الكبيرة ، وهى من اكبر

من الاسطول الاسلامى ، انظر : التخيلى : المرجع السابق ، ص ١٤١

وما يليها :

ولقد أشرنا فيما سبق الى عاملين ساعدا على دعم البحرية الاندلسية ،
الاول ، غزوة النورمان الأولى التي نهت أولى الأرواف في الاندلس الى ضرورة
اصطناع سياسة بحرية رسمية ، والثاني ، قيام الدولة الفاطمية في المغرب وتطلعها
لغزو الاندلس منذ ايام عبد الرحمن بن محمد . ولا نشك في ان عبد الرحمن
الناصر كان على يقين من استفحال الخطر الفاطمي على الاندلس منذ ان
ساندوا حركة الثائر عمر بن حفص بن زودوه بالسلاح والميرة (١) ، ومنذ
ان توسعوا غربا على حساب الرستمين في الجزائر والادارسة في المغرب
الأقصى ، وكانت قوة البحرية الفاطمية تفوق القوة الاندلسية ، اذ ان
الفاطميين بالاضافة الى ماورثوة من سفن الاغالبة وقواعدهم البحرية في تونس
وصقلية وقوصره (٢) ، اتخذوا المهديـة - عاصمتهم الجديدة - قاعدة بحرية
وداراً لصناعه السفن (٣) ، مكنتهم من إعداد إسطول يعد اعظم اساطيل
بحر المغرب .

الى جانب هذا الخطر الفاطمي ، كان خطر الغارات النورمانديـة لايزال
جائها بعد ان بلغت سفن النورمان سواحل المغرب والاندلس . وهذا يفسر
إهتمامه بدعم القوة البحرية للاندلس في مواجهه الانواء المقبلة من المغرب
كما يفسر حرصه على إنشاء قواعد بحرية متعددة ودور صناعة في مختلف

(١) ابن عذاري : البيان المغرب ٢ ص ١٦٥ ، وانظر ايضا : ارشيدالدلويس :

القوى البحرية ، ص ٢٣٦ .

(٢) المدوي : الاساطيل العربية ، ص ١٢٨ وقوصرة هي المعروفة الان بجزيرة

« بنتلاريا » جنوب جزيرة مالطة .

(٣) احمد مختار عبادي : سياسة الفاطميين نحو المغرب والاندلس « صحيفة معهد

الدراسات الإسلامية في مدريد » ، المجلد الخامس ، ١٩٥٧ ، ص ٢٠٠ .

ثغور الاندلس (١). وعلى تحصين الثغور الاندلسية المواجهة للمغرب ، واحتلال الثغور المغربية المطله على المضيق كسبته وطنجه ومليلة تأمينا لسلامة بلاده (٢) .

وقد نجح الاسطول الاندلس في عصر الخلافه في إحباط محاولات المهدي الفاطمي لتدعيم حركة إبن حفصون وامكنه ان يقطع الميرة والمؤونه الفاطميه التي شجنت في سفن الفاطميين الى الاندلس لمساندة الثوار في عام ٣٠١هـ (٩١٣م) (٣) . ثم تمكن الاسطول الأموي من الاستيلاء على مدينة مليلة Melilla في سنة ٣١٤هـ (٩٢٧م) (٤) ، ومن انتزاع مدينة سبتة في عام ٣١٩هـ (٩٣١م) (٥) ، ولم تمض فترة حتى تمسكن

(١) ارشيدالد لويس : القوي البحرية والتجارية ، ص ٢٣٦ .

(٢) أحمد مختار العبادي : دراسات ، ص ٧٢ وما يليها .

(٣) ابن عذاري : البيان المغرب ج ٢ ص ١٦٥ ، ابن خلدون « عبد الرحمن بن محمد » كتاب المعر وديوان المبتدأ والخبر ج ٤ ، طبعة بولاق ، ١٢٨٤ هـ ، ص ٣٣ ، سالم « بالاشتراك مع أحمد مختار العبادي » في : تاريخ البحرية الاسلامية في مصر والشام ، جامعة بيروت العربية ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ص ٦٤ .

(٤) البكري : المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب ، ص ٨٨ ، راجع أيضاً : سالم : تاريخ المسلمين وأنارم في الاندلس ، ص ٢٨٥ ، وله أيضاً : المغرب الكبير ، ج ٢ ص ٦١١ ، أحمد مختار العبادي : دراسات ، ص ٧٢ .

(٥) ابن حيان : التتبس قطعة خاصة بيد الرحمن الناصر مخطوطة ، ورقة ١١٥ ، البكري المصدر السابق ، ص ١٠٣ وما يليها ، ابن عذاري : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٠٤ ، وراجع أيضاً :

= Lévi-provençal : Histoire, T. II, p. 96.

الناصر من احتلال ثغر طنجة المجارر لها (١) .
ولم يقتصر الأمر على ذلك ، بل تجاوز الأسطول الاندلسى أعماله المنفردة
إلى اشتباكات بحرية مع الأسطول الفاطمى وتوجيه الغارات على سواحل
أفريقية (٢) ، وبواسطة هذا الأسطول الاندلسى أمكن نقل قوات الجيش
الاموى عبر مضيق جبل طارق تدعياً للقوة الاندلسية بساحل العدو وبعض
مناطق مغربيه امتد إليها النوذ الاموى فى فاس والمنطقة المجاورة لها ، ففى
عام ٣٣٣ هـ (٩٤٤ م) غزا محمد بن رماحس على الأسطول إلى بنى محمد
بالعدوة ، وكان عدد سفن الأسطول خمس عشرة مركباً حربية وشينيين
وفتاشاً (٣) ، وفى العام التالى غزا محمد بن رماحس قائداً على الأسطول
الاندلسى إلى أفريقية من المرية (٤) . كما أثبت الأسطول الاموى فى عصر

السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ج ١ ، ص ١١١ ، أحمد مختار العبادى
المرجع السابق ، ص ٧٣ .

(١) لم يرد فى المصادر التاريخية تاريخ استيلاء الناصر على ثغر طنجة ، ويرى
الاستاذ الدكتور أحمد مختار العبادى أنه كان من الطبعى بعد ان احتل الناصر
سبته أن يحتل ثغر طنجة المجاور لها ، استناداً الى اسارة ابن عدارى للتحصينات
التي أقامها تاهل الأندلس فى هذه المدينة ، راجع « أحمد مختار العبادى :
دراسات ص ٧٤ » .

(٢) ابن عدارى : البيان المغرب ، ج ٢ ص ٢٢١ وما إليها ، راجع أيضاً العدوى
الاساطيل العربية ، ص ١٢٩ .

(٣) العدوى : ترصيع الاخبار ، ص ٨٤ ، فتاش : نوع من المراكب الحربية التي
عرفت بالاندلس أنظر « النخيل : السفن الاسلامية ، ص ١١٥ » .

(٤) العدوى : المصدر السابق ، ص ٨٢ .

الخليفة ايضاً قوته ، كفاءته ، ففي عام ٣١١ هـ (٩٥٥ م) ، أنشأ عبد الرحمن الناصر مراكباً كبيراً لم يعمل مثله وسير فيه امتعته إلى بلاد الشرق فلقى في البحر فيه رسول من صقليه إلى المعز فقطع عليه اهل المركب الأندلسي ، واخذوا ما فيه واخذوا الكتب التي إلى المعز ربلغ ذلك المعز فعمر اسطولا واستعمل عليه الحسن بن علي صاحب صقليه وسيره إلى الأندلس فوصلوا إلى المريه ، فدخلوا المرسى وأحرقوا جميع ما فيه من المراكب واخذوا ذلك المركب وكان قد عاد من الأسسندرية وفيه امتعه لعبد الرحمن وجوار ومغنيات وصعد من في الأسطول إلى البر فقتلوا ونهبوا ورجعوا إلى المهديّة (١) . وكان رد الفعل الأموي على ذلك ان امر عبد الرحمن الناصر « بإطلاق اللعن على ملوك الشيعة بجميع منابر الأندلس واتخاذ كتبه بذلك إلى العمال بسائر الأقطار (٢) » . كما جهز اسطولا اموياً مكرناً من ستين سفينة بقيادة امير البحر غالب بن عبد الرحمن وهاجم في عام ٣٤٥ هـ (٩٥٦ م) ارض سواحل افريقيه من عمل الفاطميين ، وكان مرسى الخرز وساحل سوسه هدفاً

(١) اس الانير « ابو الحسن علي بن أحمد بن ابن الكرم » السكامل في التاريخ ، ح ٨ ، القاهرة ١٣٥٣ هـ - ١٨٥٠ ، ميخائيل اماري المكتبة العربية المعقلية مكتبة المتنبي بغداد ، ليبسك ١٨٥٧ ، ص ٢٦٢

Dozy (R) : Histoire des Musulmans d'Espagne, T. II ,
Leyde. 1932. pp. 16.-165.

السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ج ٢ ص ٦١٢ - ٦١٣ .

(٢) ابن عذاري : البيان المغرب ج ٢ ، ص ٢٢٠ ،

Levi-Provençal : Histoire. T. II. p. 108.

لهذه الغارة الانتقامية (١) .

وهكذا تأكدت للبحرية الأندلسية السيطرة على مياه البحر المتوسط مسجلة بذلك تفوقها على القوى البحرية للفاطميين . ولم يقتصر نشاط الأسطول الأندلسي على التصدي للفاطميين من قاعدته المريه ، فلقد قام بغزوات بحرية إلى بلاد الفرنجة ، ففي المحرم ٣٢١ هـ (٩٣٣ م) عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر إلى قائده احمد بن عيسى بن احمد بن عبده باصلاح الاسطول بدار الصناعة بالمريه وتمذييه والزيادة فيه وتجهيزه وذلك استعداداً لغزو بلاد الفرنجة ، واعد لهذا الغرض اسطولاً يتألف من عشرة مراكب وخمسة شوانى مجهزة بالعدد والعدة ، وإبحر إلى بلد الفرنجة ، إلا أن هذا الأسطول لم يلبث ان اصابه عطب بسبب سوء الأحوال البحرية فلم يتم الغزو ، ويعبر ابن حيان عن ذلك بقوله : « ... فاصابه من فيض غشت (اغسطس) مخرجه من جزيرة ميورقه هول ارتج به الجو فعطب من مراكبه شنى واحد وقارب وانخرم سائر المركب .. فلم يتم لها غزو (٢) » . وفى عام ٣٢٣ هـ (٩٣٤ م) ، غزا اسطول الاندلس بلاد الفرنجة بقيادة عبد الملك بن سعيد بن ابي حمامه ، وكان يتكون من اربعين مركباً وعشرين حراقة مجهزة بالنفط والآلات البحرية ، وعشرين مركباً مشحونة بالمقاتلة ، وبلغ عدد الجند المقاتلة الف مقاتل ومن البحريين الفين ، ثم غادر الاسطول ميناء المريه فى رجب من هذه السنة ، ماراً بجزيرة

(١) ابن حذارى المصدر السابق ، ج ٢ ، ص ٢٢١ ، راجع ايضا : سالم : المغرب

الكبير ج ٢ ، ص ٦١٣ .

(٢) ابن حيان « ابو مروان » : المقتبس (قطعة من عهد عبد الرحمن الناصر ،

مخطوط ميكروفيلم رقم ٢٠٨ ، موجود عمده المخطوطات بجامعة الدول العربية ،

القاهرة من مخطوطة الخزانة الملكية بالرباط ، رقم ٨٧ ، ورقة ١٢٨ .

ميورقه إلى ان وصل « بالش »^(١) من بلاد الفرنجة وفيها دارت معركة عظيمة بين العرب والفرنجة ، انتهت بانهزام الفرنجة ، وتقدم الاسطول العربى بعد ذلك إلى ميناء اينش^(٢) - وهو مرفأ ودار صناعة - فهدمه المسلمون واحرقوا المراكب الراسيه به والأرباض الممتدة حوله ، وبلغ عدد قتلى الفرنج في هذه المعركة ما يزيد على اربعمائة قتيل ، ثم واصل الاسطول بعد ذلك سيره إلى برشلونه وهناك اعترضه على مقر به منها القائد الفرنجى بليط في جيش كبير التحم مع العرب ، وكان النصر في النهايه حليفاً للمسلمين وقتل بليط واغلب جنده ، ثم قفل الاسطول الأموى راجعاً بعد غزواته الناجحه إلى مدينه

(١) بالش : وردت هكذا في المقتبس لابن حيان ، وقد اطلق هذا الاسم على اكثر من موضع بالاندلس ، مع تغيير في رسم الكلمة في كل مرة ، فرسمها ابن الأبارلس من عمل لورقة « التكملة لكتاب الصلة ، الجزء الاول ، ص ٣٢١ » ، اما الادريسي فاورد حصن بالش من اقليم بجانة (صفة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس) ص ١٧٥ ، ص ١٦٤) وورد في ابن الخطيب بلبش في غرب مالقة ، وقد اطلق عليها ايبش مالقة Malaga Vélez لجوارها من مدينة مالقة ، اما بلس لورقة ترسمى حالياً Vélez Rubio o vélez Blanco « مشاهدات لسان الدين بن الخطيب » ص ٧٨ ، ص ٧٩ وراجع هامش ٦ من المصدر نفسه » ، في حين ان بالش التى يذكرها ابن حيان فموضع آخر له يقع جنوب برشلونه ، استنادا الى ان الاسطول الاموى أبجر من ميورقة الى بالش من ارض الفرنجة — كما ورد في المتن — وارجح انها بلدة ساحلية في اقليم قطالويه .

(٢) لم نجد فيما بين ايدينا من مصادر جغرافية أو تاريخية ما يدل على موقع هذه المدينة .

طرطوشه سالماً غانماً^(١).

وفهم من كلام العنري ، انه في عام ٣٠٨ هـ (٩٣٩ م) خرج محمد بن رماحس قائد اسطول المريه زمن الناصر ، في حربيين برجلهما من اهل مريه بجانه إلى طرطوشه ، وركب من هناك في عشرة مراكب حربية واربعة شوانى وفتاش بالاضافة إلى حربيين المريه ، واجر إلى انبوريش^(٢) فبلغ رأس الصليب^(٣) على طو ب. جون انبوريش ، وبعد ان انهى مهمته عاد إلى طرطوشه ماراً ببرشلونه^(٤).

وفي عام ٣٣١ هـ (٩٤٠ م) غزا محمد بن رماحس قائد اسطول المريه في عصر الناصر إلى افرنجه مع غالب بن عبد الرحمن وسهل بن اسيد في ثلاثين مركب حربية وستة شوانى فخرج من مريه بجانه في ١٣ من شوال من العام نفسه ولكن سفنه تعرضت لعاصفه عاتيه فرقتها ، فتلوم بمرسى القبطه ،

(١) ابن حيان : انقبس « قطعة من عهد عبد الرحمن الناصر ، مخطوط ، ورقات ١١٣ ، ١٤٥ ، ١٤٥ ».

(٢) انبوريش ولعل المقصود بها امبورياس Ampurais الواقعة شمال برشلونه على الساحل الشمالي الشرقى لاسبانيا . انظر عن هذه المدينة ما جاء هذا في البحث ص ١٥٠ ، ١٥٥ .

(٣) كذا فالاصل ولم اعرف ماية لها فيها بين ايدينا من مصادر جغرافية او تاريخية .
(٤) العنري . ترجمته الاخبار ، ص ٨١ ، حربية والجمع « حريات » وجراني ، عرف بها المقرئى اذ يقول : « فالحربية هي التي ندمت انفسنا المقاتلة ، (المقرئى) تقي الدين أحمد بن على بن عبد القادر من محمد د . كتاب المواظ والاهتبار بذكر الخطوط والاثار ، ج ٣ ، طبعة بولاق ، القاهرة ، ١٢٧٠ هـ ، ص ١٩٠ ، وانظر ايضاً المحجل السفن الاسلامية ، ص ٢٧ .

أما القائدان غالب وسهل فقد لجئاً إلى سهل " سبط " ففعل به ثم عادا إلى المريه (١) .

ونستدل بما سبق ان ذكرناه ان المريه حظيت في عصر السخلافه بشهرة عاليه باعتبارها القاعدة الرئيسيه لاساطيل الأندلس ، وكان خليجها العميق يضم معظم وحدات الاسطول الاموى في الأندلس (٢) ، الذي كان يتألف من مائتي سفينة ، وكانت دار الصناعة بالمريه تتابع انتاجها الوفير للسفن الحريه والمعدات الحريه ، وفي ذلك يقول ابن غالب الأندلسي « وبالمريه دار الصنعه وسورها على ضفة البحر ، وقد استقرت فيها العدة والآلات للسفن وما يقوم به الاسطول » (٣) .

وكانت المريه حتى أوائل القرن الرابع الهجري لا تعدو رباطاً للجهاد ينتجعه المجاهدون ويرابطون فيه (٤) ، ثم ظهرت اهدية ميناء المريه كمساعدة بحريه لاسطول الأندلسي منذ عام ٤٢٨ هـ (٩٣٩ م) عندها عين الخليفة الناصر أول وال من قبله علي بجائه ، فأتخذ هذا والي من ميناء المريه منطلقاً لعملياته البحريه (٥) . وأكدت هذه العمليات البحريه حقيقة هامه ودى ان قاعدة الاسطول الحقيقيه هي المريه وليست بجائاته التي تقع في الداخل ،

(١) المنرى : المصدر السابق ، ص ٨٠ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المريه ، ص ١٧ .

(٣) ابن غالب « الحافظ محمد بن ايوب » : قطعه من فرقة الاتس في تاريخ الأندلس ، تحقيق لطفى عبد الديع ، « مجلة معهد المخطوطات العربيه - جامعه الدول العربيه » المجلد الأول ، الجزء الثاني ، نوفمبر ١٩٥٥ م ، ص ٢٨٣ .

(٤) الجهرى : الروض المطار ، ص ١٨٣ .

(٥) المنرى : ترصيع الاخبار ، ص ٨١ .

ولما لاشك فيه ان عمليات الاسطول تتطلب سرعه في الحركة والتزود بالمعدات والمؤن وهو أمر يشتمل في المريه يضاف إلى كل ذلك ما تتميز به المريه من خليج شديد الاتساع والعمق ، يتسع لعدد كبير من السفن ، كما يتميز هذا الخليج بهدوء مياهه وقلّة امواجه ^(١) ، وإلى جانب هذا تتميز المريه بحصانة الموقع ومناعة الدفاع فحولها تتوزع حصون وقلاع تزيد من قدراتها الدفاعيه مثل حصن برجه وحصن شنش ، والحصانه والمنعة من الشروط التي يجب توافرها في المدن الساحليه ، وفي ذلك يقول ابن خلدون : « ومما يراعى في البلاد الساحليه التي على البحر ان تكون في جبل او ان تكون بين امّة من الامم مرفوقة العدد تكون صريحاً للمدينة متى طرقها طارق من العدو والسبب في ذلك ان المدينة إذا كانت حاضرة البحر ولم يكن بساحتها عمران للقبائل اهل العصبية ولا موضعها متوعر من الجبل كانت في غرة للييات وسهل طروقها في الاساطيل البحرية على عدوها ^(٢) . كذلك يشترط ابن خلدون في المدن الساحليه والموانئ ان تكون قريبة من نهر أو يكون بازائها عيون عذبة ، « فان وجود الماء قريباً من البلد يسهل على الساكن حاجة الماء وهي ضروريه فيكون لهم في وجوده مرفقه عظيمه عامة » ^(٣) .

لذلك كله اهتم الخليفة الناصر بمرية بجانة وأمر في عام ٣٤٤ هـ (٩٥٥ م) بتصوير مدينة المريه وبنياتها وأدار حولها سوراً ^(٤) يحميها الحراس

(١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المريه ، ص ٤٢ .

(٢) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٤٩ .

(٣) نس المصدر ، ص ٣١٨ .

(٤) الحميري : الروض العطار ، ص ١٨٣ .

والسمر^(١) وأصبح لكل وال تسند إليه ولايتها وولاية بجانه إلحاقاً^(٢) .

وأخذت المريه من ذلك التاريخ تنمو ويتسع عمرانها على حساب جارتها بجانه ، فانقلب الوضع وصارت المريه أشهر المراسى وقاعدة القيادة العليا للأسطول^(٣) ، منها يخرج لغزو الأفرج^(٤) . بينما خربت بجانه وتحولت إلى قرية صغيرة^(٥) . وفي عام ٤٠٢ هـ (١٠١١ م) انتقل أهل بجانه إلى المريه فكان ذلك إيذاناً بنهايتها^(٦) .

وحرص الحكم المستنصر منذ توليه الخلافة على تدعيم قاعدة المريه ، ففي عام ٣٥٣ هـ (٩٦٤ م) ، انتقل إليها بنفسه لتوقعه غزواً فاطمياً محتملاً ، ولعناية ما استكمله بها من أعمال التحصينات ومطالعة حال رابطة القبضة والوقوف على خال الرعايا بتلك الجهة^(٧) . إذا كانت قاعدة المريه تضم معظم قطع الأسطول الخلافي لقربها من سواحل أفريقيه ، في حين كانت أشبيلية

(١) ابن فضل الله العمري . جزء من كتاب مسالك الإبحار في ممالك الأمصار ، بعنوان وصف إفريقية والغرب والاندلس ، تحقيق حسن حسني عبد الوهاب ، ص ٤٥ .

(٢) ذكر العذري في ترصيع الأخبار ، ص ٨٢ ، عندما ممن تولوا إمارة البحر وولاية المريه وبجانه ٥٢٠٠ هـ ، وانظر ايضاً ، العبادي : دراسات ، ص ٢٩٠ .

(٣) ابن حيان . المقتبس ، نشر عبد الرحمن الحجى ، ص ٢٨ ، وانظر ايضاً ، العبادي المرجع السابق ، ص ٢٩٧ .

(٤) العمري : المصدر السابق ، ص ٤٥ .

(٥) ابن حيان : المقتبس ، نشر عبد الرحمن الحجى ، ص ٢٨ .

(٦) العذري : ترصيع الأخبار ، ص ٨٢ .

(٧) ابن حيان : المقتبس ، نشر عبد الرحمن الحجى ، ص ٨١ .

مقرراً للأسطول المربط على سواحل المحيط لمواجهة خطر الغزو النورماندى (١) .

ولقد تعرضت الأندلس على عهد الحكم المستنصر لثلاثة غارات نورمانديه من جهة الغرب وفي ميناء المحيط الاطلسى . ففى أول رجب ٣٥٥ هـ (٩٦٥ م) كانت غارة النورماندين التى هاجموا فيها قصر أبى دانس فى ثمانية وعشرين مركباً ، مما اوقع الاضطراب فى اهل ذلك الساحل الغربى للأندلس ، خاصة بعد وصول النورمان إلى بسيط اشبونه ، التى دارت بها معركة حامية بين النورمان والمسلمين اسفرت عن مقتل عدد كبير من الجانبين ، وهزيمة النورمان هزيمة ساحقة ، ثم تمكن اسطول اشبيليه من اللحاق بالاسطول النورماندى عند مصب وادى شاب ، وتحطيم معظمه واسترداد ما كان فيه من اسرى المسلمين (٢) . ولم يستطع النورماندون ان يعادوا غاراتهم التالية على الأندلس إلا بعد ذلك بخمس سنوات .

اما الغارتان النورمانديتان اللتان اعقبتا تلك الغزوة ، فقد تمتا فى سنتى ٣٦٠ هـ ، ٣٦١ هـ (٩٧٠ م ! ٩٧١ م) ، ويغاب على الظن ان النورمان لم يتمكنوا خلالها من النزول بالسواحل الانداسيه بفضل شدة بأس الاسطول الاندلسى وبقظته بحيث امكنه فى سهولة ويسر من التصدى اسفهم وابادة معظمها .

ولاشك ان هذه الغارات النورماندية دفعت الحكم المستنصر إلى زيادة عدد قطع الاسطول الانداسى ، فارتفع عدده من ثلاثمائة (٣) إلى ستائة جن

(١) ابن حذارى . البيان العرب ، ٢ ، ص ٢٢٦ .

(٢) نفس المصدر والجزء ، ص ٢٣١ .

(٣) ابن الخطيب (اسان الدين) : اعمال الاعلام فيمن بويغ قبل الاحتلال من =

ما بين غزوى وغيره (١).

وفي عهد هشام المؤيد الذي خلف اياه المستنصر غلى دست الخلافة بقرطبه في سنة ٣٦٦ هـ (٩٧١ م) ، واصل حاجبه محمد بن عبد الله بن ابي عامر الملقب بالمنصور (٢) الاهتمام بالاسطول الاندلسي ، واستعان بهذا الاسطول في نقل قواته ومعداته إلى العدو المغربي للاحتفاظ بسلطان الامويين هناك . كما استخدم بعض وحدات الاسطول في حملاته على ساحل قطلونية عام ٣٧٤ هـ (٩٨٥ م) ، وفي نقل المشاه من جنوده في المحيط الاطلسي في حملته على جليقية او غاليسية Galicia غربا ٣٨٧ هـ (٩٩٧ م) وهي الحملة التي دمرت مدينة شنت ياقب Santiago de Compostella القاعدة الدينيه لاسبانيا المسيحية (٣) . وفي سنة ٣٨٧ هـ (٩٩٧ م) أنشأ المنصور اسطولا كبيرا في الموضع المعروف بقصر ابي دانس من ساحل غرب الاندلس وجهزه برجاله البحرين وصفوف المترجائين ، وحمل الاقوات والاطعمة والعدة والاسايحه (٤) . كما وصف احد الشعراء المعاصرين الاسطول الذي انشأه المنصور بن ابي

== ملوك الاسلام « الجزء الخامس بالاندلس » تحقيق ليلى بروفسال ، انطبعة الثانية بيروت ، دار العكشوف ، ١٩٥٦ ، ص ٤٢ .

(١) مؤلف مجهول : اخبار مجموعة ، ص ١١٢ ، والجفته أشبه شيء بالقصعة وبذلك تتمدد ابعادها ، اذ هي سفينة دائرية من سفن الغزو والحرب ، والجفص الغزوى كثيرا ما يستعمل في الاندلس ، « التحليل السفن الاسلامية ، ص ٢٣ وما يليها »

(٢) ابن هذاري : البيان المغرب ، ص ٢ ، ص ٣٥٦ .

(٣) ابن هذاري : البيان المغرب ، ص ٢ ، ص ٣٩٥ وما يليها ، وراجع ايضا أحمد مختار الشدي ، دراسات ، ص ٢٨٨ وما يليها .

(٤) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، « القسم الخامس بالاندلس » ، ص ٦٧ .

عامر (١) ، ويعلق المقرئ على هذا الرصف بقوله : « وقد اطنب الناس في وصف السفن واطابوا ، وقرطسوا القريض واصابوا » (٢) .

وعندما اخذت الخلافة الاموية في الاندلس تتدهور بعد سقوط الدولة العامرية وما تبع ذلك من احداث انتهت بسقوط الخلافة الاموية ٤٢٢ هـ (١٠٣٠ م) ، اختفت البحرية الاموية تماما في لانداس واخذ نجم القوى البحرية الاندلسية يأفل وسرعان ما دخلت الاندلس بعد ذلك في فترة سياسي مضطربه ادت إلى انهيار وزوال وحدتها السياسي والجريه معاً (٣) وتوزع رؤساء الطوائف المتنزين في مختلف ثغور الاندلس الأسطول الأموي في يديهم (٤) ، ولكن المربه ظلت تحتل المركز الأول بين القواعد البحرية في

(١) يصف ابن دراج القسطلی الاسطول الذى أنشأه المنصور بن ابى عامر فيقول :

تحمل منه البحر بحرا من القنا	يروع بها امواجه ويهول
بشكل مملات الفراخ كدأنها	وقد حملت اسد الحقائق غيل
اذا سابقه شأو الرياح تغيل	خيولا مدى فرسانه خيول

(القسطلی « ابو عامر أحمد بن محمد بن دراج » ديوان ابن دراج القسطلی

تحقيق محمود علي مكي ، الطبعة الأولى ، منشورات المكتبة الاسلامی بدمشق ،

١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م ، ص ٥٥ وقد أورد المقرئ هذه الايات ، المقرئ : « تنفع

الطيب ، ص ٥٠ ، ص ٢٢٧ » .

(٢) المقرئ : نفس المصدر ، ص ٥٠ ، ص ٢٢٧ .

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، ص ٣ ، ص ٤٣ وما يليها ، ابن الخطيب : أعمال

الأعلام « القسم الخامس بالاندلس » ، ص ٨٦ وما يليها .

(٤) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المربة ، ص ٤٨ ، وانظر أيضا :

Henri pérès : La poesie andalouse en arabe . L' ssique au

Xle siècle. Paris. 1937. p. 2 4.

الأندلس زمن ملوك الطوائف ، فحينئذ استغل بحكم المريه معن بن صهاح التجيبي
 المسلّح بالمتصم ٤٣٣ هـ (١٠٤١ م) ، كان كل غاية العناية باسطوله ، ويروى
 ابن خاقان في القلائد : « ان المعتصم اشتغل بترميم اساطيله ^(١) ، كما انه - اي
 المعتصم - « لم يزد على مراعاة امر جواريه وفلكه » ^(٢) . ولهذا كان اسطول
 المعتصم موضع حديث الشعراء الذي عاينوه ، وقد رصف الشاعر ابن الحداد
 اسطول المعتصم بن صهاح وتضمن شعره اشارات إلى آلات النبط التي كان
 يتزود بها ^(٣) غير ان هذا الأسطول لم يلبث ان احرقت معظم قطعه على يدى
 معز الدولة بن المعتصم ، الذى ايقن بتغلب المرابطين على ملكه ، فقد امر معز
 الدولة رجاله بتقب السور خارج باب موسى إلى دار الصنعة ، وركب بمن
 اختص به فى قطعة ، وحمل المال والمتاع فى ثنتين ، احرق باقى الاجفان
 خشية الاتباع فأمن عاديتهما ^(٤) ، وأوى إلى دولة بنى حماد وملكها إذ ذاك

(١) ابن خاقان « المنج » : فلائد العتيان ، طبعة مصر ، ١٢٢٠ هـ ، ص ٤٨ .

(٢) نفس المصدر والصفحة

(٣) يقول ابن الحداد :

هلم صرف الردى بهام الاغادى ان سمّت نعدوهم لها اجيد
 وتراءت بشرعها العيوت دأبها مثل خائفها سهاد
 ذات هدب من الجواديف حاك هدب باك لدمعة اصعاد
 جسم فوقها من البيض نار كن من ارسلت عليه رماد
 ومن العظ في يدى كل در الف حظها على البحر صاد

« فى المقرئ : نفيع الطيب ، ص ٥٥ ، ص ١٩٨ . »

(٤) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، « القسم الخاص بالأندلس » ، ص ١١٢ .

المنصور بن الناصر ، فقربه واحسن إليه « (١) واقطعه تدلس بالجزائر (٢) .

(١) ابن السكردبوس « ابو مرواث عبد الملك » : كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، القسم الخاص بالاندلس ، معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، ١٩٧٩ ، ص ١٠٠ ، وقد خلف المنصور بن الناصر ابن علفاس بن حماد والده الناصر عام ٥٨١ هـ ، وكان المنصور مولما بالبناء والتشييد فأسس جامع بجاية ، ووجد قصورها وشيد العديد من القصور منها قصر المنار وقصر الكواكب وقصر السلام ، « راجع السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ص ٢٨٤ » .

(٢) ابن الخطيب : أعمال الأعلام « القسم الخاص بالمغرب » ، ص ٩٧ ، وراجع أيضا : السيد عبد العزيز سالم ، المرجع السابق ، ص ٦٨٤ ، و « تدلس » Dellys بفتح التاء والذال المهملة وتشديد اللام ، مدينة بالجزائر على ساحل البحر المتوسط ، « ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص ٩٧ ، ١٨٤ » .

الفصل الثاني

المريه في عهد خيران وزهير العامريين

أولا : النظام الادارى في المريه منذ انشائها حتى قيام دويلات الطوائف

حظيت المريه منذ ان اسسها عبد الرحمن الناصر في سنة ٣٤٤ هـ (٩٥٥ م) باهتمام خاص منه ومن خلفائه لعظم اهميتها وخطورة مكانتها كقاعدة رئيسية لاسطول الاندلس . وقد نمت المريه في عصر الخلافة واصبحت قاعدة كوره (١) تابعة لقرطبه . وبينما نجد في الاندلس كوره تنسب إلى حواضرها مثل كورة اشبليه (٢) ، وجيان ومالقه وريه ، نجد بعض الكور لا تنسب إلى حواضرها او قصباتها مثل كورة البيرة وقصبتها مدينة قسطله (٣) .

(١) الحمري : الروض المطار ، ص ١٨٢—١٨٤ ، قدمت الاندلس اداريا الى كور « جميع كورة » على نحو ما كان متبعاً في مصر والشام في صدر الاسلام ، وكورة لفظة يونانية الاصل من (Curia) وكانت تعادل كلمة pagarchie في النظام البيزنطى ، راجع : Lévi-provençal : Histoire. t. III p. 48 ويعرف ياقوت الكوره بانها : « كل صقع يشتمل على عدة قرى ولا بد لتلك القرى من قصبة أو مدينة أو نهر يجمع اسمها ذلك اسم الكورة » (معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٣٦) ، وظهر اصطلاح كورة في الاندلس لأول مرة في عهد الولى ابي الحطار الحسام بن ضرار الكلبي وذلك عندما أراد أن يجد حلاً للحد الشاميين الذين دخلو الاندلس سنة ١٤٣ هـ مع بلج بن بتر القشيري ، (راجع ابن خلدون : البيان المغرب ، ص ٢٠ ، ج ٣٠ ، ص ٣١) .

(٢) الحمري : المصدر السابق ، ص ٢٠ ، ابن خالب : فرج الأفس ، ص ٢٩٢ وما بعدها .

(٣) ابن غالب : المصدر السابق ، ص ٢٨٢ .

ويعرف ياقوت الاقاليم ، ويعتبره خاصا بأهل الاندلس فيعبر عن ذلك بقوله : « والاصطلاح الثانى لأهل الاندلس خاصة فانهم يسمون كل قرية كبيرة جامعة اقليما ، وربما لا يعرف هذا الاصطلاح إلا خواصهم وهذا قريب عما قدمنا حكايته عن حمزة الأصفهاني فاذا قال الاندلسي انا من اقليم كذا فانما يعنى بلدة أورستاقا بعينه » (١) .

وللعزى نص - غير كامل - يشير إلى ان الكور كانت تنقسم إلى اقاليم يتبع كل اقليم عدد من القرى (٢) .

ونخلص مما سبق ان المريه كانت قاعدة كوره وانها كانت تنقسم بدورها إلى أقاليم ، يتضمن كل منها عدداً من القرى . وكان يطلق على كل ما يدخل في نطاق الكورة أو الاقليم اسم عمل (وجمعه اعمال) (٣) ، أو حوز (٤) (وجمعه أحواز) أو نظر (٥) أو ولاية (٦) .

وأيا ما كان الأمر ، فالمعروف ان كور الاندلس كانت تسند إلى

(١) ياقوت : معجم البلدان ، ١٥ ص ١٥٥ الحميرى : الروض المطار ، الترجمة الفرنسية ص ٢٥٧ .

(٢) العزى : ترصيع الأخبار ، ١٠ ص ٢٠ ، ٢٣ ص ٩ .

(٣) ياقوت : المصدر السابق ، ١٥ ص ٢٠٩ ، ٢٢ ص ٢٧٦ ، ٣٧٦ الحميرى المصدر السابق ، ٥٩ ص وما بعدها .

(٤) ابن غالب : فرحة الأنفس ، ٢٨٢ ص وما بعدها ، الحميرى : المصدر السابق ، ١٨٨ ص .

(٥) الحميرى : المصدر السابق ، ١٠٤ ص .

(٦) ياقوت : المصدر السابق ، ٦ ص ٤٣ ، الحميرى : المصدر السابق ، ١٦٢ ص .

عمال^(١) يعينهم الخليفة بنفسه^(٢) ، يقومون عنه في جميع المناسبات بإدارة كل ما يتعلق بالكورة أو المدينة من شئون عسكرية ومالية وغيرها ، في حين كان يتولى إدارة المدن الواقعة في مناطق الثغور قواد عسكريون^(٣) .

وكان ولاية الكور وقواد المدن يقيمون في مركز الكورة أو المدينة ويعرف بالقاعدة^(٤) ، أو الحاضرة^(٥) ، أو القصبة^(٦) ، كانت تتمثل فيها نماذج مصغرة من مختلف مكاتب الإدارة الموجودة في العاصمة قرطبه ، فكان يوجد قسم خاص لمكاتبات العمال والقادة الرسمية لإبلاغ الخليفة بكل ما يتعلق بشئون مدنهم وكورهم^(٧) ، وكان من مهام عمال الكور الاشراف على إعداد الجند وحشدهم من القرى والنواحي عندما يتطلب الأمر القيام بغزو^(٨)

(١) ابن حيان : اقتبس تحقيق عبد الرحمن الحجى ص ١٧٠ ، ابن عذارى : البيان المغرب ص ٢٠٢ .

(٢) ابن حيان : المصدر السابق ص ١٧٥ وما بعدها ، ابن عذارى : المصدر السابق ص ٢٠٢ ، ١٩٠ ، ٢٨٣ ، الجيزي المصدر السابق ص ٢٠ ، ١٤٩ ، ١٥٠ .

(٣) ابن حيان : المقتبس تحقيق عبد الرحمن الحجى ص ٢١١ ، ابن عذارى : البيان المغرب ص ٢٠٢ ، ٢١٠ ، ٢٨٧ .

(٤) الجيزي : الروش المعطى ص ١٢ ، ٢٨ ، ١٠٦ ، ١٨٨ ، ياقوت : معجم البلدان ص ٢٠٤ .

(٥) ابن غالب : فريدة الأنفس ، ص ٢٩١ ، ص ٢٩٢ ، ص ٢٩٤ .

(٦) ياقوت : المصدر السابق ، ص ٧ ، ص ٢٦ ، ص ٣١٩ .

(٧) ابن ميات : المصدر السابق ، صفحات ٧٥ ، ٨٩ ، ٢٢٧ ، ابن عذارى : المصدر السابق ، ص ٢٠ ، ١٧٦ ، ٢٣٧ .

(٨) ابن عذارى : المصدر السابق ، ص ٢٠ ، ١٧٦ ، ابن الخطيب : أعمال =

والنظر في جباية الأموال المفروضة على الأهالي وإرسالها إلى قرطبه (١) بعد ان يستقطع الامين (٢) ، وهو القائم بهذه الأعمال ، منها رواتب الموظفين ونفقات الجند .

وكان تنصيب العمال وعزلهم يتهم بأمر الخليفة شخصياً (٣) ، وكانت مجرد شكوى واحد من أهالي الكبره ضد الوالي تكفي لان يتهمه الخليفة باساءة استعمال الساطة (٤) ، وكان ذلك الاتهام كنيلا بعزله وإنزال العقاب الذي يوقعه الخليفة عليه . فقد حدث ان عزل المأمور الفائد عبد الرحمن بن مطرف عن شرقسطه بسبب شكوى أهل النغور منه ، فصدر الامر بالقبض عليه ومحاسبته ثم قتله (٥) .

وإذا بحثنا في وضع المربه باعتبارها قاعدة لإحدى كور الاندلس في بداية الفترة موضوع البحث ، نجد ان رئاسة المربه ويجزأته منذ عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر قد اسندت إلى قائد البحر محمد بن رماحس (٦) ، الذي كان

= الاعلام « القسم الخاص بالاندلس » ، ص ٢٣ .

(١) ابن الأبار : الحلة السيرة ، ص ١٠٤ ، ابن عذاري : المصدر السابق ،

ص ١٢٥ .

(٢) ابن الفرضي « ابو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الازدي » : تاريخ علماء

الاندلس ، نشر كوربره ، الدار المصرية لتأليف والترجمة ، مصر ١٩٦٦ ص ٢١٧

« ترجمة ٨١٠ » .

(٣) ابن عذاري : المصدر السابق ، ص ٢٠٩ ، ص ٢٨٣ .

(٤) نفس المصدر : ص ٢٩٣ .

(٥) نفس المصدر : ص ٢٠٩ ، ص ٢٨٣ .

(٦) العذري : قرصيع الاخبار ، ص ٨١ ، وانظر أيضا ، أحمد مختار العبادي :

دراسات في تاريخ العرب والاندلس ، ص ٢٨٩ .

مسؤولاً في ذلك الوقت عن التجنيد في مدينتي بجانه والبيره (١) . وكان ابن رماحس عندما يعهد إليه الخليفة بالغزو يستخلف على المريه وبجانه مكانه ابنه عبد الرحمن بن محمد بن رماحس وقاسم بن عبد الرحمن بن مطرف (٢) ، واستمر محمد بن رماحس في ولايته عليها إلى أن دس له المنصور بن أبي عامر ممآقضى عليه في سنة ٣١٩ هـ (٩٨٠ م) (٣) .

ويورد العذري ثبوتاً فريداً في نوعه بعدد الولاة الذين اسندت إليهم ولاية المريه وبجانه بعد ابن رماحس حتى سنة ٤٠٠ هـ (١٠٠٩ م) يقول فيه : « ثم ولي ابن مسلمه ثم ولي القاسم بن عبد الرحمن سنة ستة وثمانين وثلاثمائة، ثم ولي ابن حدير، ثم ولي ابن فرجون المعروف بالربولوا (٤) ، وكان صاحب الشرطة القائد على بجانه والمريه في سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة محمد بن عبد الله بن حمد بن ثم ولي ابن صاعد ، ثم ولي عبد الرحمن بن رويش بجانه والمريه واعمالها سنة اربعمائة ووليها معه افلح العبد وشاركه في الولاية ، ووقع بينها خلاف إلى ان تقاتلا ، وافلح هذا في قصبة المريه وعبد الرحمن في مدينتها ، ثم خرج عبد

(١) Lévi—provençal : Histoire, t. III, p. 109.

(٢) العذري : المصدر السابق ، ص ٨١ ، ٨٢ .

(٣) Lévi—provençal; Op. cit., p. 109

أحمد مختار العبادي المرحوم السابق ، ص ٢٨٩ .

(٤) والربولوا : بضم كل من الراء المهملة والباء الموحدة من اسفل ثم واو ولام بعدها واو والفاء ، كذا تشكيل الكلمة في العذري ، ترديع الاخبار ، ص ٨٢ ، وأقرب التفسيرات لهذه اللفظة أنها مشتقة عن الإسبانية Royo, Rojo, Rubio أي لا حمر ، وابن الربو أو الربول أي ابن الأحمر ، = (Simonet « Francisco » ; Glosario de voces Ibéricas y

الرحمن هذ من المريه هارباً واستجلب البربر ونزل في جامع بجانه ، ودخل عليه

Látines usadas entre los mozarabes, Madrid, 1888, p.498); =
أو من Robo بمعنى سرقة أو من روبريو المشتقة من Riobarbo ربما تعني
نهر الفالوجا أو الدانوب حيث تنبت بعض الأشجار البرية باسم barbar
(Simonet: Op. cit., p. 486;

أو من Rodavallo ، وتعني نوعاً من السمك ويعطى اللفظ معنى الشيء الذي
يدور مثل العجلة ، (Simonet: Op. cit., p. 492) أو من Rebollo
وهو نوع من الأشجار العالية ، أو Repollo بمعنى الكرنب (راجع القواميس
الاسبانية) ، أو عن Rebelion بمعنى ثورة أو عصيان ، ومن بين هذه
التفسيرات نميز ثلاث :

أولها ، أن يكون المقصود بربولوا الاحمر أو الاشقر ، والثاني ، أن تكون
الكلمة مشتقة من Robo بمعنى سلب أو نهب اذ أن طبيعة عمل ابن مرجون
تعبّر عن هذا المعنى ، ومع هذا فقد يكون المراد من كلمة روبرولوا القراصن
فطلق من ثم عليه هذا اللقب ، ومما يقرب ترجيحنا لذلك احتمال أن يكون أصله
من جماعات البعريين الذين استوطنو بجانه وواصلوا الاغارة على سواحل فرنسا
الجنوبية وشمال وجنوبي إيطاليا خلال القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) ،
ومن ثم أطلق عليهم المستشرقون لقب القراصنة ، اما التفسير الاخير وهو ارجاع
الاشتقاق الى لفظة Riobarbo ، نسبة الى نهر الفالوجا أو الدانوب حيث تنبت
بعض الاشجار البرية باسم barbar ، وفي هذه الحالة يحتمل أن يكون من
الصقالبة واطلق عليه هذا اللقب ، ومع ذلك فنحن نميل الى ترجيح التفسير الاول
وفي هذه الحالة يصبح المعنى ابن الاحمر أو الاشقر ، وانهز هذه الفرصة لأوجه
جليل حكري الى أستاذي الدكتور أحمد مختار المادي على عمله بذهبي الى حدود
معجم سيمونيت الذي استعنت به في تحقيق هذه اللفظة .

في مقصورتها وفي جامعها وقتل هذا الك ، واستجلب رأسه وجثته إلى المريه « (١) .

ثانياً : انتزاع خيران العامري بالمريه

وهكذا تولى أمر المريه منذ انشائها ولاية من الحكومة المركزية بقرطبه إلى ان سقطت الدولة العامريه بمصرع شنجول (٢) بن المنصور بن ابي عامر ، وعلى اثر ذلك (٣) وما ترتب عليه من انهيار الخلافة الاموية وتفكك الوحدة

(١) العذري : ترصيع الاخبار . ص ١٢ ، والمدير بالذكر أن هذا النص لم يرد في أي من المصادر المعاصرة أو التأخره زمنيا عن الفترة موضوع البحث مما يدل على أهميته خاصة وأن العذري من نقاء مؤرخي الأندلس .

(٢) شنجول أي (Sanchuelo) وهو تصغير شاتجو من أسماء خذواته حكام : فارا ، وكان أبوه المنصور بن امي عامر قد تزوج ابنة شاتجه بن فرسيه بن فرذند ملك نافارا ، والتي اعتنقت الاسلام وتسمت باسم عبدة ، فيذكر ابن الخطيب : « انها كانت من خيرات نساء ديننا متينا وحسنا أصيلا » وانجب منها المنصور عبد الرحمن الذي اطلقت أمه عليه شنجول ذكرى لأبيها ، « ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ٣٨ ، ابن الخطيب : أعمال الاعلام (القسم الح. ص ١١١) ص ٦٦ ، ابن الكردبوس (أبو مروان عبد الملك التوزري) : تاريخ الاندلس : تحقيق أحمد مختار العبادي ، معهد الدراسات الإسلامية بمدريد ، مدريد ١٩٧١ ، ص ٦٦ ، ٥٥ » .

(٣) ابن عذارى : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٧٧ ، ابن الخطيب : المصدر السابق ص ١١٢ .

السياسية في الاندلس اشتعلت نار الفتنة البربرية ، فقد عمل البربر على التدخل تعيين الخلفاء وعزلهم والتعصب لخليفة ضد آخر ، فادى ذلك إلى نشوب الفتن وانتشار الفوضى وترتب على ذلك احتدام الصراع بين الحموديين والمروانيين للظفر بالخلافة مما شجع بعض رؤساء الاندلس وقادتها على اعلان انفصالحم عن السلطة المركزية التي فقدت هيبتها وتراخت قبضتها على الاقاليم منذ بداية الفتنة .

قانتزى الرؤساء والقواد والولاة على اختلاف اجناسهم فى سائر انحاء الاندلس واقتسموا خططها ، واستبد كل منهم بما تغلب عليه من النواحي ، وانتحل لنفسه لقباً ملوكياً ، ويعبر ابن بسام عن ذلك بقوله : « فأضحيت اقطار الجزيرة يومئذ كبنى الاعيان واهلها كما قال اخو بنى عدوان » (١) . فامتلك البربر جنوبي الاندلس بأكمله ، بينما اختص الصقالبه العامريون بشرق الاندلس ، اما البلديون من اهل الاندلس سواء اكانوا عرباً ام بربراً أم من أصول اسبانية تعربت بمرور الوقت فقد اسسوا أربع دويلات هي : مملكته

(١) هذير الحى من عدوان ت كانوا حية الارض
بنى بعض على بعض فم برعوا على بعض
« راجع ابن بسام (ابو الحسن على) : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، القسم
الثانى ، المجلد الاول ، تحقيق لطفى عبد البديع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٧٥ ، ص ٤ ، اخو بنى عدوان : هو ذى الاصبيح العدواني وأسمه حزن
بن عمرو بن عدوان بن عمرو بن هيلان وكان جاهلياً ، وعزيز الحى من تولهم
اعذر من نفسه اذا أمكن منها بات يكثر عيبه وفساده ، ومنه الحديث لمن به الك
الناس حتى يعذروا من أنفسهم ، وفي بعض النسخ يذيرى ، (حاشية نفس المصدر
رقمى ٢ ، ٣) .

سرقسطه ، وملكه طليطله ، وملكه بطليموس ، وملكه اشيليه (١) ، وفي خضم هذا الصراع انتزى خيران العامري بالمريه . وكان خيران فتى صقليا من بين جماعة الفتيان العامريه (٢) الذين زحرت بهم قرطبه بعد استيلاء سليمان المستعين عليها . والصقالبه اسم اطلقه العرب على الرقيق المجلوبين لهم من

(١) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ مدينة المريه الاسلاميه ، ص ٥٨ .

(٢) المقالة ، جمع صقلي ، بالاسبانيه Esclavos وبالانجليزيه Slave (راجع شروح عبد الرحمن الحجي على هذا اللفظ في ان حيان : القتبس ، ص ٤٨ ، ١٥) وبالفرنسيه Esclave ومعناها عبد أورقيق ، وهي التسميه التي أطلقها الجغرافيون العرب في العصور الوسطى على الشعوب السلافية التي كانت تسكن البلاد المتمدنة من بحر قزوين شرقا الى البحر الادرياتي غربا وهي البلاد التي كان يطلق عليها في العصور الوسطى بالغاريا العظمى ، راجع في هذا :

(متر : الحضارة الاسلاميه ، ص ٢٦٨ ، أحمد مختارالمبادي : الصقالبه في أسبانيا لهم عن أصلهم ونشأتهم وعللتهم بحركة الشعوبيه ، المهدد المصري للدراسات الاسلاميه بمديد ، ١٩٥٣ ص ٨ قيام دولة المماليك الاولى في مصر والشام ، ص ١٧) ، وكانت هذه القبائل السلافية قد نزلت في أول الأمر شمال البحر الاسود ونهر الطونة ثم أخذت تنزح غربا وجنوبا نحو أواسط أوروبا ، وأضطروا لهذا السبب الى محاربة الشعوب التي اعترضت طريقهم كالكسكوت والهووث وغيرهم مما أدى الى تكمات الاسرى بين الجانبين وكانت من حاديات تلك الشعوب بيع اسراهم يسع الرقيق (راجع جورجى زيدان ، تاريخ التمدن الاسلامي ، مراجعه وتعليق حسين مؤنس ح ، دار الهلال القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٢٢٣) ، اذا كانت الحيووش الجرمانيه في غزرها بلاد السلاف تسكن من سبى ذرارهم ، ثم تقبل على بيعهم في طريق مودتهم لعرب أسبانيا ، راجع في هذا : (Lévi-provençal : L'Espagne : Musulmane aux xème siècle, Paris, p. 54) ;

السلاف ثم شاع هذا الاسم واصبح يطلق على جميع الارقاء المجلوين من البلدان الاوربيه ، ويذكر الرحالة ابن حوقل الذى زار الاندلس فى القرن الرابع الهجرى (أواسط القرن العاشر الميلادى) ان الصقالبه كانوا من سبي افرنجيه وانكبرده Lombardia فى شمال إيطاليا ، وقلوريه Calabria فى جنوبها أو جليقيه فى شمال اسبانيا ^(١) ، والظاهر ان هذا التفسير يعزى إلى الفارات التى كان يشنها طوائف البحرين من المغاربه والاندلسيين على الشواطىء الاوربيه المطله على البحر المتوسط ^(٢) . وكان هؤلاء الصقالبه المجلوبون للاندلس يخرطون فى سلك الجنديه أو يتخذون لخدمه الحريم فى القصور بعد ان يمروا بدور الخصاء ، ومن المعروف ان تجارة الرقيق كانت رائجه فى العصور الوسطى ، وقد اختص بها التجار اليهود فى فرنسا ، ويؤكد المستشرق الهولندى دوزى انه كانت لهم مراكز للخصاء اهمها فى فردان Verdune ^(٣) . وكان هناك مركز آخر للتجار اليهود - لإخصاء الصقالبه المجلوين - خلف مدينه بجانه ، فيذكر المقدسى « وأما الصقالبه فانهم يحملون

= وكان طريقهم الرئيسى يبتدىء من شرق المانيا مارا بإيطاليا ثم فرنسا ومنها الى الأندلس عن طريق نهر الروث وتطالونيا حتى ثغر بجانه على الساحل الجنوبي الشرقى لاسبانيا بجوار المريه ، راجع (أحمد مختار العادى : الصقالبه فى اسبانيا ، ص ٨) .

(١) صورة الارض ، ص ١٠٥ ، ١٠٦ .

(٢) ليو بروفنسال ، مادة (صقالبه) فى دائرة المعارف الاسلاميه ، الطعة الفرنسيه ص ٧٩ ، ٨٠ .

(٣) Dozy (R) : Histoire des Musulmans D'Espagne. t. II, (٣

Leyde, 1932, p 154.

إلى مدينه خلف بجانه أهالها يهود فيخصونهم » (١) .

ولم تقتصر عملية الخصاء على اليهود وحدهم بل شارك المسلمون انفسهم في هذه الحرفة ، لا سيما في مناطق الثغور المتصلة بفرنسا ، ويعبر المقرئ عن ذلك بقوله : « . . . وقد تعلم الخصاء قوم من المسلمين هناك فصاروا يخلصون ويستحلون المثلث » (٢) ، ويذكر ابن حوقل ان « جميع من علي وجه الارض من الصقالبة الخصيان فن جلب الأندلس (٣) » . وكان هؤلاء الصقالبة يباعون في الاندلس احداثا صغار السن ، فيتعهدهم امراء الاندلس بالرعايه ويتولون تنشئتهم تنشئة خاصة ، فيعلمونهم اللغة العربية وفنون الفروسية وآداب المجتمع الاندلسي (٤) ، ويدربونهم علي شئون القصر .

وإذا كان عبد الرحمن الداخل هو أول من استخدم الصقالبة كجنود مرتزقة في الاندلس ، وان كان قلما رغب فيهم ، فان حفيده الحكم الربضي يعتبر اول من استكثر منهم ، إذ انه بالغ في اصطنائهم واجتباب منهم اعداد كبيرة اعتمد عليهم في كل امر من اموره ، ولقد بلغ عددهم في عهده خمسة آلاف مملوك ، وكانوا يسمون بالحرس لعجمة السنتهم كما عرفوا بالماليك (٥) ، وبينما يطلق ابن حيان عليهم اسم « المجاييب الصقالبة » (٦) فان ابن عذارى

(١) المقدسي (شمس الدين أبو عبد الله محمد) : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم

تحقيق دي غويه De Goeve ، لندن ١٠٦ ، ص ٢٤٢ .

(٢) نفح الطيب ، ج ١ ، ص ١٤٠ .

(٣) كتاب صورة الارض ، ص ١٠٦ .

(٤) لطفى عبد البديع : الاسلام في اسبانيا ، مكتبة النهضة العربية ، ١٩٥٨ ، ص ٢٦

(٥) المقرئ : نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٢٢٠ .

(٦) ابن بسام : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، القسم الثالث مخطوط ، ورقة ٤ .

يسميهـم العلوج^(١) . ويواصل الأمويون سياسة اجتلاب الصقالة إلى الاندلس واستخدامهم في الجيش ، حتى لقد بلغ عددهم عند وفاة عبد الرحمن الناصر ثلاثة آلاف وسبعمئة وخمسين صقلية ، وبلغ عدد النساء بالقصر ستة آلاف وثلاثمائة^(٢) ويبدو ان عبد الرحمن الثالث كان يستهدف من الاستكثار منهم اضعاف قوة القبائل العربية^(٣) . ويدل عدد الصقالة ذكورا كدانوا

(١) البيان المغرب ، ٣٠ ، ص ١٦٢ .

(٢) ابن عذاري : المصدر السابق ، ٢٠ ، ص ٢٢٢ ، وتتفق رواية ابن الخطيب مع ابن عذاري في عدد الصقالة ولسكنها تختلف في عدد النساء بالقصر ، اذ يذكر ابن الخطيب أن « عدد النساء بالقصر ستة آلاف وسبعمئة وخمسين » ، (ابن الخطيب أعمال الأعلام « القسم الخاص بالانلس » ، ص ٤٠ ، ٤١) .

(٣) ليفي بروفسال : مادة «صقالة» ، دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة الفرنسية ص ٧١ ، ٨٠ ، اذ لم يتردد الخليفة الناصر في أن يهد الى نجده الصقلي بقيادة الحملة الموجهة ضد راميرو الثاني Ramiro II ملك ليون وحلفائه أصحاب مملكة نافارا Navarra على الرغم مما أبدته حاشيته من استياء ، وهى الحملة التى كانت نتيجةها هزيمة المسلمين في وقعة سفت مائكمس Simancas والخندق Alhandega عام ٣٢٧ هـ (٩٣٩ م) ، والتى يقال أن فشلها يرجع الى تغير نفوس العرب لتقديم الصقالة عليهم ، اذ أقسموا على أن يتركوا الصقالة وحدهم عند بدء المعركة مما أدى الى الهزيمة وقتل نجده الصقلية قائد الحملة ، وفرار عبد الرحمن الناصر بأقل من خمسين فارس بعد نجاحه باعجوبة ، « راجع : مؤلف مجهول ، أخبار مجموعة ، مكتبة المتى بغداد ، طبعة مجرطة ١٨٦٧ ، ص ١٥٥ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام « القسم الخاص بالاندلس » ، ص ٣٦ ، ٣٧ ، المقرئ : تفصح الطيب ، ١٠ ، ص ٢٣٩ ، ٢٣٢ ، أحمد مختار العدادى : الصقالة في أسبانيا ، ص ١٢ ، ١٣ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين واثارهم في الاندلس ، ص ٢٨٩) .

أم انائاً على ظهور طبقة جديدة في المجتمع الاندلسي ، اخذت تيموا تدريجياً حتى أصبحت تمثل إحدى القوى الرئيسية ، التي لعبت دوراً هاماً في التاريخ الاندلسي ، فقد حازوا ثقة الخلفاء فتقلدوا المناصب الرفيعة في الدولة كصاحب البرد وصاحب السكة وصاحب الطراز ، وأسندت إليهم مهام عليا بالقصر كما تولى بعضهم مناصب القيادة العسكرية (١) .

وفي عهد الخليفة المستنصر ، تمتع الصقالبة بنفوذ واسع وأصبحوا يتحكمون في كل مداخل القصر ومخارجه كما استأثروا بحراسة الخليفة ، ولع منهم إثنان استبددا بالسلطة داخل القصر أحدهما فائق صاحب البرد والطراز ، والآخر جؤنر صاحب الصاغة والبيازره (٢) ولقد لعب هذان الأخيران دوراً هاماً في عهد ابنه هشام ايضاً (٣) .

وقد استكثر المنصور بن أبي عامر من العبيد والماليك والبلوج ليقيمهم من يطاوله ويشكده ذلك ما أورد صاحب فتح الطيب بقوله : « وقدام رجال البرابرة وزناته ، واخر رجال العرب واسقطهم عن مراتبهم » ، فتم له بما أراد

(١) Bertrānd (Louis) . The History of Spain, Part, I, London (١ 1934, d. 58.

(٢) ابن هذاري : البيان المغرب ، ٢ ، ص ٢٥٩ ، ابن الخطيب : أعمال الاعلام القسم الخاص بالاندلس ، ص ٦٥ .

(٣) يعبر ابن الخطيب عن ذلك بقول « كان هؤلاء الفتيان الصقالبة يستأثرون بما يخاف حجاب القصر » ، ينفون على الاف وفيهم الاكابر الملقبون بالخيلاء تعظيماً لهم وتنويهاً بملوئهم ، وكان عددهم حوالي العشرين قس ، يعيشون هيئة الملوك العظماء وعلى رأسهم فائق وجؤنر » (أعمال الاعلام ، القسم الخاص بالاندلس ص ٦٥) .

من الاستقلال بالملك والاستبداد بالأمر... وجند البرابرة والممالك واستكثر من العبيد والعلاج للاستيلاء على تلك الرتبة ، وقهر من تطاول إليها من العلية (١) .

ولم يكن الصقلية الذين نسب معظمهم إلى المنصور بن أبي عامر أقل جشعاً في السلطان من اجناد البربر ، فقد استغلوا ضعف المؤيد وعزلته عن الحياة السياسية التي فرضها عليه العامرية واخذوا ينافسون البربر في الظفر بالسلطان ، فأشتركوا في جميع المؤامرات التي كانت تحاك في قرطبه وسائر بلاد الاندلس ، وتبادلوا مع خصومهم النصر والهزيمة ولكنهم أبلوا في حروبهم معهم كل ضروب البسالة والاقدام تحت لواء خيران العامري رئيس طائفة الصقلية في قرطبه (٢) .

ولما توزعت الطوائف فيما بينها بلاد الاندلس استأثرت طائفة الصقلية بشرق الاندلس فأنزلوا فيها وكونوا الممالك . فكانت بلنسية من نصيب مارك والمظفر الصقليين وآلت طرطوشة إلى ليبب الصقلي ، ودانية إلى أبي الجبش مجاهد العامري والمريه إلى خيران ثم زهير .

أولوية خيران :

ويهمنا من كل ذلك خيران العامري الذي ظفر بالمريه وكان خيران هذا من جلة فتيان المنصور بن أبي عامر ، حظى في عهد هشام المؤيد بمكانة رفيعة أهله لرئاسة الصقلية ، والمشاركة في جماعة الفحول النابئين عن الدولة (٣) . فلما نشبت الفتنة كان في جلة المؤيد بن محمد بن هشام المهدي حتى بدا لهم من

(١) المقرئ : نفع العليبي ٢٠١٤ ص ٢٧٤ .

(٢) أحمد مختار العبادي : الصقلية هي أسبانيا ص ١٧ .

(٣) ابن الخطيب : أعمال الاعلام (القسم الخاص بالاندلس) ص ٢١٥ .

أمره ، فنقموا عليه صنعه بهشام المؤيد من اقدامه على اضطهاده وحبسه بالقصر وما فعله بآبن ابى عامر عبد الرحمن شنجول ، وتجريته بعد ذلك على أخذ البيعة لنفسه ، كل ذلك حرك نغمتهم على المهدي فثاروا عليه ثم قتلوه ، وكان من أبرز مدبري هذه المؤامرة الحاجب واضح الفقى وزميله عنبر وخيران اللذان قدما من شاطبه بين لفيف من الصقالبه للمشاركة في احداث قرطبه ، فبعد نجاح مؤامراتهم بقتل المهدي أطلقوا سراح الخليفة هشام المؤيد واعادوه إلى دست الخلافة وأسندوا حجابته إلى واضح الفقى ، إلا ان البربر تمسكوا بزعيمهم سليمان بن حكم الملقب بالمستعين فواصلوا حصار قرطبه إلى ان تغلبوا عليها^(١) ، واقتحموها فكان خيران احد من تخطته المتالف قتر منها بينما اشبع البربر انتقامهم من اهل قرطبه فتعرضوا لسيوف البربر^(٢) .

وكان قد انضم إلى خيران جميع فتیان محمد بن ابى عامر فتحولهم وخصيانهم^(٣) فرحلوا عن قرطبه مؤثرين النجاة بارواحهم إلى شرق الاندلس^(٤) ، ورأى خيران ان يفيد منهم فينفذ بهم اهدافه ، فقاومهم بادیء ذى بدء إلى أوريوله وكانت مثلاً « فى الحصانه والمنعه »^(٥) ، وكان

(١) ابن هذارى : البيان المغرب ٤٣٠ ص ٩٧٦ ٩٨٦ ابن الخطيب : أعمال الاعلام

ص ١١٥ وما بعدها ٢ السيد عبد العزيز سالم : قرطبه حاضرة الخلافة في الاندلس ، الجزء الأول ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص ٨٥ .

(٢) الضبى : بغية الملتصم ، ص ٢٢ ، ابن هذارى المصدر السابق ، ص ٣٠ ، ص ٨١ :

(٣) ابن هذارى المصدر السابق ، ص ٣٠ ص ١٦٦ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٣٠ ، ص ١١٥ .

(٥) ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص ٢١١ ، أوريوله : مدينه قديمة ، كانت أيام

المغرب تابعه لكورة تدمير ، اسمها اللاتينى Aurariola وتفسيرها الذهبية =

البربر يسيطرون عليها منذ بدايه الفتنه فأخرجهم منها (١) واستولى عليها واتخذوها نقطه انطلاق لتوسعه في شرق الأندلس ولم يلبث ان ضم إليه مرسية حاضرة كورة تدمير إلى حوزته واخضعها لسلطانه في سنة ٤٠٣ هـ (٢٣ يوليو ١٠١٢ - ١٢ يوليو ١٠١٣) (٢) ، واخرج البربر منها . وتوج خيران حركته تلك بالسيطرة على كل اقاليم كوره تدمير (٣) وظلت هذه الكورة

وهي على بعد ١٢ ميلا من مرسية ، وبينها وبين قرطاجنه ٤٥ ميلا ، ولها قصبه منيعة ، « راجع ، الادريسي ، المغرب وأرض السودان ومصر والاندلس ، ص ١٩٣ ، المجري : الروص المطارد ، ص ٢٤ ، محمد الفاسي : الاعلام الجغرافية الاندلسية ، « مجلة البنية » ، السنة الاولى ، العدد الثالث ، ١٩٦٢ ، الرباط ، ص (٢١) .

(١) العنزي : ترصيع الاخبار ، ص ١٦ .

(٢) ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص ٢١١ .

López (Emilio Molina): La cora de Tudmir segun Al'Udri (S. XI); en (Cuaderno) de Historia del Islam), Sevilla, 1972, p. 87 .

(٣) العنزي : ترصيع الاخبار ، ص ١٦ ، وقد حدد العنزي ، المصدر السابق ، ص ١٠ ، اقاليم كورة تدمير فقال : « اقليم لورقة ، اقليم مرسية ، اقليم المعسكر ، اقليم شنتجيه ، اقليم الش ، اقليم ايه السهل ، اقليم جبل ونصره القلعة ، اقليم طيباليه ، اقليم توتيه ، اقليم ابن الجايح ، اقليم بقمره أخرى ، اقليم موره ، اقليم بالاش وفيه حصن قريش ، وفيه حصن رنيه وفيه حصن ايليار ، وقاعدة بالاش بذلش ، واطليم بيرة ، ويذكر المجري أن تدمير تضم خبع مدن هي : « اوربوله ، ولفقه ، ولفنته ، وموله ، وبلاته ، ولورقه ، اله » ، الروص المطارد ، ص ٦٤ .

خاضعة له حتى وفاته (١) .

السياسة الخارجية لخيران العامري :

وما ان تغلب علي هذه الكورة حتى اتجه إلى المريه معقل الاندلس ، وكان أفلح الصقاني آنذاك متغلباً عليها ، ويصفه ابن الخطيب بانه « رجل جلف شديد العتو والجهالة ، مفرط النخوة ، لا يحسن التفرد والاستقلال بنفسه ، قد ذهب به العجب كل مذهب ، ورأى لنفسه الفضل على سائر جنسه بالشيخوخه وقديم الملكة » (٢) ، فهاجه خيران بجيشه في أول المحرم سنة ٤٠٥ هـ (يوليو ١٠١٤ م) وضيق عليه ، وتمكن من التغلب على أفلح وولديه وقتلهم وألقى بجثثهم في البحر ليلاً ، ثم دخل مدينة المريه واستولى على قصبتها ، واثهب كل ما وجدوه فيها من أموال وعدة ، وأمن أهلها (٣) .

ومن ذلك الحين أصبحت المريه حاضرة مملكته وقاعدة دولته فجاب إليها أمواله وعدته (٤) ، واستوزر ابا جعفر احمد بن عباس بن ابي زكريا ليعينه في تدبير شؤون المملكة وكان ابو جعفر هذا من كبار كتّاب الاندلس ذاعت شهرته في الافاق وعظمت منزلته في مراتب الادباء وذكرواعنه انه : « بزأهل زمانه في اربعة ، أشياء : الثروة ، والكبر ، والبخل والانشاء » (٥) ، وقد لعب

(١) العنري : المصدر السابق ، ص ١٦ .

(٢) أعمال الاعلام « القسم الخاص بالاندلس » ، ص ٢١١ .

(٣) العنري : ترصيع الاخبار ، ص ٨٣ .

(٤) ابن الخطيب : أعمال الاعلام « القسم الخاص بالاندلس » ، ص ٢١٢ .

(٥) انظر ترجمته في ابن بسام : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، ق ١ م ١٠١ .

ص ١٥١ ، ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٠٥ ، دوزي « رينهارت » :

ملوك الطوائف ، ترجمة كامل كيلاني ، مصر ١٩٣٣ ، ص ٧ ، ٤٨٠ .

هذا الوزير دورا بالغ الخطورة في عهد زهير العامري خلف خيران كما سنرى بعد في موضعه (١) .

وما ان استقر الأمر لخيران في المريه قاعدته الرئيسيه ، حتى غادرها بجيشه تلبية لدعوة علي بن حمود - القائم بسبته - الذي نار على الخليفة المستعين مدعيا انه حصل على وصيه من الخليفة هشام المؤيد ، تؤهله للخلافه من بعده ويعبر ابن عذارى في ذلك نقلا عن المظفرى بقوله ان عليا لما خرج « عن طاعه المستعين اخرج كتابا نسبه إلى هشام بن الحكم يقول فيه انقدنى من أسر البرابر والمستعين وانت ولى عهدى » (٢) وفي روايه للمقرى ابن المؤيد هشام كان « يشتغل بالملاحم ، ووقف على ان دولة بنى اميه تنقرض بالاندلس على يد علوى أول اسمه عين ، فلما دخل سليمان مع البربر قرطبة ومحووا كثيرا من محاسنها ومحاسن اهلها كان من اكبر امرائهم على بن حمود ، وبلغ هشاما المؤيد وهو محبوس خبره واسمه ونسبه ، فدرس إليه ان الدولة صائرة إليك ، وقال له : ان خاطرى يحدثنى ان هذا الرجل يقتلنى ، يعنى سليمان ، فان فعل فعز بئارى » (٣) وأيا ما كان الامر ، فان خيران لم يتردد في تلبية دعوة على بن حمود لنجدته فسار بقواته إلى مالقه ، وكان على بن حمود لمكى يكسب انصاراً جدداً ، قد اعان في مالقة أنه لم يحضر إلا لنصرة الخليفة هشام المؤيد (٤) ، فلقى اعلانه هذا استجابة من أهل مالقه بالاضافة إلى تأييد خيران وزاوى بن زيرى وخبوس بن ماكسن بن زيرى وأخوته ونهى عمه الصنهاجيين ،

(١) أنظر صفحات ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ .

(٢) ابن عذارى : البيان المغرب ٤ ص ١١٦ .

(٣) فتح الطيب ٤ ص ٢٧ .

(٤) ابن عذارى : البيان المغرب ٤ ص ٢٣ .

فعظم شأنه وقوى أمره ، وحارب بهم المستعين . وكان المستعين عندما بلغه نبأ تحالف على بن حمود وخيران العامري عليه ومسير جيوشها إليه ، عظم عليه الأمر وخرج بمن تبقى من رجاله للقائها ، واشتبك الفريقان في المحرم سنة ٤٠٧ هـ (يوليو ١٠١٦ م) فدارت الدائرة على المستعين وانصاره ، وانتصرت جيوش على بن حمود وخيران ودخل على بن حمود قصر قرطبه في ٢٢ محرم سنة ٤٠٧ هـ (يوليو ١٠١٦ م) (١) .

أما خيران فكان يحدوه الامل في ان يجد مولاه هشاما ما يزال حيا كما اوهم ابن حمود بذلك فلما تبين له ان الامر لم يكن سوى خدعة أظهر خلافه ، وخشى في نفس الوقت ان يغدر به على بن حمود فيتخلص منه ، ولهذا السبب بادر بالرحيل عن قرطبه إل شرق الاندلس (٢) .

واما على بن حمود فقد استقرت له الامور بقرطبه إلى ان قتل في أول ذى القعدة سنة ٤٠٨ هـ (١٠١٧ م) ، على ايدي ثلاثة من صقالبته اقدموا على قتله في بحرام قصره واعترفوا بذلك (٣) . ثم استدعي البربر أخاه القاسم من أشبيلية لمبايعة بالخلافة ، فلم يتردد في القدوم ودخل قرطبه في ٤ ذى القعدة

(١) الضبي : بنية الماتمس ، ص ٢٥٠ ابن هذاري : البيان المغرب ، ص ٢٢٠ ص

٢ ١٢١٦ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المسلمين وآثرهم في الاندلس ، ص ٣٥٧ .

(٢) الضبي المصدر السابق ، ص ٢٥٠ ابن هذاري المصدر السابق ، ص ٢٣٠ ص ١٢٠

١٢١ السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق والصفحة .

(٣) ابن حزم « أبو محمد على بن أحمد بن سعيد » نطق العروس في تواريخ الخلفاء ، تحقيق شوقي ضيف « مجلة كلية الآداب » ، مطبعة جامعة القاهرة ، ديسمبر

١١٥١ ، ص ٨٠ ابن هذاري : المصدر السابق ، ص ٢٢٠ ص ١٢٢ .

سنة ٤٠٨ هـ (١٠١٧ م) وبويع له بالخلافة ، وتلقب بالمأمون (١) ، ولكن تقوّد الخلافة ظل في عهده محدود السيطرة « فقد غلب عليه رؤساء البربر المسؤولون على الكور وامراء النفور ، والفتيان العامريون بالبلاد الشرقية » (٢) .

فلما علم القاسم بن حمود نبأ قيام خيران العامري في سنة ٤٠٧ هـ (١٠١٧ م) ، بتنصيب خليفه من أعقاب بني ابيه يدعى عبد الرحمن بن محمد ابن عبد الله بن الناصر لقب بالمرتضى ، ومبايعة امراء الثغر له ، كاتب العامريين وعمل على استمالتهم ، فأقطع زهير احيان وقلعة رباح وياسة ، وكاتب خيران واستعطفه ولجأ إليه واجتمع به بالمريه ثم عاد إلى قرطبه (٣) .

وكانت لهذه المساعي على ما يبدو وأثرها في مجريات الاحداث ، خاصة وان المرتضى اظهر الجفاء لمنذر بن يحيى وخيران ، فندما على تأييدها لقضيته (٤) ، وأضمر الكيد له وخذلانه في معركة المقله مع البربر المتغلبين في قرطبه واعمالها (٥) . فلما كاد المرتضى يظفر بالبيعة حتى قر عزمه على

(١) ابن بسام : الذخيرة ٤ في ١ م ٤١ ص ٨٣ ابن عذاري : المصدر السابق ٤

٤ ص ٢٣ — ١٢٢ ابن الخطيب : أعمال الاعلام « القسم الخامس

بالاندلس » ٤ ص ١٣٠ .

(٢) ابن الخطيب : المصدر السابق ٤ ص ١٣٠ .

(٣) ابن الاثير : المكمل في التاريخ ٤ ص ٢٧ ص ٢٨٦ .

(٤) نفس المصدر والجزء والصفحة ٤ السيد عبد العزيز سالم : قرطبه حاضرة

الخلافة ٤ الجزء الاول ٤ ص ٩٥ .

(٥) ابن بسام : الذخيرة ٤ في ١ م ٤١ ص ٨٠٠ السيد عبد العزيز سالم :

الموقع السابق ٤ الجزء الاول ٤ ص ٩٥ .

إعادة الخلافة الاموية بقرطبة فاعد لهذا الغرض جيشاً كثيفاً من موالى
العامريين خرج في مقدمة وصحبه في جملة من جاء معه منذر التجيبي صاحب
سرقسطه وخيران وعدد من فرسان الذرنجة () ولكن هؤلاء خافوا من
عواقب انتصاره وايقنوا ان ظنهم بالخلافة يتعارض مع مطامعهم الشخصية
ومصالحهم ، ويعبر المقرئ عن ذلك بقوله : « فكان من الاتفاق العجيب ان
فسدت نية منذر وخيران على المرتضى ، وقالوا أرائنا في الأول وجهها ليس
بالوجه الذى نراه حين اجتمع إليه الحيم الغنير ، وهذا ماكر غير صافى
النية » (٢) ، ويعلل ابن حيان سبب غدر منذر وخيران بالمرتضى بأنهما طلبا
منه ان يخرج مبارك صاحب بلنسية معهم في غزو قرطبة ولما لم يجيبهما المرتضى
إلى طلبهما واقارره بتخلف مبارك لجمع الاموال ، حقدآ عليه واجعا على
الغدر به (٣) فعمدا إلى تضليله وتظاهرا باسداء النصيحة له وهما يفرران به
واقنعاه بمهاجمة بربرغرناطه بحجة انه لا يمكنه غزو قرطبة قبل ان يقضى على
عدو يتربص بهم في غرناطه ويهدد مؤخرتهم (٤) ، فاقتنع المرتضى برأيهم ،
ولم يجد ما يمنع من البدء بزاوى بن زبرى اكبر سند للقاسم بن حمود (٥) .
وهكذا نجح خيران ومنذر بن يحيى في استدراج المرتضى الى محاربة بربر

(١) المقرئ : تنقيح الطيب : ٢٨ ، ص ١٩ ، ٣٠ .

(٢) المقرئ : تنقيح الطيب ، ٣٢ ، ص ٢٩ ، ٣٠ .

(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ١٠ ، السيد عبد العزيز سالم قرطبة

حاضرة الخلافة ، الجزء الأول ، ص ١٥ ، ١٥ .

(٤) ابن بسام : نفس المصدر ، ق ١ ، م ١ ، ص ١٠٠ .

(٥) خالد الصولي : تاريخ العرب في اسبانيا في نهاية الخلافة الـأولوية ، حلب ، ١٩١٣ ،

غرناطة في الوقت الذي دبر فيه هزيمته بالاتفاق مع زاوى بن زبرى، ويؤكد ذلك ما ذكره ابن بسام في الذخيرة اذ اشار الى انهما « دسا الى زاوى واسرا عليه بالغدر بالمرتضى » (١)، وما اوردته المقرئ من أن خيران لما اقترب من غرناطة كتب الى ابن زبرى الصنهاجى المتغلب على غرناطة « وضمن له انه متى قطع الطريق على المرتضى عند اجتيازه عليه الى قرطبه خذل عن نصرته الموالى العامرين اعداء المروانيين وأصحاب رياسة انثغور فاصغى ابن زبرى الى ذلك » (٢). فلما هاجم المرتضى بجيشه بربر غرناطة تخلى منذر وخيران عنه وانسحبوا من المعركة فدارت عليه الدائرة وولى الادبار، فارسى الصقالبة وامراء النغور بعض رجالهم لقتله وتم له في سنة ٩٤٩ هـ (١٠١٩ م) (٣).

ثم تدخل خيران ومجاهد العامرى في الاحداث السياسيه بقرطبة مره ثانية، اذ سعى بعض اهل قرطبه الى الاتصال يحيى بن على بن حمود العلوى بهدف اعادته الى الخلافة بعد ان تاكد لديهم خبر موت الخليفة المستكنى بالله الاموى (٤) وكان يحيى بن على قد استقر انذاك بمالقة بعد ان خطب لنفسه بالخلافة وتلقب بالمعتلى، فاجاب طلبهم وأرسل من قبله عبد الرحمن بن عطاف اليفرنى واليا عليهم، ثم سار المعتلى الى قرطبه ودخل مقر الخلافة يوم الخميس ١٦

(١) ابن بسام : الذخيرة ، م ١ ، ق ١ ، ص ٤٠٠ .

(٢) المقرئ : نقيح الطيب ، ص ٢٠ .

(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ٤٠٠ .

(٤) ابن هنادى : البيان المغرب ، ص ١٢٢ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ،

رمضان سنة ٤١٦ هـ (٩ نوفمبر ١٠٢٥ م)^(١) ، ولكنه لم يقم بها طويلا ، اذا كان يترجس خينة من اهلها ولم يكن يحسن بينهم بامان فغادرها بعد ما يقرب من أربعة شهور ، بعد أن ترك فيها وزيره وكاتبه ابا جعفر احمد بن موسى دروناس بن روح كي ذرعا عنه في حكمها^٢ . ولكن بعض المؤرخين يذكرون ان جماعة من أهل قنطرة شاطروا يحيى بن علي بالخلافة ، ذوافقهم وارسل اليهم نائبا عنه لولاية قنطرة يدعى عبد الرحمن بن عظام اليفرنى ولم يحضر هو باختياره^(٣) . لكن المعتلى لم يلبث ان لقي حخته بمهبة فرمونه في حربه مع ابن حاكم صاحب الشايب^٤ . وبموت ابا يحيى اهل قنطرة أنقذتهم من بقاء ما يترتب تحت حكم البربر من مزا على ابناءه الخلافة الامويين ، فاتصلوا بخيران العامري صاحب المربة وشيخان صاحب دانية وادست ردا بها على البربر ، ومع ذلك نام في قنطرة وصور ابا يحيى في ٢٠ ربيع الاول سنة ٤١٧ هـ (١٩ يونيو ١٠٢٦ م) على البربر وقتلوا منهم ما يقرب من الف بربرى^(٥) .

(١) ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص ١٣٦ .

(٢) ابن عسار ، البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ١٤٠ ، ١٤٥ ، ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص ١٣٦ ، ١٣٧ ، وأنظر أيضا :

Lévy-Provençal . Histoire t. II pp 335 - 337 .

(٣) ابن عسار ، البيان المغرب ، ج ٧ ، ص ٢٧٨ ، في الوارد المراكشي . المعجب في تاريخ اثار المغرب ، نشر محمد سعيد العربي ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص ١٠٢ ، ابن عسار ، البيان المغرب ، ج ١ ، ص ٤٠٨ .

(٤) ابن بسام : الذخيرة ، ج ١ ، ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ابن عسار : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ١٤٤ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ابن الخطيب : اعداد الأعلام ، ص ١٠٧ .

(٥) ابن عسار : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٤٣ ، ابن الخطيب : المصدر السابق ،

وعلى اثر ذلك وصل مجاهد وخيران العامريان الى قرطبة بحشودهما ، فأقاما بها نحو شهر ولكنهما تنازعا ودب بينهما الخلاف فخاف كل منهما من صاحبة فعاد خيران الى المرية او اخر ربيع الاخر سنة ١١٧ هـ (١٠٢٦ م) ، اما مجاهد فقد ظل يقيم بقرطبة مدة ثم رجع الى دانيه حاضرتة ^(١) ، ويقال ان سبب مغادرتها لقرطبة يرجع الى عدم اتفاقها مع اهلهما للبيعة لاحد الامويين ^(٢) . ويمكننا ان نخلص مما سبق ان سياسة المصاحبة كانت الهدف الاول الذى يوجه خيران العامري صاحب المرية فى كل تحركاته ، اذ سعى جاهدا الى توجيه العصبيية الاندلسية للقضاء على العصبيية البربرية فى خلافة على بن حمود ، واصطنع مع المرتضى المكر والدهاء بعد ان لجأ اليه القاسم بن حمود واستنجد به فسير المرتضى الى حقة وتخلص منه بقتلة .

ولم يقتصر دور خيران على التدخل فى الاحداث السياسية بقرطبة فقد شارك فى احداث شرق الاندلس ، فعندما اسند الفتيان العامرية بشرق الاندلس امرهم الى نفر من مشيختهم بعد خروج مجاهد رئيسهم عنهم ، وتشاوروا فى تنصيب امير يتخذونه رئيسا لهم من سلالة مولاهم المنصور بن ابي عامر ، اتفق رأبهم على تنصيب عبد العزيز بن عبد الرحمن شنجول بن المنصور بن عامر ملكا عليهم ^(٣) . وكان عبد العزيز انذاك فتى حدثا لا يتجاوز

(١) ابن الاثير : المصدر السابق ، ٧ ، ص ٢٨٧ . ٢٨٨ .

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ٣ ، ص ١٤٤ ، ابن الخطيب : المصدر السابق ص ١٢٧ ، انظر ايضا :

I évi-prove çal : Hist ire, t. II; pp. 336 — 337 .

(٣) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثالث ، مخطوطة بغداد ، لوحه ٨١ ، ابن عذارى : البيان الغرب ، ٣ ، ص ١٦٤ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١١١ .

من العمر خمسة عشر عاما ، كان في حماية ابيه عبد الرحمن شنجول طفلا واضطر الى الفرار من قرطبة - مرا الى سرتسطة في اعقاب مصرع ابيه واندلاع الفتنة واستيلاء محمد بن عبد الجبار على قرطبة ، واذام في سرتسطة في كنف صاحبها يحيى بن منذر بن يحيى التجيبي^(١) . وظل يقيم بها الى ان استدعاه الموالي العامريون في شاطبة^(٢) . التي كانت اندالا من املاك خيران العامري - ومنها اعادوه رئيسا لحزبهم في سنة ٤١١هـ - ١٠٢٠م^(٣) وتلقب منذ ذلك الوقت بالمنصور تمثلا باقرب جده ابن ابي عار ، مما جعل بعض مؤرخي العرب يطلقون عليه اسم المنصور الصغير تمييزا له عن جده^(٤) .

ويبدو أن خيران - الذي ساهم في تنصيب عبد الله زيز بن عبد الرحمن شنجول على دست الرئاسة - قد خشي من ازدياد نفوذه ، وعز عليه ان

(١) ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص ١٩٣ ، ١٩٥ .

(٢) شاطبة : مدينته تقع بالقرب من بلنسية على ساحل البحر وكانت من أكثر مفرور شرق الأندلس صناعة وحصانة ، والحجري يذكر أنه كان لها نصبتان متممتان كما يشير الى خصوصية بقعتها وعظم ثرائها وشهرتها في صناعة السكاخذ والى أنها « حاضرة اهله ما جامع ومساجد وفنادق وأما واق وقد أحاط بها الوادي ، (مواد أندلسية جديدة من الروض لمطار اصلاح الدين المنجد » مجلة معهد لخطوط جافة الدول العربية » ، المجلد الخامس ، الجزء الأول ص ٢٨ القاهرة : ١٩٥٩)

(٣) ابن عذاري : البيان المغرب ، ص ٣٤ ، ١٦٤ ، ابن خلدون « عبد الرحمن بن محمد » : كتاب العرب وديوان المبتدأ والخبر ، ص ٤٠ ، ٢٨١ هـ ، ص ١٦١ .

(٤) ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٤٠ ، ١٦٤ .

يحتمل مكانه فعزم على التخليص منه ، وساعدته الظروف على تحقيق هدفه عندما مل أهل شاطبه من حكم عبد العزيز وكرهوا استبداده بهم ، وقرر عزيمهم على الاطاحة به ، فتمت دد خيران في تأييد حركتهم بالهجرة على عبد العزيز ، وتم الامر على نحو تجاوز تقديراتهم ، فقرر عبد العزيز الى بانسية في سنة ١١٠٢ هـ (١٠٢١ م) (١) .

وفي هذه الاونه كانت الاوقات قد ساعدت بين خيران ومجاهد العامري صاحب دانيه وجزر البليار ، وادل ذلك يرجع الى - بعد مجاهد خيران بسبب سياسته لتوسعية واقدامه على ضم مزيد من الامارات فلاحق ذلك في الزحف (٢) منها وعزم على مهاجمة ، فجمع بالفعل جيوشه وأساطيره وساعدت سراحيل المربه (٣) ، فأدرك خيران بذلك ان لاطاؤه له بمقاومة مجاهد ، فعمد الى دهائه ، واستقر رأيه على أن يضرب مجاهدين بشخص يرتضيه العامريه ، فقرر ان ينصب أحد الجناد من لاه السليم الصغير بن ابي عامر ليستعين به على مجاهد العامري ، فتعي الى علمه أن محمد بن عبد الملك المظفر يقيم بجيسان وأنه استطاع بنضل الثروة الكبيرة التي كانت لأمه أن يجذب اليه الاتباع ويشترى ولاء المؤيدين ، فبعث خيران في استدعائه فقدم اليه فبايعه بالامارة وملكة أوريولة ومرسية ، وتلقب محمد بن عبد الملك بالمؤتمن ثم المنعم (٤) .

الا أن الاحوال سرعان ما نازمت بين المنعم وخيران فالسيوفان لا يجتمعان

(١) ابن خلدون : المصدر السابق ، ج ١ ص ١٦٢ .

(٢) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ص ١٠٢ ، تذكر كوا (سيديا سارنلي) : مجاهد العامري قائد الاسطول العربي في قرى البحر المتوسط في القرن الخامس الهجري الجامعة الأولى ، لجنة البيان ، ص ١٦٠ ، ص ٨٠ .

(٣) ابن حزم « ابو محمد علي » : مختار طوى الجامعة في الآلة ، ص ١٦٠ ، تحقيق بقرف D K p. ١٦٠ ، ص ٨٠ .

(٤) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ١٦٣ ، ١٦٤ .

في غمد واحد ولا يمكن للأمور ان تستقيم مع طموح خيران الذي اضطر الى الفرار من مرسية في ربيع الاول سنة ١٢هـ (١٠٢١م) ، والالتجاء الى المرية ، ومن هناك نظم قواته وأعددا لمحاربة المعتصم ونجح في الايقاع به وتمكن من اخراجه من مرسية في ربيع الاول سنة ٣هـ (١٠٢٢م) (١) ، فالتجأ المعتصم الى أوريولة واصبحت مرسية خاضعة لخيران يحكمها من المرية حتى وفاته سنة ١٩هـ (١٠٢٨م) الا انه لم يستطع الصمود امام منابذة خيران له ، فاضطر الى الالتجاء الى مجاهد العامري في دانيه فترة غير قصيرة سار بعدها الى غرب الاندلس ، واستقر بحصن دارة حتى توفي في شهر رمضان سنة ٢١هـ (١٠٢٠م) (٢) .

وهكذا يتبين لنا حنكة خيران ومدى ما اصابه من توفيق في سياسته سواء ما يتعلق بأحداث قرطبة او في علاقاته بشرق الاندلس ، وما اقترنت به من مكر ودهاء وبلاء واقدام .

المرية في عهد خيران :

اذا كان خيران قد وفق في سياسته الخارجية ، فانه بلغ شأوا عظيما في سياسته الداخلية ، فقد أصبحت المرية في عصرة وبفضل ما حظيت به من اهتمامه وجهدة وما حفل به عمرانها على يديه من توسع وازدهار من اعظم مدن الاندلس واكثرها تألقا وعمرانا . (٣) اذ امتدت امارة المرية آنذاك على هيئة مثلث كبير رأسه نحو الجنوب يمتد جانبيه الشرقي بجذاء المنطقة

(١) السيد عبد العزيز سالم ، مدينة مرسية ، موطن الشيخ الزاهد أبو العباس المرمي . مطبوعات جمعية الآثار ببلنسية ، ١٩٦٩ ، ص ٦ .

(٢) ابن الخطيب : أعمال الأعلام ، ص ١٩٤ ، ابن خلدون ، العبر ٤ ص ١٦٢ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ص ٦١ .

الممتدة على حافة الساحل الجنوبي الشرقي لأسبانيا ، وجانبه الغربي حتى وادي آش و حدود مملكة غرناطة والجانب الشمالي حتى بسطه وجيان اللتين كانتا اهم قواعد الامارة بعد المربه كما كانت تضم عددا من معاقل الانداس الكبار نذكر منها مدينتى اوربولة ومرسيه اللتين كان يحكمها زهير العامرى اميرا من قبل خيران (١) .

ومن المعروف ان خيران منذ ان استقر بالمربه حتى اتخذها قاعدة لسلطانه وعمل على ضطها ، وتحصين قصبتها - التى كان قد اقامها الخليفة عبد الرحمن الناصر - وزاد فيها الى حد انها نسبت اليه واصبحت من اعظم قصاب الاندلس واليه يرجع الفضل فى « سد عورات المدينه بتدعيمه أسوارها القديمة » (٢) وحرصه على وصل الماء اليها وقيامه ببناء الحمة العجيبة (٣) .

وفهم من رواية العذرى ان خيران زار فى سنة ٤١٠ هـ (١٠١٩م) فى جامع المربة زيادة اتسع بها الجامع ، كما بنى السور الهابط من جبل ليهم الى البحر وفتح فيه اربعة ابواب : باب فى جبل ليهم ، وباب تجاه مدينة بجانه ، وباب يسمى باب المربى وباب السودان قرب ضفة البحر الذى عرف (زمن العذرى) بباب الاسد (٤) .

وجه خيران اهتمامه الى العمارة والتشبيد ، اهتم كذلك بالعلوم والآداب

(١) راجع فى هذا : محمد عبد الله عزان ، دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطى ، الطبعة الأولى ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ١٥٩ .

(٢) ابن الخطيب أعمال الأعلام ، ص ٢١١ .

(٣) نفس المصدر ، ص ٢١٢ .

(٤) راجع عذرى : ترميم الاخبار ، ص ٨٣ .

فقد وفد على المريه في عصره بعض أدباء الاندلس المشهورين اجتذبتهم خيران بكرمهم وتشجيعهم نذكر منهم على سبيل المثال احمد بن عباس الكاتب الذي استوزره^(١)، وشاعر الاندلس الكبير ابو عمرو احمد بن دراج القسطلي الذي مدح خيران في سنة ٥٤٠٧ هـ بقصيدة طويلة^(٢). ويعبر وفود الادباء على المريه في تلك البترة عما نعمت به هذه المدينة في ظل حكم خيران من أمن واستقرار كان لهما اعظم الأثر فيما أصابته من ازدهار حضارى لم تشهده سائر مدينتي الاندلس المعاصرة.

وكان خيران رغم هذا متواضعا زاهدا في الرتب الملوكية والالقب فلم يتلقب بشيء من الالقب الضخمة التي تلقب بها سائر ملوك الطوائف في عهده رقع بما كان يعرف به من ألقاب مثل « الخليفة » و « الفتى الكبير »^(٣) وتوفي خيران بالمريه في ٣ من جمادى الاولى سنة ٥٤١٩ هـ (١٠٢٨ م) بعد مرض دام شهور^(٤).

(١) راجع ما فات هنا ، ص ٩٣ .

(٢) تبدأ القصيدة بهذا البيت المشهور :

لك الخير قد أوى بهدك خيران . . . وبهراك قد وافاك عز وسلطان
(القسطلي « ابن دراج » : ديوان ابن دراج ، تحقيق عمود على مكي ، الطبعة الاولى ، منشورات المكتب الاسلامي بدمشق ، دمشق ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م ، ص ٨٦ ، ٨٧ ، وقد وردت القصيدة أيضا في ابن بسام ، الخزينة ، ق ١ ، م ١ ، ص ٧٤ ، ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٢١٢ ، ١١٣ .

(٣) ابن الخطيب : المصدر السابق : ص ٢١٢ .

(٤) نفس المصدر : ص ٢١٥ .

ثالثا - عهد زهير العامري

وخلف خيران على امارة المرية زهير النقي العامري احد نتيان المنصور
ابي بن عامر الصفالبة^(١) ، لما ان توفي خيران حتى بادر الوزير احمد بن عباس
بالاجتماع برجال دولته واهل العقد والحل ، واخبرهم بوصية خيران في ان
يخلفه اخوه زهير في حكم المرية اذ كان يشق به وبولائه له ، فاتفق المجتتمعون
على تنفيذ هذه الوصية ، وكان خيران حينما احس بدنو اجله قد بعث في
استدعاء زهير نائبه على مرسية وجيان وأوصى بوليته الامارة من بعده فاقبل
زهير فور استدعائه وانام بالمرية الى ان توفي خيران راجع القوم على استخلافه
وفقا لمشورة ابن عباس ، فلم يزهد في الامة ورضى الناس به اميرا عليهم
في ٣ جمادى الاولى سنة ٤١٩هـ (١٠٨)^(٢) .

إلا زهير لم يسلم من منازعة الفتى القوائم على حصن اور يوله ، اذ وقع
خلاف بينها لعله بسبب حسد مسلم على اختيار زهير خلفا لخيران مما ادى الى
تمرده عليه فسارع زهير في الحال باحكام الحصار عليه في قلعة اور يوله ، واستمر
هذا الحصار ستة أشهر ضايقه فيها زهير حتى اضطر مسلم الى التسليم بشروط
قبها على الفور وتم التنازل له عن كل شيء^(٣) .

(١) العذري : ترميغ الاخبار ، ص ٨٣ وفدرج اميليو مولينا لويث الى العذري في
نفس هذه القطة ، انظر له :

La Cora de Tudnir segun Al'Udri (S. XI), en (cuaderno
de Historia del Islam), p. 88 .

(٢) ابن الخطيب (لسان الدين) : الاحاطة في اخبار غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله
عنان ، دار المعارف بمصر ، ١٩٥٥ ، ص ٥٢٥ ، ٥٢٦ .

(٣) العذري : ترميغ الاخبار ، ص ٨٣ .

وكان زهير قبل ان يتولى اماره المريه ينوب عن خيران في ولاية مرسيه ،
والانساب الى جيان رثامة رباحه يياسه التي انقطعها له الخاينه القاسم بن حمود^(١).

. ولقد اتبع زهير منذ توليه زعيم صاحب خيران في حسن السيرة وضبط
الادارة ضابطا طازها ، وتلذذ بالامير عميد الدولة ابي انفاسم^(٢) ، فاستبعت
امارة المريه في عهده اتساعا كبيرا ، وامتدت من بلدة المريه الى قرطبه واعمالها
غربا ، ومن المريه الى شاطبه وهريره في الشمال الشرقي ، ومن المريه الى يياسه
وحتى اعلى ال طليطال في الشمال الغربي^(٣) . ويعبر العذري عن ذلك بقوله :
« وتمازت ولاية زهير التي على السيرة راعمالها الى أن دخل في ولايته مدينة
قرطبه واعمالها »^(٤) . أما ابن الناطيب زروايتيه اكثرت فصيلا فهو يذكر أن
زهير « دبر أمر قرطبه منفردا به أيام الثمنة والامتنعائه عن الخلافة ، وسكن
قصرها يرم الاحد لخمس بقين من شعبان سنة ٤٢٥ هـ ، ودام سلاطانه عليها
خمسة عشر شهرا ونصف شهر »^(٥) .

ريتهم من نص العذري وابن الخطيب ان قرطبه دخلت في ولاية زهير ،
وأنة اقام بها زهاء خمسة عشر شهرا ونصف شهر ، ولم يوضحنا ان كان ذلك

(١) راجع ما فات هنا ص ٩٦ .

(٢) ابن خلدون : العبر ، ص ٤٤ ، ص ١٦٠ .

(٣) ابن حناري : البيان المغرب ، ص ٣٠٣ ، ص ١٦٨ ، ص ١٦٩ ، ابن الخطيب : أعمال

الاعلام ، ص ٢١٦ ، الاطاحة ، ص ١٠١ ، ص ٥٢٦ .

(٤) العذري : المصدر السابق ، ص ٨٣ .

(٥) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ٢١٦ ، الاطاحة ، ص ١٠١ ، ص ٥٢٦ ، راجع

ايضاً : Prieto y Vives (Antonio) : Los Reyes de Taifas ,

Madrid, 1926, p. 34.

ثم سلما أم حربا. ومن المعروف ان قرطبه كانت تابعة آنذاك لابي الحزم بن محمد ابن جمهور الذي ظل يتولى امارتها منذ ان أعلن سقوط الخلافة الاموية في الاندلس سنة ٤٢٢هـ (١٠٣٠م) حتى سنة ٤٣٥هـ (١٠٤٣م)، وكان ابو الحزم بن جمهور حاكما قديرا، استطاع ان يلم الشمل وينهض قرطبه من عثرتها، ويجدد ماطمس من معالمها بعد سقوط هشام^(١)، ويصفه ابن الخطيب بأنه كان بين « رؤساء الطوائف بمنزلة الاب يقصم ليل بينهم في القضايا ويشفع في الحوائج ويصالح بينهم في المنازعات، فلم يدر الناس ما فقدوا منهم إلا بعد ان بلوا غيرهم وفقدوا خيرهم»^(٢). واعتقد ان ابا الحزم بن جمهور استدعى زهيرا للمعاونة في استتباب الاوضاع في قرطبه لا سيما في الفترة التي اعقبت انهاء رسم الخلافة نهائيا في الاندلس لخطورتها وما يمكن ان يترتب على ذلك من نوائب وفوضى متجددة تزيد من طحن الاندلس ونكبتها، ولعل عبارة ابن الخطيب انه « دبر أمر قرطبه منفردا به أيام الفتنه والاستفتاء من الخلافة »^(٣)، وما تذكره المصادر المعاصرة من ان فترة حكم ابي الحزم بن جمهور بقرطبه واعمالها امتدت من سنة ٤٢٢هـ (١٠٣٠م) الى سنة ٤٣٥هـ (١٠٤٣م)، يشير الى استمرار ابن جمهور في حكم قرطبه في الفترة نفسها التي أقام فيها زهير بقرطبه مما يدل على ان اقامته هناك كانت بناء على طلب ابن جمهور.

وفي عهد زهير عرض عليه ضم قصبة شاطبه ولكنه اسلمها للمنصور عبد العزيز ابن ابي عامر قائلا : « هو احق بها من جميعنا »^(٤)، وفي عهده

(١) ابن هشام : الذخيرة، ق ١ م ٢، القاهرة ١٩٤٢، ص ١١٤.

(٢) ابن الخطيب أعمال الاعلام، ص ١٥١.

(٣) ابن الخطيب : أعمال الاعلام، ص ٢١٦.

(٤) المنرى : ترصيع الاخبار، ص ٨٣.

انسلخت عنه قلعة رباح باستيلاء اسماعيل بن ذى النون عليها (١).

وسعى زهير الى تأكيد شرعيته في حكم منطقة نفوذه عن طريق الاستناد إلى سند شرعى كأن يأتى بشيبه للخليفة هشام المؤيد ويزعم انه عثر عليه ويقيم معه في المريه ليستمد من وجوده شرعية حكمه تدعيم مركزه وتزييد من سلطانه فأحضر رجلا سقاء شديد الشبه بهشام ، زعم انه هشام بعينه وظل يمويه به على الناس زمنا خلال عام ٤٢٦ هـ (١٠٣٤ م) ثم طرده (٢) . وفي رواية اخرى لابن عذارى ، ان هشام المؤيد المزعوم كان قد اختفى وظهر في مالقه - حين توثب على بن حمود على الخلافة بقرطبة - ثم سار الى المريه فانتهى خبره الى صاحبها زهير الفتي فأخرجه منها ، فقصده قلعة رباح التي كانت تحت طاعة ابن ذى النون فاطمعه أهلها ، وعندما علم اسماعيل بن ذى النون بخبره ، حاربهم فضعفوا عن مقارمته وأخرجوا هشام المزعوم (٣) .

كما احتذى القاضي محمد بن عباد حذو زهير في تنصيب خليفة بـجـواره يستمد منه سلطانه ، فجاء بشخص فقير يشبه هشام يسمى «خاف الحصرى» كان يشتغل في الحلفاء بأحدى قرى اشبيلية وبايعه بالخلافة في عام ٤١٧ هـ (١٠٣٥ م) (٤) واقتنى اثره في مبايعة هذا الخليفة عدد كبير من ملوك الطوائف منهم بنو المنصور بن ابى عامر اصحاب بلنسية وابن جهور صاحب قرطبة ،

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ٢ ص ١٩٠ .

(٢) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ٢ ص ١٥٤ .

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب ٣ ص ١٩٠ ، ابن الاثير : الكامل ٢ ص ٢٧ .

ص ٢٩١ .

(٤) ابن عذارى : المصدر السابق ٣ ص ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ابن الخطيب : أعمال

الاعلام ٢ ص ١٥٤ .

ومجاهد العامري صاحب دانيه وليب صاحب طرطوشه عام ٤٢٩ هـ (١٠١٧)، ولم يتخلف عن مبايعته من الصقالبة العامريين سوى زهير صاحب المريه الذي رفض أن يعترف به خليفة في اشبيلية^(١). كذلك شارك باديس بن حبوس صاحب غرناطة زهير في عدم مبايعة هشام المؤيد باشبيلية، وعندما علم بنية القاضي ابن عباد على محاربتهم وانضمامه على ارسال جيش لمبايعتهم اسرع بالالتجاء الى باديس بن حبوس وعقد تحالفا معه، وبفضل هذا التحالف اضطر القاضي ابن عباد الى العودة بمعسكره الى اشبيلية «وام يكن بين المعسكرين قتال»^(٢).

وفي هذه الاثناء، كان يحيى بن علي بن حمود قد قتل بفشار قرموته على يد اسماعيل بن عباد عام ٤١٦ هـ (١٠٣٠ م)، وتناوبت بين عبد الله البرزالي عليها ولما بلغ ادريس بن علي بن حمود بسببه خبر موت يحيى أخيه، سارع متوجها الى ما لقيه حيث دخلها ودعا الى نفسه، واستجاب لدعوتهم حبوس بن ماكن. زهير العامري، وتعاقبت الزعماء على القيام بدعوتهم، وباتوا على أمر زهير بالخطابة لادريس في المريه في نصف شهر ذي الحجه عام ٤٢٧ هـ (١٠٣٥ م) وهذا في ذات ايام ابراهيم زهير مع خليفه وجاره باابيرة^(٣).

(١) ابن عذاري: المصدر السابق ج ٣ ص ١٩٠، ابن الاثير: المصدر السابق ج ٧

ص ٢١١.

(٢) ابن الاثير: المصدر السابق ج ٧ ص ٢٩١ وراجع أيضاً:

Dozy (E): Histoire, t. III: p. 17.

(٣) ابن عذاري: البيان المغرب ج ٣ ص ١١٠، ١١١، ابن الخطيب: أعمال

الاعلام ج ١ ص ١٤٠.

ولسكن حبوس لم يلبث ان اختلف مع حليفه زهير بسبب موالاة زهير لمحمد بن عبد الله البرزالي صاحب قرونة في حربه ضد حبوس صاحب غرناطة^(١)، وبغزى المستشرق الهولندي درزى سبب هذه الواقعة الى ابن عباس وزير زهير الذي نجح في ايقار صدره على حليفه وتمكن من الواقعة بينها^(٢)، ويرجع سبب تمام مل ابن عباس على حبوس الى انكاره ان يرى سيده زهيراً حليفاً لرئيس بربري يستوزر به ودياً، وكان ابن عباس عربياً تحبب ذكره البربر ويحتقر الينزدي^(٣)، وكان من تأثير هذا الوزير ابن عباس على زهير انه « كان لا يحدث أمر إلا بإشارته وبعد مشاورته »^(٤).

وبطل زهير وانعما تحت تأثير وزيره حتى وثاة حبوس بن ماكن صاحب غرناطة في عام ٥٤٨ هـ (١٠٧٦ م) ونيام ابنه باهارة غرناطة من بعده، فعندما تولى باديس امر غرناطة كتب الى زهير « معاتباً مستدعياً تجديد المحالفة »^(٥) التي كانت تامة بين أبيه حبوس وزهير صاحب المريه، ولكن زهير برد عليه بأن كل شيء نتم تسويته عند المقابلة^(٦)، ويبدو ان زهير كان يضمن

(١) ابن بسام : الذخيرة ق ٢ م ١٦٦، ابن عذارى : المصدر السابق،

ج ٣ ص ١٦٩.

(٢) دوزي « رنجات » : ملوك الطوائف، ترجمة كامل كيلاني، الطبعة الاولى،

مكتبة البائلي، القاهرة ١٩٤٢، ص ٥٠.

(٣) نفس المجمع، ص ٤٩.

(٤) ابن عذارى : المصدر السابق، ج ٣ ص ٢٩٣.

(٥) ابن بسام : الذخيرة، ق ٢ م ١٦٦، ابن عذارى : البيان المغرب،

ج ٢ ص ١٦٩، ابن الخطيب : أئمة الاعلام، ص ٢١٦، الاطحة، ص ١٠٢٦.

(٦) دوري : ملوك الطوائف، ص ٥٢.

في نفسه أمراً ، فقد استصغر باديس ^(١) ، وطمع في امتلاك غرناطة وضمها إلى مملكته متبعاً في ذلك نشورة وزيره ابن عباس الذي زين له غزو باديس في غرناطة ، مهونا عليه أسباب الاستيلاء عليها خاصة بعد زوال حبوس ^(٢) .

فخرج زهير من المريه في حشود كثيفه ، واجتاز حدود مملكة باديس ولم يقبـح القواعد والمراسيم المتبعه في الزيارات أو عند الالتقاء ^(٣) ، « بل أقبل ضارباً سوطه حتى تجاوز الحد الذي جرت عادته بالوقوف عنده من عمل باديس دون اذنه ، وصير الأوطار والمضايق خلف ظهره لا يفكر فيها ، واقتحم البلد حتى وصل إلى باب غرناطة ^(٤) » مما يدل على ما كان يبيت في نفسه نحو باديس ^(٥) .

وكان من الطبيعي ان يستثير هذا التصرف الشائن باديس فيعتبره ضرباً من التعدي على سيادة بلاده ، ولكنه رغم كل هذا قابل زهيراً بكل حفاوة وترحاب ، ولم يظهر له شيئاً من غضبه ، بل أولاه ولزماً وليمه فاخرة واغدق عليهم العطايا والهدايا .

(١) ابن سديد : المغرب ، ٢ - ٢٤ - ١٩٤٤ .

(٢) الامير عبد الله : مذكرات الامير عبد الله ، اخره نوك بن زري غرناطة المسماة بكتاب « البيان » تحقيق ايمن بروفـال ، دار المعارف ، مصر ١٩٥٥ ص ٢٤ .

(٣) ابن خلدون : المصدر السابق ، ٣ - ١٦٩ ، ابن الخطيب : المصدر السابق ، ص ٢١٦ .

(٤) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ م ٢ ص ١٦٧ ، ابن خلدون : البيان المغرب ، ص ٢٣٤ ، ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، ص ٢١٦ .

(٥) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة الريه الاسلاميه ، ص ٧١ .

إلا أن زهير - على - ما يبدو - اعتبر احتفال باديس له وترحيبه به نوعاً من الضعف وأوهمه وزيره أن باديس لم يفعل ذلك إلا لعجزه عن الوقوف أمامه ، فأخذ في التشطط في مطالبه وتظاهراً أمام باديس بعظمة تركت في نفسه أثراً سيئاً .

وكان طبعياً أن تشغل المفاوضات التي دامت بين باديس وزهير ، فلم يتمكننا من الاتفاق على شيء ، بسبب تشدد زهير وتصلبه في موقفه (١) . ورغم هذا لم ييأس باديس بل أرسل أخاه بلقين رسولاً من قبله إلى الوزير ابن عباس في محاولة أخيرة للتوفيق بينها لعلهم بأن زهيراً يأخذ بمشورة وزيره ولا يصدر شيء عنه إلا بعد أخذ رأيه ، فتوجه بلقين إلى حيث مجلس ابن عباس ليلاً وخاطبه في تصفية الخلافات القائمة بين الامارتين وتجديد الحلف القديم ، لكن ابن عباس رد عليه بلهجة قاسية كشف عن نفوذ وسلطان قاهر من جهة ، وعن امتحان لمحدثه وازدراء له من جهة أخرى ، ولما حاول بلقين أن يستعطفه فقام إليه معانقاً باكياً ، ولم يؤثر في ابن عباس معانقة بلقين ودموعه (٢) ، وإنما بالغ في الاستخفاف به وقال له : « وفر عليك هذه المظاهر الكاذبة ، والعبارات الفارغة فإنها لا تترك أي أثر في نفسي (٣) » . فخرج بلقين حائقاً لما لحق به من اهائه ، وعاد إلى أخيه باديس ومجلسه منعقداً ، فأفضى إليه بكل ما دار بينه وبين ابن عباس من حديث ، وما أصابه من اذلال ، فقرر المجتمعون محاربة زهير لقبحته وجفائه ، وصمموا على الإيقاع بوزيره ابن عباس لما بدا منه من عناد وفظاظة (٤) .

(١) ابن بسام : المصدر السابق ، ق ١ م ٢١ ص ١٦٧ .

(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ م ١ ص ١٧١ .

(٣) دوزي : ملول الطوائف ، ص ٥٥ .

(٤) ابن بسام : المصدر السابق ، ق ١ م ١ ص ١٧٢ .

وكان لابد لزهير - عبد عودته إلى المربة - من اجتياز قنطره لا محيد له عنها ، فأمر باديس بقطع هذه القنطره ، كما ارسل جنده فاحتلوا تلك المضائق والاورار ، ونصب كتائبه وكائنه في الطريق ، وأعد عدته للحرب (١) .

ومع ذلك فأن باديس لم يفعل ما أقدم عليه إلا بدافع من الحيطه والمجرد التأمين على نفسه ، بلده ، كما انه لم ييأس من رجوع زهير - صديق والده القديم - إلى صوابه ، ليجدد صلات الود والصدافه التي كان يرتبط بها مع ابيه ، ولهذا قرر ان ينبهه في الخفاء إلى الخطر المحدق به ، فعهد إلى حرس من البربر من جند المربه وبعثه إلى زهير رسولا وأسر إليه بما اخبره به (٢) . ويبدو ان هذه النصيحة صادفت قبولاً عند زهير ووقعت منه موقع الاعجاب ، إلا ان ابن عباس وزيره رفضها ، ويقال في تعليل موقف ابن عباس هذا ، انه إنما كما يهدف إلى التخلص من زهير في المعركة ، فينفرد بحكم المربه ، ومما يؤيد هذا الرأي اعتزاز ابن عباس - وهو في سجنه - امام باديس بأنه تمكن من استدراج زهير حتى وقع في الشرك (٣) ، « رغاده باديس صبيحتها على تعبئة محكمة ، فلم يرعه إلا رجلة القوم راجعين إليه » (٤) ، فتظاهرزهير بالثبات ، فرتب جنده المشاة من الزنوج وكانوا خمسمائة ، والمشاة من الاندلسيين ، وقدم هذيل الصقلبي خليفته على الفرسان الصقالبه (٥) . ولم تكد المعركة تحتدم حتى سقط هذيل عن جواده وانهزم زهير واصحابه فأخذهم البربر

(١) ابن بسام : الذخيرة ق ٢٢٤ ص ١٦٧ ١٦٨ .

(٢) ابن بسام : الذخيرة ق ٢٢٤ ص ١٧٢ ١٧٣ .

(٣) نفس المصدر ق ٢٢٤ ص ١٧٣ ، وراجع أيضاً دوزى ملوك الطوائف ص ٥٨ .

(٤) ابن بسام : المصدر السابق ق ٢٢٤ ص ١٦٨ .

(٥) نفس المصدر السابق ق ٢٢٤ ص ١٦٨ .

بالشيف وابدوا من فر منهم في شعاب غرناطه ، وقتل زهير « وجهل مضرغه » (١) ، وان كان معظم المؤرخين يؤكدون مصرعه في قرية ألفت من خارج غرناطه (٢) . وأسر كبار رجاله من حملة الاقلام ، وفي مقدمتهم وزيره ابن عباس ، الذي قتل بعد ذلك بأسابيع قليلة بايعاز من باديس (٣) ، أما باقى حملة الأنلام فقد أمر بالافراج عنهم وكان من بينهم ابن حزم والباجي وغيرهما (٤) .

أما ما يتعلق بأعماله في المربه ، فقد تابع زهير نهج سلفه خيران من الاهتمام بتعمير البلاد والتوسع في العمران ، فكانت له بالمربه اثار جليلة ، فهو الذى بنى المسجد الجامع وزاد فيه الزيادات من جهاته الثلاث : الشمالية والشرقية

(١٠- ابن بسام : المصدر السابق ، ق ١ م ٢ ص ١٦٦ ، ويذكر الامير عبد الله الزيرى : « وخفى زهير عن المعسكر فلم يوجد حياً ولا ميتاً » (مذكرات الامير عبد الله ص ٢) كما يذكر العذرى « وقتل زهير يوم الجمعة في آخر شوال سنة تسع وعشرين وأربعمائه واختبئ فيمن قتله ولم يوقف على حقيقة ذلك » (العذرى : ترصيع الاخبار ص ٨٣ راجع ايضا ابن عذارى : البيان المغرب ص ٢٣ ص ١٧١) .

(٢) ابن سعيد : المغرب ص ٢٣ ص ١٠٧ ص ١٩٥ راجع ايضا : ابن عذارى : البيان المغرب ص ٢٣ ص ١٦٧ ص ٢٩٣ ابن العطيبي : اعمال الادلام ص ٢١٧ السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المربه الاسلامية ص ٧٢ .

(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ م ٢ ص ١٧٣ ، ابن عذارى : المصدر السابق ص ٢٣ ص ١٧٢ .

(٤) ابن بسام : المصدر السابق ، ق ١ م ٢ ص ١٧٠ ، ابن عذارى : المصدر السابق ص ٢٣ ص ١٧١ .

والغريه (١) ، كما اوقف عليه الفنادق والخوانيت الموجودة في شرقيه وفي قبله وفي معظم شماله ، وهو الذي بنى السقايه وجاب الساقيه إليها من النطيه ، وهو الذي بنى السور الواقع بساحل ربض المصلى (٢) .

وكان زهير بالاضافه إلى اصلاحاته ، يشاور الفقهاء ، ويعمل بقولهم (٣) . وكانت هزيمة زهير ومصرعه ضربة قاسية أصابت إمارة المريه ، كان من آثارها استيلاء باديس بن حبوس على الجزء الشمالى الغربى من اراضى المريه وفي مقدمتها مدينة جيان اكبر قواعدها الشماليه (٤) .

ولما علم اهل المريه بهزيمة زهير ومصرعه ، اجتمع أعيانهم وأسندوا امرهم إلى شيخهم ابى بكر الرميمى ، فقام بشئون المريه وضبط الأمن والنظام بها ، إلى ان كاتب اهلها عبد العزيز بن عبد الرحمن شنجول بن ابى عامر يلنسيه (٥) ، وكان عبد العزيز يرى انه صاحب الحق الشرعى فى ميراث القتيلان العامريين موالى جده ، وكان منذ مصرع زهير قد ارسل وزيره ابن صمادح إلى باديس صاحب غرناطه ، يلج عليه فى قتل الوزير ابن عباس (٦) . حتى لا يعارضه فى امتلاك المريه ، وبادر عبد العزيز الى المريه فدخلها فى آخر ذى القعدة عام ٤٢٩ هـ (١٠٣٧ م) ودخل قصبته وملك جميع اعمالها ،

(١) العنرى : ترصيع الاخبار ص ٨٣ ، ابن الخطيب في المصدر السابق ص ٢١٦ .

(٢) العنرى : المصدر السابق ص ٨٣ .

(٣) ابن الخطيب : المصدر السابق ص ٢١٦ .

(٤) عنات : ملوك الطوائف ص ١٦١ .

(٥) ابن عنارى : البيان الغرب ص ٣٢٠ ، ١٦٧ ، ١٩١ ، ابن الخطيب : أعمال الاعلام ص ٢١٧ ، ابن خلدون : المعر ص ٤٠٤ ، ١١٢ .

(٦) ابن عنارى : المصدر السابق ص ٢٣٠ ، ص ١٧٢ .

فبأيه اهلهما ، واستولى على يث المال بها ، بما كان يحويه من ذهب
مضروب ودراهم وجواهر ، ونقل كل هذا الى مقر ملكه بلنسية^(١) . واقام
عبد العزيز الدعوة على منابرها لهشام المؤيد ، واسمى ملك عبد العزيز يشمل
مرسية وبلنسية والمرية .

ولكن المنصور لم يهنأ طويلا بامارة المرية . إذ سرعان ما انتهر مجاهد
العامري صاحب دانيه وجزر البليار فرصة وجوده بها وخرج غازيا بلاده .
ويعلل ابن حيان ذلك بقوله : « لما صارت (اى المرية) لعبد العزيز بن ابي
عامر واستضافها الى بلده بلنسية حسده على ذلك مجاهد صاحب دانيه واظلم
الأفق بينها ، فخرج مجاهد غازيا الى بلاد عبد العزيز وهو (اى المنصور)
بالمرية مشغول فى تركة زهير ، فخرج مبادرا عنها لاستصلاح مجاهد^(٢) » .
ويذكر ابن عذارى ان الحرب وقعت بين مجاهد وقوات المنصور^(٣) .

لذلك اضطر المنصور الى مغادرة المرية والعودة الى مقر حكمه فى بلنسية .
وقدم على المرية ابنه عبد الله عام ٤٣٠ هـ (١٠٣٨ م) . ولقبه بالناصر .
واستوزر له ذا الوزارتين ابا الاحوص مهن بن محمد بن صامح ، وخطب فى
المرية للمؤيد هشام المنصب باشيبيه^(٤) .

(١) العنرى : توصيع الاخبار ، ص ٨١ .

(٢) ابن بسام : الاخرة ، ١ ، ص ٢٢٧ .

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، ٣ ، ص ٣٠٢ .

(٤) ابن عذارى : المصدر السابق ، ٣ ، ص ١٩٢ ، الزويرى (أحمد بن عبد

الوهاب) : نهاية الارب فى فنون الادب : الباب الخامس من القسم الخامس ،

نسخة مصورة من دار الكتب المصرية ١٩٥١ ، مودعة بمكتبة الاداب

بالأندلسية برقم ٢٢ م ٦١ .

غير ان رئاسة عبد الله المبريه لم تدم طويلا ، إذ سرعان ما استغل معن بن
صمدح فرصة غياب المنصور ، ووفاء ابنه عبد الله ، ودعا لنفسه وانتزى بالمريه في
سنة ١٢٣ هـ (١٠٤١ م) ^(١) ، وباستقلاله بها تبدأ صفتحه جديده في تاريخ
هذه القاعدة :

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ١٩٢ ، ١٩٣ .

الفصل الثالث

المريه في ظل بني صمادح حتى استيلاء المرابطين عليها

أولا : قيام دولة بني صمادح في المريه

أولوية بني صمادح :

ينتحدرو بنو صمادح من اصل عربي ، فهم من ولد عبد الرحمن بن عبد الله ابن المهاجر بن عميره ، وتعد قبيلة عميره من تيجيب من اشهر واعرق قبائل العرب التي نزحت الى بلاد الاندلس ، وفي عهد عبد الرحمن بن عبد الله يجتمعون مع بني هاشم التيجيبين اصحاب سرقسطه ، فهذان الفرعان يتيمان الى تيجيب^(١).

وقد كان ابو يحيى محمد بن صمادح جند المعتصم بن صمادح مؤسس الدولة من قواد محمد بن ابي عامر ، ولاء الولايات

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ج ١ ، ص ٢٠٦ ، ابن الأبار : الحلة السراء : ص ٢٠٨ ، وما بعدها ،

Dozy (R) : Essai sur L'histoire des Todjibides, les Banu Hachim de Saragosa et les Banu ç madih d'Almería, Recherches, I, pp. 211 — 291;

وقد ذكر ابن الخطيب : نقلا عن ابن الصيرفي ، ان صمادح هو اسم امرأة هي صمادح بنت عبد الرحمن بن عبد الله بن المهاجر بن عميره ، وان هذا الفرع هرف باسم أمهم ، « أعمال الاعلام : ص ١٨٩ » ، غير أن هذا الرأي بهارضه ما جاء في قول ابن حزم ان صمادح هو جدتهم « جبهة أنساب العرب : تحقيق ليفي بروفنسال ، ص ٤٠٥ » ، وما أورده ابن الأبار « الحلة السراء : ص ٢٠٨ ، ص ٧٨ » وكذا ما ثبت في البيان المغرب لابن خذاري ، ص ١٧٣ ؛

وقاد له الجيوش (١) ، ثم تولى مدينته وشقه واعمالها ، ولما تولى سليمان المستعين الخلافة سنة ٤٠٣ هـ (١٠١٢ م) نال ابو يحيى ثقته وتقديره واقره على ولايته وثنى له الوزارة ، إذ كان سياسياً بارعا ، وحاربا قديراً ، ومحدثاً لبقاً ، ولم يكن في اصحاب السيوف من يعدله في خلاله هذه (٢) وكان يرتبط مع ابن عمه منذر بن يحيى التجيبي ، صاحب سرقسطه بصلات وديه وثيقة إلا ان هذه الصلات لم تلبث ان ساءت بينها بمجرد انتهاء دولة سليمان الظافر وقيام بني حمود باغتصاب الخلافة في سنة ٤٠٧ هـ (١٠١٦ م) ، فاضطربت العلاقات بين ابى يحيى ومنذر ، فسار الأخير في قوات كبيرة الى وشقة ، وحارب ابا يحيى وانتصر عليه وتمكن من الاستيلاء على وشقه اما ابو يحيى فقد نجا بنفسه واهله وولده وفي ذلك يقول ابن حيان: « فلم يلبث ان تفرجت الحال بينها بعد مضي سليمان ، وتجاربا على ملك وشقه ، فعجز ابن صامح عن منذر لكثرة جمعه ، واسلم له البلد وفر بنفسه ، فلم يبق بالفرع متعلق ، وكان اول ساقط من الثوار ، لم يتمل سلطانه ولا أورثه من بعده (٣) .

ووجد أبو يحيى في كنف المنصور عبد العزيز بن عبد الرحمن بن ابي عامر صاحب بلنسية مجالا طيبا للمقام ، فقد رحب بمقدمه وأكرم وفادته وتعده بالرعاية والحماية وتوثقت العلاقات الطيبة بينها بالمصاهرة ، فقد قبل المنصور ان

(١) ابن حناري : المصدر السابق - ٣٠٣ ص ١٦٧ .

(٢) ابن بسلام : الذخيرة ، ق ١ ، م ٢ ، ص ٢٣٦ ، ابن حناري : اليات القرب ، ٣٠ ص ١٧٣ ، ابن الخطيب : أعمال الاعلام « القسم الخاص بالاندلس » ص ١٨٩ .

(٣) ابن بسلام : المصدر السابق ، ق ١ ، م ٢ ، ص ٢٣٦ ، ابن حناري : اليات القرب ، ٣٠ ص ١٧٣ ، ابن الخطيب : المصدر السابق ، ١٨٩ :

بزوج أخته الى ولدى أبي يحيى : معن بن ضبادح وأبي عتبة صبادح . ثم عزم أبو يحيى على المضي الى المشرق والظاهر أنه كان يستهدف الرجوع الى بغداد سعيا الى الظفر بتأييد الخليفة العباسي ليعود بعد ذلك وقد حل محل عمه المنصور الشرعي في الحكم ما يتيح له أن يؤسس ملكا ، ولكن لم يقدرك الله ابن يحيى أميته إذ مات غريقا في البحر ، وبقي ابنه معن في كنف صهره المنصور عبد العزيز (١) .

وكان المنصور عبد العزيز قد استخلف ابنه عبد الله الناصر على المرية (٢) ، بعد أن بلغه خروج مجاهد اليه طامعا ، ولكن عبد الله لم يلبث أن توفي . فلما (٣) . فاضطر المنصور الى تقديم صهره معن بن ضبادح على المرية خلافا عنها من قبله سنة ٤٣٢ هـ فتقلب هذا بذى الوزيرين ، واتهم اشتغال المنصور بمحاربة مجاهد صاحب دانيه فخطب في المرية للثويد هشام المنسوب بالنيابة منذ سنة ٤٣٠ هـ (١٠٣٨ م) (٤) تمهيدا للخروج على المنصور والاقراء بحكم المرية .

ولم يمض على ذلك عهد قصير حتى ثار على صهره سنة ٤٣٣ هـ (١٠٤١ م) فقدر به وانتزى عليه ، وخلع طاعته ودعا لنفسه (٥) ، واستبد بضبطها ، ويعز ابن حيان عن هذا الحدث بنوله : « فكان شر خليفة استخلف ، فلم يكده

(١) ابن الأبار : الحلة البراء : ج ٢ ، ص ٨١ .

(٢) ابن هداري : البيان المغرب ، ج ٣ ، ص ١١٢ .

(٣) راجع ماقات هنا : ص ١١٨ .

(٤) ابن هداري : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ١٩٣ .

(٥) ابن سفيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ١٩٥ ، ابن هداري : ج ٣ ، ص ١٩٧ .

هواري يوجهه عبد العزيز عنه حتى خان الأمانة ، وطرده من الإمارة ، ونصب
له الحرب ، فغرب في اللؤم ما شاء ، وتنكب ابن أبي عامر التوفيق لاسترجاعه
للذئب الأزل على ثلته ، ومستععى الذئب أظلم ، وكان من العجب أن تملأها
المنجنيق وخلفها ميراثا في عقبه ^(١) ، وحاول المنصور أن يسترد سلطانه على
المريه ، فجارب أبا الاحوص معن بن محمد بن صاهد واسكنه لم يظفر منه
بطائل ^(٢) .

ويورد العذري رواية أخرى ، يفهم منها أن المنصور ولي على المريه
أبا الاحوص معن بن صاهد ، فوليا هذا هو وأخوه أبو عبته ، الى ان
أوسيل المنصور الى أهل المريه بطلب تعيين خواص منهم ، فاجتمع أهلها ورغبوا في
تنصيب أبي الاحوص معن عليهم واستشاروا في ذلك باديس بن حبوس صاحب
البرية وغرناطة واعمالها ، الذي ساعد معن في القيام على المنصور والاستقلال
بلمريه سنة ٥٤٣٣ هـ (١٠٤١ م) ^(٣) . ونعتقد ان هذه الرواية مبالغ فيها ونرجح
ان ابا الاحوص معن عمد بعد ان خرج على طاعة المنصور الى كسب وتأيد
جيرانه من ملوك الطوائف فصالح صنهاجه غرناطة ، فاستقامت له الأمور ^(٤)
الى ان توفي في سنة ٥٤٤٣ هـ (١٠٥١ م) .

١ في ابن بسلام : الفخيرة ، ق ١ ، م ٢ ، ص ٢٣٧ ، ابن عذاري : البيان
المغرب ، ص ٣٠ ، ١٧٤ .

٢ ابن عذاري : المصدر السابق ، ص ٣٠ ، ص ٢٩٣ .

٣ ترصيع الاخبار ، ص ٨٤ ، ويؤيد هذا ما ذكره الامير عبد الله بن بلقين
الزيري بقوله : « وعضد جدنا (أي باديس) رحمه الله — راية (أي لمن
ابن صاهد) ، وابنائنه له في ملكه عند قيام ابن أبي عامر عليهم ، (مذكرات
الامير عبد الله ص ٤٤)

٤ ابن عذاري : المصدر السابق ، ص ٣٠ ، ص ٢٩٤ :

و بفضل علاقات الصداقة والمودة التي جمعت بين معن وياديس استشرت دعائهم درلته ودانت له لورقة وبياسه وجيان وغيرها (١) .

وكان معن بن صادح من اهل الدهاء والفضل والعلم والاداب ، فنعمت المريه في عهده باستقرار لم تشهده من قبل ، كما نعم اهلها بحياة هادئة يسودها السلم والامن والرخاء وتبوءت مكانا فريدا بين دويلات الطوائف الاخرى لاعمال معن الجليلة اثرها في ان « انتهى بالمريه في دولته الربيع متناه ، وأوثر بلده على بلد سواه ، للسيرة الجميلة والخصال المحموده ، وحمل الناس على العدل والانصاف ، وكان قد سد باب البغي » (٢)

ويتبين لنا مما سبق ان معن بن صادح صاحب الفضل الأعظم في قيام دولة بني صادح بالمريه وانه المؤسس الحقيقي لهذه الدولة ، وظل معن يتولاها زهاء عشر سنوات الى ان توفي بقصبة المريه سنة ٤٤٣ هـ (١٠٥١ م) (٣) .

احداث المريه في عهد المعتصم :

وبعد وفاة معن بن محمد بن صبادج خلفه ولده ابو يحيى ، فبايعه بنو عمه ورجاله وهو لم يستكمل ثمان عشرة سنة (٤) ، ويذكر الحجارى انه ملك المريه وهو ابن اربع عشرة سنة (٥) ، ويؤيده في ذلك ابن الاثير ويضيف عليه بان

(١) ابن الاثير : الكامل ، ٧ ، ص ٢٩٣ ، راجع ايضا :

Dozy (R) : Op. cit., I; p. 242.

(٢) العنزي : تمريض الاخبار ، ص ٨٤ .

(٣) ابن عذارى : البيان المغرب ، ٣ ، ص ١٦٧ ، ص ٢٤٠ ، ابن الاثير :

الكامل ٧ ص ٢٩٣ ، Dozy (R) : Op. cit., I. p. 241.

(٤) ابن الاثير : الحلة السراء ، ٢ ، ص ١١ .

(٥) ابن حبيب : المغرب ، ٢ ، ص ١١٦ .

أبو يحيى ~~صلى الله عليه وسلم~~ عمه أبو عتبة بن محمد واستمرث وصايته عليه مدة ثلاث سنوات ، توفي بعدها أبو عتبة وبقي أبو يحيى مستضعفاً لصغير سنة (١) ، ولم يبلغ الرشد بعد .

وكان ممن قد أخذ البيعة له في حياته ، بعد أن عرضها على أخيه أبي عتبة ~~صلى الله عليه وسلم~~ الذي رفضها واعتذر عنها (٢) . فتمت البيعة لأبي يحيى محمد بن معين ابن صهاح وارتقى ذروة الأمانة ، ولقب نفسه بـ « معز الدولة » (٣) . ولم يلبث أن تلقب بـ « المعتصم بالله » ، و « بالوائق بفضل الله » ، عندما أقدم ملوك الطوائف على التلقب بهذه الألقاب الخلاقية التي أصبحت ممة من سيات هذا العصر (٤) ، ويقال أنه تلقب أيضاً بالرشيد (٥) .

ولقد كان لصغير سن المعتصم بن صهاح - الذي لم يبلغ الرشد - اثره في تطلع ذوى المطامع في دولته ، فضعف شأنه في الحكم ، وتمزقت مملكته حتى سرت (٦) . فلم يسكد يظفر بالامارة حتى ثار عليه ابن شبيب فأهل ابيه ، ~~لورثته~~ وكانت من أعمال المريه ، وحدها الشمالى الشرقى المجاور لبليسيه -

(٢) ابن الأثير : الكامل ، ٧ ، ص ٢٩٣ .

(٣) ابن الأبار : المصدر السابق ، ٢ ، ص ٨١ .

(٤) نفس المصدر والصفحة .

(٥) ابن الأبار : المصدر السابق ، ٢ ، ص ٨١ ، ابن عذارى : البيان المغرب ،

٢ ، ص ١٦٨ .

(٦) ابن بام : النخبة ، ١ ، ص ٢٢٨ .

(٧) Prieto y Vives : Los Reyes de Taifas; p. 61 ;

وأنظر أيضاً ، كليلا سارنلي : مجاهد السامري ، ص ٧٤ .

وانتزعها من دولته (١) . ولما ادرك هزم المعتصم على محاربه العيس وسليمة المنصور عبد العزيز بن ابي هاشم صاحب بنسبه ، ولم يتردد المنصور في المهادنة بتقديم كل عون عسكري له مدفوعا في ذلك بحقه على معن بن مهديج ورائه لانتزاعها بالمريه واعمالها وانفرادها بحكمها ، اما المعتصم فلما بلغه خروج ابن شبيب عليه واستقلاله بلورقه ومساندة المنصور له ، رأى ان يجدد الحلف القبايم في ايام ابيه بين المريه وغرناطه فتحالف مع باديس السني زودم بكل ما يحتاج اليه من عدة وعتاد ، واعد المعتصم جيشا قويا بقيادة عمه ابي عتيه بن محمد ، اشتبك مع عامل لورقه في معركة ضارية لم تؤدي الى استرجاع هذه المدينة واسكن ابا عتيه تمكن من الاستيلاء على بعض حصونها . يؤكد ذلك ما ذكره ابن خلدون بقوله : « فقاتلوا حصونا من حصون لورقه واستولوا عليها ورجعوا » (٢) .

ولكننا نستدل من رواية ابن الاثير على ان المعتصم فقد لورقه نهائيا ، وان ملكه اقتصر على المريه وما جاورها فقد ذكر ابن الاثير ان « اخذت بلاده البعيدة عنه ولم يبق له غير المريه وما يجاورها » (٣) والمقصود بالبلاد الواردة في هذا النص لورقه التي تشكل الحد الشمالي الشرقي للمريه - كما سبق القول - وأخذت هنا بمعنى اغتصبت ، وهذا يدل دلالة قاطعة على فقدانها نهائيا وخروجها من اعمال المريه .

وهكذا استقل ابن شبيب بحكم لورقه ، وخلفه على حكمها اخوته القلائد

(١) ابن خلدون : المعبر ، ج ١ ، ص ١٦٢ .

(٢) كتاب المعبر : ج ١ ، ص ١٦٢ ، وأنظر أيضاً ،

Dozy. (R) : Op. cit ; I, p. 242.

(٣) الكامل في التاريخ : ج ٧ ، ص ٢٩٢ .

بالتعاقب ، وقد اعترف أخير الاخوة الثلاثة بطاعة ابن عباد صاحب اشبيلية ومن ثم دخلت لورقة في اعمال اشبيلية منذ ذلك الحين حتى سقوط اشبيلية في ايدي القرايطين في سنة ٤٨٤ هـ (١٠٩١)^(١) . ومع ذلك فقد حاول المعتصم ابن صمادح مناوأة خصومه واسترجاع بعض املاكه فقد انتهز فرصة وفاة المتصور عبد العزيز بن ابي عامر في سنة ٤٥٢ هـ (١٠٩٠ م) ، واستخلاف ابنه عبد الملك الملقب بالمظفر ، وسير قوة من جيشه للاطارة على حصن من عمل تدمير مستعينا في ذلك بحليفه باديس بن حبوس صاحب غرناطة ، الذي لم يتردد في تقديم العون له « لما كان يعتقد من العصية البربرية ويذهب إليه من ازدراء فرقة الاندلسيين »^(٢) . إلا ان عامل هذا الحصن ابدى من الشجاعة والاستبسال والصمود ما احبط هذا الهجوم ، فلم يظفر المعتصم بطائل وانتهت الحملة بالفشل^(٣)

وعلى الرغم من الحلف القائم بين المرية وشرناطه وارتباط المعتصم وباديس بصلات وثيقة من الصداقة والود اثبتت وجودها عدة مرات فان المعتصم كان في اعماقه اندلسيا يكره الغائبة البربرية . يتعصب للطائفة الاندلسية ، وليس ادل على ذلك من تلك المناظرة التي وقعت بين المعتصم وبين الشاعر خاف بن

(١) هزاف : دول الطوائف ، ص ١٦٤ .

(٢) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ٢ ، ص ٢٢٨ .

(٣) بلنكر ابن بسام : « وقتئذ (أي المعتصم) ابن حله عبد الملك بن عبد العزيز المنصور ولم يرع فيه حق صهره يحيى بن ذي النور كبير أمراء الأندلس ، فعمد له على حصن من عمل تدمير وثب عليه لعامل عبد الملك ، وجرت بينهما خطوب ، وانحازت بحليفه باديس واستمده على ما ذهب اليه من الهنته » (الذخيرة ، ق ١ م ٢ ، ص ٢٢٨) .

فرج السميسر والتي انتهت بقول المعتصم للشاعر « لقد احسنت في الاساءة »
إليه (أى إلى ابن بلقين صاحب غرناطة) (١) . والظاهر ان المعتصم لم يخذ

(٤) المقرئ : تفتح الطيب ، ج ٤ ، ص ٣٨١ ، وكان المعتصم صاحب المربة :
قد باغته هجاء الشاعر السميسر له والمربة في قوله :

بش دار المربة اليوم دارا ليس فيها لساكن ما يجب
بلدة لا تمار الا بربح ربما قد تهب ارب لا تهب

(في ابن بسام : الدخيرة ، ق ١ ، م ٢ ، ص ٢٧٤ ، المقرئ المصدر
السابق ، ج ٤ ، ص ٣٦٠) ، وفي قوله :

قالوا المربة فيها نظافة قلت ايده
كأنها طست تبر وبصق الدم فيه

(ابن بسام : المصدر السابق ، ق ١ ، م ٢ ، ص ٢٧٤) .
فأمر المعتصم بانضار هذا الشاعر واحتمال في ذلك حق مثل بين يديه ، فقال له :
أنتشدني ما قلت ، فقال له : وحق من حملى في يدك ما قلت شراً فيك ،
وانما قلت :

رأيت آدم في نومي فقلت له أبا البرية ان الناس قد حكموا
ان البرابر نسل منك ، قال اذن حواء طالقة ان كان ما زعموا

فأباح ابن بلقين صاحب غرناطة دمه ، فخرجت الي بلادك هاربا ، فوضع على من
أشاع ما باغتك عني لتقباني أنت ، فيدرك ثأره بك ، ويكوث الإثم عليك ، فقال :
وما قلت فيه خاصة مضافة الى ما قلته في عامة قومه ؟ قل : لما رأيته مشغولاً
بتشييد قلعته التي يتحصن فيها بغرناطة ، فقلت :

يبش على نفسه سفاهاً كأنه دودة المحرم

(راجع المقرئ : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٣٨١ ، ٣٨٢ ، والجمع =)

يلجأ إلى محاسبة باديس إلا بدافع من حرصه على استرجاع أملاكه
فمنسب (١) .

ولم تلبث العلاقات الودية بين المعتصم وباديس أن فسدت عندما اكتشف
بإدريس الطامع المعتصم في ضم أملاكه إليه ، وربما يرجع سبب ذلك إلى مكانة
يوسف بن تفراله اليهودي وزير باديس ، الذي كان يسعى إلى الإطاحه
بياديس وتمكين المعتصم من الاستيلاء على غرناطة ذاتها ، أو على حد قول
عبد الله بن بلسكين كان متهيئاً « لفتح أبوابها (أي أبواب غرناطة) متى
جسر وطرقها » (٢) .

فدس إلى المعتصم بن صمادح صاحب المريه في السر يستحثه على المجيء
ويصده بأن يدخله غرناطة (٣) ، ولم يتردد المعتصم لحظة واحدة في اغتنام
الفرصة وخرج بقواته متجهاً نحو غرناطة وتمكن من الاستيلاء على بعض
المسلك غرناطة الشرقية وعلى حصن وادي آش (٤) ، وانارت به وئته على
غرناطة (٥) . وقد ترتب على هذه الاغارات أن فقدت غرناطة معظم أراضيها
الشرقية ، فلم يتبق في حيازتها بهذه المنطقة إلا حصن قبر يره الواقع على مقربة

— أيضا : السيد عبد العزيز - الم : تاريخ المربة الإسلامية ، ص ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ .
وتقرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ج ١ ص ١٣) .

(١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المربة الإسلامية ، ص ٧٩ .

(٢) الأمير عبد الله : مذكرات الأمير عبد الله ، ص ٥٣ .

(٣) البياض المغرب ، ص ٢٣ ، ٢٦٦ .

(٤) الأمير عبد الله : المصدر السابق ، ص ٥٣ ، ٥٤ .

(٥) ابن الخطيب : الإطاحه ، ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

من غرناطه في طريق وادي آش^(١) ، اما غرناطه نفسها فلم يجسر المعتصم على غزوها^(٢) .

ولكن باديس لم يقف مكتوف اليدين ، فقد دفعته أطماع المعتصم بن صامح في مملكة غرناطه إلى التحرك لاسترداد ما انتزعه منها ونجح بمعاونة ابن ذى النون صاحب طليطلة في استرداد وادي آش ، وكان باديس قد بعث إليه « يعلمه بمادهمه من الأمر ، ويسأله صلوة يده به ، وانه لما انصرف إليه من البلاد اعطاه منها ما أحب واختار »^(٣) . فسارع ابن ذى النون إلى إجابته مدفوعاً هو الآخر باطماعه ، فقد كان « من الطمع في غاية لم ينته إليها ملك »^(٤) ، ولحق بباديس وهو يحاصر وادي آش ، وتمكنا من انتزاعها من المعتصم ، وبر باديس بوعدده فتنازل لابن ذى النون عن بسطه كما طلب^(٥) .

واستشعر المعتصم بمشاعر الندم لما اجترمه في حق باديس حليفه وحليف ابيه ، فأرسل إلى باديس يسأله العفو والاعضاء على ما بدر منه ملقياً اللوم على اليهودى ابن نقراله - وزير باديس - الذى استحثه على فعلته ، فقبل باديس اعتذاره^(٦) .

واستمرت العلاقات الطيبة قائمة بين المعتصم وباديس ولكنها تغيرت عقب وفاة الأخير وتولية حفيده عبد الله بن باقرين اميراً على غرناطه . وفي عهد

(١) الامير عبد الله : مذكرات الامير عبد الله ، ص ٥٢ ، ٥٤ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٥٤ .

(٣) مذكرات الامير عبد الله ، ص ٥٦ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٥٧ .

(٥) نفس المصدر والصحة .

(٦) الامير عبد الله : مذكرات الامير عبد الله ، ص ٥٢ .

الامير عبد الله وقعت منازعات كثيرة بين المعتصم وبينه ، بدأت عندما لجأ ابن ملحان قائد مدينة بسطة إلى المعتصم وذلك له مهمة الاستيلاء عليها وعلى حصن شيلس^(١) ، متتهزاً فرصة انشغال عبد الله بن بلقين بمواجهة ابن عباد ويرجع سبب تصرف هذا القائد إلى مضايقات وزراء الامير عبد الله له بطالب المال ، « فلم يجد سبيلاً إلى الدفاع عن نفسه ، ولا شكوى لمن يذب عنه ويحميه فتراعى على ابن صمادح وقبله »^(٢) . وبذلك تم للمعتصم ضم حصني بسطه وشيلشن إلى اعمال المريه .

ولكن المعتصم اغضب بهذا المساك الشائن الامير عبد الله صاحب غرناطة الذى عمد إلى الانتقام فهاجم اجزاء من مملكته المريه ونجح فى انتزاع حصن شنت افلج - من معاقل المعتصم - عوضاً عن حصن شيلشن ، ثم صالحه مهادنة حتى ينتهى خلافه من ابن عباد^(٣) .

ولكن السلام لم يعد بين غرناطة والمريه ولم تكن الهدنه المعقودة سوى قناعاً زائفاً يخفى حقيقة الاوضاع السيئة بين الدولتين ، فقد حدث ان نفى عبد الله بن بلقين امير غرناطة وزيره سماجه ، فاجباً هذا الاخير إلى المريه فلقى ترحيباً من المعتصم الذى قر به إليه راكرم وفادته ، فأخذ سماجه يحقر للمعتصم دولة عبد الله بن بلقين ويسر له ويشجعه على مهاجمة غرناطة أملاً فى ان « ينال

(١) حصن شيلشن : كذا بالأصل وقد اختلف القدماء فى رسم الكلمة فهى عند العنبرى ترصيع الاخبار ص ١٠ « ديبلس » من أقاليم البيرة وأجزائها أما ابن الخطيب فقد رسمها « شيلش » راجع حسين مؤنس تاريخ المغرب والمغاربة فى الاندلس ص ٨٤ .

(٢) الامير عبد الله : المصدر السابق ص ٧١ .

(٣) مذكرات الامير عبد الله ص ٧١ .

على يديه فرصة بمداخله او ادلال على موضع قائده «^(١) ولما علم الامير عبد الله بما دبره سماجة مع المعتصم امر بنيان حصن المتورى الواقع بالقرب من مدينة فنيانه «^(٢) ، مجاوراً لحدود المريه ، وشحنه بالجند وزوده بالعدة والعتاد انتظاراً لما قد يحدث من جانب صاحب المريه ، وقد سبب شحن هذا الحصن بالعدد والالات مضايقات للمعتصم ، ولكن عبد الله بن بلقين لم يكتف بإقامة هذا الحصن بل شرع فى بنيان سبعة حصون اخرى لتمكين الدفاع عن حدود بلاده مع المريه وغلق المناطق المتساخته لها فكان من اثر بناء تلك الحصون ، فشل بعوث ابن صامدح ورجوعها على اعقابها «^(٣) .

وهكذا نجحت سياسة الامير عبد الله الدفاعية فى الاطاحة بتدبير سماجة والمعتصم وعلى الرغم من العداء القائم بين المعتصم وعبد الله إلا ان هذا الاخير كان يبدى كثيراً من النوايا الطيبة للتصالح والمهادنة مع المعتصم جاره وحليفه القديم وبفضل هذه المشاعر الطيبة من جانب عبد الله الزيرى ساد الصلح بينها وانتهى الامر بأن اصدر عبد الله بن بلقين امره بهدم تلك الحصون - التى كان قد بناها فى منطقة حدوده الشرقية مع اربيه كما سبق القول - - تؤكد دأ لنواياه

(١) مذكرات الامير عبد الله ، ص ٨٨

(٢) فنيانه Firana ، وتعرف بالحصن ، (الادريسي : صفة المغرب ، ص ٢٠١)
من أعمال المريه وتقع على مسافة ٣٠ كيلو مترا جنوب شرق وادى آش « الخيري :
الروض المعطار ، ص ١٤٣ والترجمة لفرنسية ص ١٧٢ هـ ٤٦٠ » ، وصفها ابن
الخطيب بأنها غريبة العتيا والتمار « مشاهدات اساق الدين بن الخطيب ،
ص ٨٩ » حسين مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغرافيون فى الاندلس ص ٥٦٨ .
الدراسات الاسلامية مدريد سنة ٦٧ ، ص ٥٦٨ .

(٣) مذكرات الامير عبد الله ، ص ٨٩ .

الطبيخه وحنافا على المهادنة بينه وبين المعتصم ، ويعبر الامير عبد الله عن ذلك بقوله « فصاحت الرجل ، وامرت بهدم تلك الحصون ونشرت المويه من كفن^(١) ».

ثانياً : ازدهار المويه فى عهد المعتصم

ازدهرت المويه فى عصر المعتصم فى مختلف مناحى الحياة اديية ومادية ، وكان من ابرز مظاهرها ذلك الازدهار تلك النهضة العمرانية التى شملت المدينة وتمثلت فى اتساع المرافق المختلفة ونمو العمران وزيادة البنيان ، ويسجل الذرى شواهد ناطقة عن هذه النهضة العمرانية والمعمارية ، نيشير إلى الزيادة التى اجراها المعتصم فى قصبة المويه عندما شرع فى إعادة بنائها والزيادة فى رفع سورها مبالغة منه فى تحصينها ومنعتها ، هذا بالاضافة إلى اهتمامه بتشيد القصور النخمة واهمها ذلك القصر الكبير الذى كان يشرف من الجهة الشمالية على جبل ليهم ويعرف بالصهادحية ، ومن المعروف ان المعتصم اقام فى الجهة القبليية من القصر الكبير بستانا عظيم الاتساع ، غرسه بمختلف النوى والثواكه المعروفة فى الاندلس والغريه عنها ، وقد ذاعت شهرة هذا البستان وعظمته إلى حد عجز معه المؤرخون عن وصفه^(٢) ، واتخذ المعتصم قبلى القصر مجلساً رائعاً فتحت ابوابه وجعل له دفقا^(٣) على نسق دقف المشرق بل تفوقها فى غرابية النقش والاتقان وفرش هذا المجلس بالرخام الابيض سطحه وازره ، ثم شيد فى الجهة القبليية منه

(١) مذكرات الامير عبد الله ، ص ٩٠

(٢) ترصيع الاخبار ، ص ٨٤ ، ٨٥

(٣) دقه « بفتح الدال المهملة » أو دقه « بضم المهملة » كما تنطق فى أسبانيا ،

الجمع دقف ودقاف ، ضرابه أى مطرقة معدنية تعلق بالاداب ، راجع :

Dozy, Supplement I, p. 447.

داراً كبيرة اتقنت بكل انواع التذهيب وغريبه مما يحار فيه النظر ، كما أقام
فيما يلي تلك الدار جنوباً مجلساً مقربساً^(١) « بالرفوف المزوقة المنقوشة المنزول^(٢)
فيها الذهب الطيب مفروش بالرخام الابيض وقد ازر بالرخام المنقوش . . .
وفي ذلك القش تاريخ بنو امه والذي امر به »^(٣) ، ويلي صحنه من الجهه
القبليه ابواب نصبت عليها شراجب^(٤) تطل على جميع مدينة المريه كما تطل
ايضا على بحرها ومرساها ، وإلى شرق هذا القصر اقام المعتصم داراً
للحكم^(٥) .

ومن اعظم مناقب المعتصم وما آثره التي ذاع أمرها اهتمامه بالمنشآت الدينية
وحرصه على استكمال المرافق العامة المتعاقبة بهذه المنشآت فن ذلك على سبيل
المثال انه زود جامع المريه (في أول رمضان سنة ٤٥٨ هـ (١٠٦٥ م) بسقاية
للمياه تصب في حوض اقيم لهذا الغرض يقع غربي الجامع ، ومن هذه السقاية
أجرى قناة كانت تصل إلى ما وراء القصبة تسري مياهها في سرب جوفي إلى
البئر الذي أقيم في جوفي القصبة ، وعلى هذا البئر اقام المعتصم سواقي يسنى

(١) مقربصات وتقابل بالاسبانية Almocarabes زخرفه تشبه عش النحل بين حوافها
الصغيرة دلايات منشورية الشكل (راجع جوميت مورينو ، المرجع السابق
ص ٤٨٨ .

(٢) المنزل فيها الذهب بمعنى المصعة بالذهب هي تقابل بالفرنسية Enchâsser
كما جاء في : Dozy : Op. cit. . II, p 660 a

(٣) العنري : المصدر السابق ، ٨٥ .

(٤) شراجب ، بمعنى صف براق « قوائم أو أعواد » مثل السياج الخشبي الذي
تقاطع فيه الأعواد على شكل زنة الشطرنج .

(٥) العنري : المصدر السابق ، ص ٨٥ .

فيها ، ويصل مأواها إلى الرياض التي تحف دأره المعروفة بالصهادحية (١) .

ولم تقتصر أعمال المعتصم على المربة نفسها بل تجاوزت نطاقها إلى ما حواليلها ، فعد اقام بستانا ، وشيد تصورا محكمة البناء غربية الزخرفة والتسميات ، رعرس في البستان انواعا مختلفة من الاشجار المعروفة والغريبة كاللوز وقصب السكر كما اقام في وسط هذا البستان بحيرة عظيمة حاطها بمجالس منمتحة مطلة على البحيرة كسيت ارضها بالرخام الابيض ، وعرف هذا البستان بالصهادحية ، اسهب الشعراء والادباء في وصفه (٢) وكان يقع على مقربة من مدينة المربة ، وكان يتصل بالصهادحية روضات اخرى مماثلة (٣) .

ولعل الغريب في كل هذا ، ان هذا الغلو في التألق المعمارى والاسراف في الابهة والترف لا يتناسب مع صغر ملك المعتصم (٤) .

وإلى جانب هذه النهضة المعمارية العمرانية الكبرى التي اتسم بها عصر المعتصم كانت هناك نهضة اخرى ادبية ساعد المعتصم نفسه على دفعها ، فلقد كان المعتصم عندما تولي أمانة المربة غلاما لم يبلغ الرشد بعد ، فلما كبر أخذ

(١) العنري : ترصيم الاخبار ، ص ٨٥ ، وانظر ايضا : السيد عبد العزيز سالم

تاريخ مدينة المربة الاسلامية ، ص ٧٧ — ٧٨ .

(٢) المقرئ : فتح الطيب ، ص ٢٨ ، ص ١٨٦ ، ١٨٧ .

(٣) العنري : المصدر السابق ، ص ٨٥ .

(٤) ابن خاقان : تلاند المقبان ، ص ٥٣ ، وانظر أيضا :

Péres (Henri) : La poésie antiafouse en araba chassique
au Xle siècle, p. 143, paris, 1937,

نفسه بالعلوم ومكارم الاخلاق ، فذاع صيته واشتهر ذكره : وعظم سلطانه (١) فكان المعتصم صاحب ذوق ادبي رفيع يظم الشعر (٢) ، وبرتاج اسبائه كثير (٣) ، فاجتذب الشعراء بنعمه وجزيل عطاياه ، فانتجعوه من كل قطر وقصدوه من كل أوب وكان يعقد لهم مجالس يتبارون فيها النظم ، ولهذا لزمه جملة من فحول شعراء العصر (٤) . امثال ابي عبد الله بن الحداد (٥) ، وابن عبادة (٦) .

(١) ابن الاثير : الكامل ، ٧ ، ص ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، وأنظر أيضا :

Dozy (R) : Op. cit. I. pp 245 , 247.

(٢) ابن خاقان : الفوائد ، ص ٥٣ ، ٥٤ ، وأنظر أيضا :

Férès : Op. cit. . p. 143.

(٣) ابن سعيد : المغرب ، ٢ ، ص ١١٦ .

(٤) ابن بسام : الذخيرة ، م ٢ ق ١ ، ص ٢٣٩ ، وأنظر أيضا ، ابن هنادي :

البيان المغرب ج ٣ ، ص ١٧٥ ، ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، ص ١٩٠ ،

. ١٩١

Dozy (R) : Op. cit , I. pp 248 — 259.

(٥) أبو عبد الله محمد بن الحداد الوادي آش ، وسميه البعض مازن ، من شعراء القرن

الخامس الهجري ، اختص تدح معن بن صمادح وظلم فيه أمداحا كثيرة ، توفي

سنة ٤٨٠ هـ (١٠٨٧ م) ، راجع ابن بسام : الذخيرة ، م ٢ ق ١ ، ص

٣٥١ وما بعدها ، ابن سعيد : المغرب ، ٢ ص ٢٢٣ ، ابن الأبار : الحلة

السيرة ، ٢ ، ص ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ،

Dozy : Op. cit.; I; p. 253.

(٦) أبو عبادة محمد بن عبادة المعروف بالقزاز ، كان شاعرا من بن صمادح : أنظر =

وإلى جانب ولعه بالشعر ومجالسه كان المعتصم يتصف برجاحة العقل والظهر والاهتمام بالدين وإقامة الشرع ، ولذلك لم تقتصر مجالسه كما بينا على الشعر فحسب بل كان يعقد بقصره مجالس للمذاكرة في العلوم الدينية وم يروى في ذلك انه كان يخصص يوم الجمعة لمجالسة الفقهاء والخواص ، يتناظرون في حضرة في كتب التفسير والحديث (١) ، ومن بين من كان يتردد على مجالسه ابو بكر محمد بن مالك القرطبي (٢) ، والاسعد بن إبراهيم بن بليطة القرطبي (٣) .

= عنه ، ابن بسام الذخيرة : م ٢ ، ق ١ ، ص ١٩٦ ، ابن سعيد : المصدر السابق ص ٢٠ ، ص ١٣٤ ، وما بعدها ، المقرئ : أزهار الرياض ، ص ٢٠ ، ص ٧٥٢ .

(١) ابن الأثير : الحلة السيرة ، ص ٢٠ ، ص ٨٢ ، ص ٨٣ ، وراجع أيضا :

Dozy : Op. cit., I, p. 245.

(٢) كانت بارطا في الشعر والنثر ، أنظر عنه ، ابن بسام : الذخيرة ، م ٢ ، ق ١ ، ص ٢٤٥ وما بعدها .

(٣) الاسعد بن إبراهيم بن بليطة ، توفي في حدود ٤٤٠ هـ (المجهرى «ابو عبد الله محمد بن ابي نصر فرج بن عبد الله الازدي» جريدة المقتبس في ذكر ولادة الاندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦ ، ص ١٧٦ ، ترجمة (٢٣٠) قال عنه ابن بسام « فارس جفـل » وشاعر محفل ، فجرى في الميدانين ، وارتزق في الديوانين (الذخيرة ق ١ ، م ٢ ، ص ٢٩٠ وما بعدها ، ذكره ابن الأثير : الحلة السيرة ، ص ٢٠ ، ص ٨٣ ، ابن سعيد : المغرب ، ص ٢٠ ، ١٧ ، المقرئ : فتح الطيب ، ص ٥٠ (١٩٣) .

ولعل شهرة بني صمدح الادبية ترجع إلى المعتصم نفسه^(١) إذ كان شاعراً مجيداً وناقداً لازعاً ، وكان بلاطه ملتقى الادباء والعلماء في عصره ، وكان وزيره ابو الاصبغ عبد العزيز بن ارقم شاعراً قديراً يحسن الوصف والمديح كما اتصف هذا الوزير بالوفاء^(٢) كذلك كان بلاط المعتصم ينافس في مجاسة الادبية ، وفي رعايته للشعراء والادباء بلاط اشبيلية^(٣) ، ويعلق الاستاذ هنرى بيريس على تألق الحياة الادبية في عصر الطوائف بقوله : « لم يكن ملوك الطوائف يتنافسون في المجال السياسى فحسب ، بل تجاوزوا ذلك إلى مجال آخر ذلك هو انهم كانوا يحوطون أنفسهم بكتاب عرفه وا بفصاحتهم وبراعتهم التي مكنتهم من التبريز في مجالس الادب^(٤) . » وحافظت المريه على هذا التألق الأدبي والازدهار العمراني الى ان انقرض ملوك الطوائف ودانت الاندلس للمرابطين .

ثالثاً : الاوضاع السياسية في الاندلس قبل دخول المرابطين

أخذت الاحوال السياسية في الاندلس تتطور تطوراً سريعاً قبيل ظهور المرابطين^(٥) على المسرح السياسى في الاندلس ، فقد أدى انقسام الاندلس في أعقاب انهيار الخلافة الاموية بقرطبه الى ظهور العنصرية بين مختلف

(١) ابن هنادى : البيان المغرب ، ج ٢ ، ص ١٧٥ ، ابن بسام : المصدر السابق

٢٢ ، ق ١ ص ٢٢٩ .

(٢) المقرئ : المصدر السابق ، ج ٢ ص ٤٥ .

(٣) عثمان : دول الطوائف ص ١٦٥ .

(٤) Pèrès (Henri) Op. cit. , p. 23 .

(٥) المرابطون او الملتمون ، قوم صحراويون من قبائل صنهاجه اللثام ، خرجوا

من الصحراء برسالة دينية تقوم على جهاد الخارجين عن الدين من قبائل =

أجناس المسلمين في الاندلس من عرب وبربر وصقالبة ، وتصدت كل طائفة من هذه الطوائف أمام الآخرى إلى أن استقر الأمر على طائفتين أحدهما اندلسية والآخرى بربرية ، استعانت كل منهما بعناصر إسبانية من نصارى الشمال الذين وجدوا في ذلك فرصة مواتية للقضاء على دولة الاسلام في الاندلس^(١) ، والقيام بدور جديد يمكننا أن نطلق عليه بحق حركة الاسترداد Reconquista ولم تلبث قوى الاسلام أن تفككت وتمزقت أشلاء

= براغوظة وغمارة في بلاد المغرب شمالا واسسوا دولة قوية نصرت الاسلام وادت الرسالة على احسن وجه (راجع في تفاصيل قيام هذه الدولة) ابن ابي زرع (ابي الحسن علي بن عبد الله الفاسي) الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، المطبعة الفاسية ١٣٠٥ هـ ، ابن عذارى البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب ، ٤ (قطعه من تاريخ المرابطيين) تعليقات احسان عباس ، دار الشروق بيروت ١٩٦٧ ، مؤلف مجهول : الحل الموشى في ذكر الاخبار للمراكشية ، الطبعة الاولى ، تونس ١٣٢٩ هـ ، حسن احمد محمود : قيام دولة المرابطيين صفحة مشرقه في تاريخ المغرب في العصور الوسطى مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٧ ، احمد مختار العبادى : الصفحات الاولى من تاريخ المرابطيين ، (مجله كلية الاداب) جامعة الاسكندرية العدد الحادى والعشرون ١٩٦٧ مطبعة جامعة الاسكندرية ١٩٦٨ ، السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ٢ ، الدار القوية للطباعة والنشر الاسكندرية ١٩٦٦ وانظر ايضا :

Huici Miranda (Ambrosio) ; La invasion de los Almoravides y la batalla de zallaca . (Hespérís ; 1933) .

(١) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ٧١٨ .

بسبب هذا الصراع بين الطائفتين واستنفذت المعارك والاستباكات المتواصلة هذه القوى الإسلامية فوهنت وناذلت في الوقت الذي بدأت قوى المسيحية تتحد وتتضامن فيما بينها بفضل مبادرة الملك شانجه العظيم Sancho el mayor الذي استطاع في سنة ١٠٩١ هـ (١٠٠٠ م) ان يحقق تحت تاجه اتحاداً يضم قشتاله وليون وجليقية^(١) ، وأن يربط بين باقى الممالك المسيحية عن طريق المصاهرات^(٢) . وعلى هذا النحو أمكنه ان يسطر سلطانه على اسبانيا النصرانية من جبال البربات إلى ما وراء شنت ياقب وحتى نهر دويره فيما يلي هضبة الجزيرة الوسطى عند وادى الرمله الوعر^(٣) . ولاحت للقوى النصرانية يواذر امل لسحق القوة الواهية للاسلام في الاندلس والمتمثلة في تلك الدويلات الاسلامية التى قامت على اشلاء الدولة الامويه ، ولكن الظروف شاءت ألا تتحقق أمل النصرانية ، إذ هلك سانشو الكبير تاركا وراءه اربعة ابناء اقتسموا مملكته فيما بينهم فتصدع بذلك الاطار العام لوحدة اسبانيا المسيحية ، وأدى هذا التمزق السياسى إلى انصراف هذه الدويلات المسيحية بمشاكلها الخاصة عن مواجهة الاسلام في الاندلس وتوقف حركة الاسترداد إلى حين^(٤) .

(١) حسين مؤنس ، السيد القميطور وهلاقاته بالمسلمين (المجله التاريخية المصرية)

المجلد الثالث العدد الاول ، مايو ١٩٥٠ ، ص ٤١ .

(٢) حسن احمد محمود : قيام دولة المرابطين ، ص ٢٤٨ .

(٣) اشباح (يوسف) : تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ص ٢٠٢ ص

٩ ترجمة ووضع - حواشيه محمد عبد الله عنان ، الطبعة الثانية ، مطبعة لجنة التأليف

والترجمة والنشر ، مؤسسة الخانجي ، القاهرة ، ١٣٧٧ هـ ١٩٥٨ م .

(٤) اشباح : المرجع السابق ، ص ٩ .

إلا أن حركة الاسترداد لم تلبث أن نشطت في عهد فرناندو الاول الابن الأكبر لشانجه وتسميه المصادر العربية فرذلد ٤٢٧/هـ ١٠٣٥ م) فذند ان تولى الملك وهو يسعى سعيا حثيثا إلى توحيد الممالك المسيحية تحت رايته ونجح في توجيه جموع النصرانية وجهه واحدة تستهدف مدافعة المسلمين ، واستطاع ان ينتزع منهم عدداً من مدن الاندلس الكبار مثل سموره « Zamora » وقلمريه « Coimbra » وبازو « Viseu » ، كما هدد بقواته دويلات الطوائف الاربع الكبرى سرقسطه و طليطله و بطايوس واشبيلية واجتاحت عساكره المناطق التابعة لها وارغم ملكي طليطلة و بطايوس على شراء سلمه بجزء سنوية يؤديانها إليه ^(١).

وفي عهد ابنه وخلفه الفونسو السادس تبدأ مرحلة جديدة في تاريخ الاندلس كادت تتعرض فيها الاندلس لخطر الاسترداد العكسالى ، فقد كان الفونسو أشد اصراراً على مواجهة المسلمين من اييه فاتبع سياسة تقوم على الارهاب والتسلط وبث الغارات ترمى إلى استنزاف القوى الاسلامية ودفع ملوك الطوائف إلى الدخول فى طاعته والخضوع لمشيئته واللوز إليه بالجزيات القادحة حتى إذا ما أبدوا عجزهم عن اداها تعرضوا لتنكيله وتعرضت بلادهم لعبث عساكره فيضطروا إلى قبول شروطه ^(٢).

ولم يكتف الفونسو بتطبيق هذه السياسة الخبيثة التى كانت تستهدف فى نهاية الامر إلى إزالة سلطان الاسلام من الاندلس بل قرن ذلك بخطة تستهدف تقليص الرقعة الاسلامية وذلك بأن يحكم الحصار حول حصون الاسلام ،

(١) حسين مؤنس : السيد الفهيطور وعلاقاته بالمسلمين ، ص ٤١ .

(٢) مذكرات الامير عبد الله ، ص ١٠١ ، وانظر ايضا ، ابن الخطيب : اعمال

الأعلام (القسم الثانى) ، ص ٢٤٣ .

وتنتسف قواته ما حولها من غروس ومزروعات وترغم حامياتها على التسليم بدون قيد ولا شرط ، أو كان يعتمد على سياسة الوقعة والدم بين ملوك الطوائف فينتصر لفريق على فريق ويحقق بذلك سياسته الرامية إلى استنزاف موارد المسلمين المالية عن طريق الاتاوات واستنزاف قواهم ومقوماتهم الذاتية عن طريق الحروب الاهلية بين طوائف المسلمين وبفضل ذلك يتمكن هو في النهاية من الظفر بملك الجزيرة كلها (١) .

ولقيت سياسته تلك قدراً كبيراً من النجاح بسبب مشاعر الطمع والجشع والتحاسد (٢) التي ملأت نفوس ملوك الاسلام وتفرق أهوائهم على الرغم من وضوح نوايا الفونسو التوسعية لديهم كل الوضوح (٣) .

وكان من اثر هذه السياسة إستيلاء القشتاليين على مدينة طليطلة في ٢٧ المحرم ٤٢٨ هـ (٢٥ مايو ١٠٨٥ م) (٤) ، فقد انقل على صاحبها بالجزيرة وانتزاع من مملكته ما كان يحميها من حصون أماميه حتى إذا ماتم لذلك حاصر المدينة سبع سنين وانتزعها من صاحبها القادر بالله بن ذى النون وزداد بامتلاكها قوة إلى قوته (٥) ، « وأخذ يحوس خلال الديار ، ويستفتح المعقل والحصون » (٦) .

(١) ابن الكردبوسى : كتاب الاكفاء في اخبار الخلفاء ص ٨٢

(٢) ابن الخطيب : اعمال الاعلام (القسم الثانى) ص ٢٤٤ .

(٣) حسن احمد محمود : قيام دولة المرابطين ص ٢٥٤ .

(٤) المقرئ : فتح الطيب ص ٦٦ ، ٨٨ ، السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير

ص ٢٢٨ ، ٧١٨ .

(٥) ابن بسام : الذخيرة ص ٤٤ م ١ ، ص ١٢٧ ، وانظر ايضا ابن الاثير :

الكامل : ص ٦٨ ، ١٣٨ .

(٦) المقرئ : فتح الطيب ص ٦٦ ، ٨٨ .

وأحدث سقوط طليطله في يد الفونسو دويًا هائلًا إذ كانت تمثل وسط
الاندلس وقلبه ، وكان نذيراً لقوى المسلمين فبدأوا يستشعرون حقيقة
الأوضاع بعد أن المهتمس أطاعهم ونزواتهم عن مواجهة خطر الاسترداد وفي
نفس الوقت سجل سقوط طليطله ارتفاعاً واضحاً لحركة الاسترداد إذ ألهب
مشاعر النصرانية وزاد من دفع هذه الحركة وتشيطها ، إذ كان سقوطها
يحسم فكرة العصية الدينية باعتبارها كانت عاصمة أسبانيا قبل الفتح الإسلامي
للاندلس كما أن استيلاء القشتاليين عليها يمهّد الطريق أمامهم لزيد من الفتوحات
توطئة لسيطرتهم الشاملة للاندلس وارتفع بذلك شأن الفونسو السادس في
نظر معاصريه ، وتسمى بالأنبراطور^(١) ، واتخذ لقب « ذى الملتين »
وأخذ يكتب أمراء المسلمين قائلاً : « من الانبيطور ذى الملتين الملك المفضل
الاذفنش بن شانجة »^(٢) وبدأت الآمال تترادف في طرد المسلمين نهائياً من
الاندلس ، تلك الآمال التي سبق أن راودت إياه وقال في ذلك « إنما كانت
الاندلس للروم في أول الأمر حتى غابهم العرب وألحفوهم بأنجنس البقاع
جليقية ، وهم الآن عند التمكن طامعين بأخذ ظلاماتهم »^(٣) .

وإذا كانت آمال النصرانية قد تضاءلت بعد سقوط طليطله في أيدي
القشتاليين فإن آمال المسلمين في الحفاظ على دولة الإسلام في الاندلس بدأت
تتلاشى وبدأ يلزمهم الاحساس بالنهاية المحتومة ، ويتبدل ذلك في بضعة آيات

(١) ابن الكردبوس : كتاب الأكماء ، ص ١٨٠ ، وأما معلومات عن لقب

انبراطور بنفس المصدر والمصفحة هامش رقم ٣ .

(٢) مؤلف مجهول : الحال المومنية في ذكر الاخبار المراكشية ، الباعة الطاعة الاولى

مطبعة التقدم الإسلامية ، تونس ١٣٢٩ هـ ، ص ٢٢ .

(٣) مذكرات الأمير عبد الله ، ص ٧٣

نظمها شاعر من شعراء الطوائف^(١) وعلى هذا النحو تحقق لالفونسو ما كان يهدف إليه من اضعاف ملوك الطوائف بالجزيات تمهيداً لادخالهم تحت لوائه ، واخذ خطره يستنجل على دويلات الطوائف عندما بادر ملوكها بخطبوت وده ويسترضونه بمضاعفة الجزية ، خاصة بعد ان استولى على طليطالة نقطة دائرة الاندلس^(٢) أو قلبها النابض ، ولكنه لم يقنع بذلك بعد ان انتزع اعظم مدن الاندلس ودفعه غروره إلى التصريح بعزمه على فتح مدن الاندلس كلها وعلى الاخص قرطبة حاضرة الخلافة ، فلما أشار عليه رجال دولته بوضع التاج على رأسه اعترض على ذلك حتى يسطأ ذروة الملك ويتزع قرطبة « واسطة السلك »^(٣) .

ولم يكن ملوك الطوائف في نظره إلا سرذمة من الجبناء والطامعين ، فلم يكن يكثر لهم أو يحتفل بقوتهم . ولم يكن أحد من هؤلاء الملوك لا يردى إلى الفونسو الجزية وكانوا « احقر في عينه راقل من ان يحتل لهم »^(٤) .

(١) ومن شعر عبد الله بن مرج العجصى المشهور بابن النعال :

يا اهل اندلس حثوا مطيكم
فما لمة م بها الا من الغلط
الثوب ينسل من اطرافه وارى
ثوب الجزيرة منسولا من الوسط
ونحن بن عدو لا يفارقنا
كيف الحياه مع الحيات في سوط
(راجع المقرئ : نفج الطيب ٤ ص ٦٤ ٨٤) .

(٢) مؤلف مجهول : الحلال الموشية ٢ ص ١٢ .

(٣) ابن بدام : الذخيرة ٤ ف ٤ م ١ ص ١٢١ وانظر ايضا : اعمال الاعلام
(القسم الثانى) ص ٢٤٤ .

(٤) المراكشى (محي الدين ابي محمد عبد الواحد بن علي التميمي) : تاريخ
الاندلس المسمى بالمعجب فى تلخيص اخبار المغرب تحقيق محمد سعيد العربياني

القاهرة ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م ص ١٩٣ .

وعمد الفونسو في المدن الاسلامية التي استولى عليها إلى تطبيق سياسة
ماكرة خبيثة تهدف إلى اضعاف روح المقاومة في نفوس المسلمين ، فجعل لكل
من دان له من الاسلام « البر والرعاية » ، واخذ نفسه بالعدل فيهم والامان ،
والرفق في السر والاعلان ووعدهم الا يلزمهم غير ما توجبه السنة الاسلامية
وان يحملهم في سائر ذل على الحرية وقد كان تحقق انه فرق على ضعفاء
أهل طليطلة مائة ألف دينار ليستعينوا بها على الزراعة والاعتماد^(١) .

وفي تلك الاثناء كانت قواته تنتشر في جميع قواعد الاندلس وتعيث
فساداً في جميع امصارها^(٢) . واصبحت اكثر بلاد المسلمين مرتعاً لهم ، ولم
تسلم المربية من عدوانهم فقد اغاروا عليها في ثمانين نارساً . فانظر ابن صمادح
إلى مواجهتهم بقوة من اربعمائة من خيار الجند ، لم تلبث ان ولت الادبار عند
أول اشتباك لها مع العدو^(٣) .

وعلى هذا النحو بلغ استخفاف التونسيين بمداه^(٤) وفي نفس

(١) ابن الكردبوس : كتاب الاكتفاء ، ص ٩١ ، وانظر ايضا هامش نفس
المصدر رقم ١

(٢) ابن ابي زرع : روض القرطاس ، ص ٩٩ .

(٣) ابن الكردبوس : المصدر السابق ، ص ٩٩ .

(٤) من امثلة الجباغة في الاستخفاف بملوك الطوائف انة كتب الى المعتمد بن عباد
كبير هؤلاء الملوك بطالب مئة تسليم بعض حصونه واعماله الى رسله وعماله ، فالتبالية
بين ما كتبه « من الانبطور ذي الملتين » المالك المفضل الا فتن من شائجة الى
المعتمد بالله سدد الله رأية وبصره مقاصد الرشاد ، سلام عليك من مشيد
شرفة العنا وثبت في المنى فاهتز اهتز از الريح بعاملة والسيف يساعد حاملة وقد
ابهرتم منازل بطاطلة واقطارها وما صار باهاها حين حاصر بها صار في هذة

الوقت امكنه بفضل غاراته المتواصلة وعت قوائمه في أراضى الاسلام أن
يشير الخوارج في قدس السنين . ان يستلزم ملك الطوائف بما فرضه عليهم من
الاناثات ، فأصبح الناس يؤمنون بتفوق قوى المسيحية وأيقنوا بالنهاية
المحتومة ، ولهذا ساءت أحوالهم وأصبحوا وقد غلبت عليهم الانانية واللامبالاة
يعيشون لساعتهم ولا يحسبون حساباً للغد وأقبلوا على الترف وملذات النفس (١) ،
وانقلبت المعايير الاخلاقية فغلب النفاق واخذ الحكم يستعينون بعضهم على
بعض بمرتزقة النصارى (٢) ، وتبالغ بعض الروايات العربية في تصوير الغرور
الذى ركب النونسو ، فتشير إلى أنه سار حتى وصل إلى جزيرة طريف في
اقصى الجنوب ، فأدخل قوائم فرسه في البحر وقال « هذا آخر بلاد الاندلس
قد وطئته (٣) » ، ويعتقد الدكتور حسن محمود انه « سواء أصبح ذلك أم لم
يصح فانه يصور لنا كيف ان آمال ملك قشتالة قد تجاوزت كل غاية ، وأعتقد
عن يقين انه محيى ملك الذريق ، وانه لامعظم للمسلمين من بطشه إلا التسليم ، أو
الفرار بدينهم إلى بر العدو (٤) » .

وأيا كان الأمر ، فإن النونسو لم يلبث ان قتل عائداً إلى الشمال فنزل على

= السنين « رابع (مؤلف مجهول التحلل الموشية ، ص ٢٢ ٢٣٢ ، ابن خلدون
(ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن ابي بكر) وفيات الاديان
وانباء ابناء الزمان : حقة احسان عباس ، م ٧٢٠ د النقفه ، بيروت ، لبنان
ص ١١٥ ، السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ص ٢١٩ ، ٢٢٠ .

(١) . ابن احمد محمود : قيام دولة المرابطيين ، ص ٢٥٩ .

(٢) ابن ابي اوردوبوس : كتاب الانكفاء ، ص ٧٧ .

(٣) ابن ابي زرع : الانيس المطرب بروص القرطاس ، ص ٩٩ .

(٤) قيام دولة المرابطيين : ص ٢٥٥ .

سرقسط وضرب عليها الحصار واقسم ان لا يرتحل عنها حتى يدخلها او يحول الموت بينه وبين ما يريد ورفض الأموال الكثيرة التي عرضها عليه المستعين ابن هر صاحبها اعتقاداً منه بأنه سيظفر بالمال والبلاد في آن واحد (١) .
وكيفما كان الأمر ، فقد وصلت الاوضاع في الاندلس في هذه الفترة إلى غاية السوء .

استدعاء المرابطين للجهاد في الاندلس :

تختلف الروايات في تعدل دخول المرابطين الاندلس ، فالأمير عبد الله الزيري يبرر دخولهم بالمنازعات التي نشبت بين المعتمد بن عباد والقوانسو السادس ومباغة الاخير في مطالبة ابن عباد بالتخلي عن معاقل هامه من اعماله « كان الموت عنده أولى من اعطائها ، فرجست نفسه منه بالجملة ورام كسره بطوائف المرابطين (٢) » . ثم ان ماوك الطوائف لاسيا في غرب الاندلس كما بن عباد وابن الافطس تنبهوا إلى مرامي القوانسو البعيدة وانه لا يقنع بهم بلهدايا أو الجزية ، فأستقر رأيهم على مكتابة يوسف بن تاشفين امير المسلمين (٣) ، يعلمونه بحال الاندلس وما آل إليه امرها من تغلب العدو وعلى اكثر ثغورها وبلادها (٤) .

(١) ابن أبي زرع : الانيس المطرب بروش القرطاس : ص ٩٩ .

(٢) مذكرات الامير عبد الله : ١٠١ ١٠٢ .

(٣) ابن الكردوس : كتاب الاكتفاء ص ٨٩ ، ص ٩٠ .

(٤) ابن أبي زرع : المصدر السابق ، ص ٩٩ ، وأظر أيضا ابن الخطيب « لسان

الدين » أعمال الاعلام : القسم الخاص بالمغرب ، ص ٣٠ تحقيق وتعليق أحمد

مختار العبادي ومحمد ابراهيم الكتاني ، دار الكتاب بالدار البيضاء ، المغرب ،

١٩٦٤ ، ص ٢٢٧ .

وتذهب روايه المراكشي إلى أبعد من الكتابة لأمير المسلمين يوسف بن تاشفين ، إذ تشير إلى ان المعتمد بن عباد جاز البحر في سنة ٤٧٩ هـ (٨٦ م) قاصداً مدينة مراكش بهدف مقابلة يوسف بن تاشفين والاستنصار به على القشتاليين ، فاستقبله يوسف و اكرمه ، وسأله ابن عباد عن حاجته في إمداده إياه بالعدد والعدة ، فأسرع يوسف في إجابته إلى طلبه ، وقال له : « انا اول منتدب لنصرة هذا الدين ، ولا يتولى هذا الأمر احد إلا انا بنفسى (١) » ، فعاد ابن عباد إلى الاندلس سعيداً باجابة امير المسلمين لطلبه

وهناك فريق آخر من المؤرخين يعلل سبب جواز يوسف بن تاشفين إلى اندلس بوفود جماعة من الاندلس عليه وشكواهم إليه بما حل بهم من عدوهم الفونسو السادس (٢) ، فلقد انس نقهاء قرطبة من قوة النصارى وضعف المسلمين واستعانة بعض ملوكهم بالدرنج على بعض ، فتشاوروا في الامر واجتمعوا بالقاضى عبد الله بن محمد بن ادم واستعرضوا الحالة التي آلت إليها البلاد ، وما وصل إليه المسلمون من الصغار والمذلة وتقديمهم الجزية للعدو النصرائى ، فتشاوروا في الامر وقلبوا الآراء المختلفة ، فاقترح بعضهم الاستعانة ببنى هلال عرب افريقية ولكنهم خافوا ان ينقلبوا عليهم فيخربوا بلادهم كما خربوا بلاد افريقية (٣) . وهكذا عدل الفقهاء عن رأيهم واجمعوا على مكاتبة يوسف بن تاشفين لترغيبه في الجواز بقواته إلى الاندلس لجهاد العدو . (٤)

(١) المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار الغرب : ص ١٩١ ، وفي رواية أخرى

تقول بان الاجتماع كان في الشمال بموضع يسمى بليط بالقرب من سبته .

(٢) مؤلف مجهول : الحلال الوشيه ، ص ٢٠ .

(٣) ابن اثير : الكامل ، ص ٨٠ ، ص ١٤١ .

(٤) ابن الاثير : الكامل ، ص ٨٠ ، ص ١٤١ ، ابن الاثير : ص ٩١ .

ويورد ابن خلكان رواية تختلف تماماً عما سبق اذ تفيد بأنه لما تمهدت ليوسف بن تاشفين البلاد - تاق للعبور الى جريده الاندلس ، فانشأ لذلك المراكب والشوانى ، بناها الى ملوك الاندلس عزم يوسف هذا ، كرهوا عبور المرابطين الى الاندلس واستعدوا لذلك بالعدد والعدة الا انهم عدلوا عن مواجهته بعد ان ايقنوا بهجزهم عن مقاتلة حشوده ، تم انهم كانوا يدركون في نفس الوقت عظم الخطر الذى تمثله قسوى النصرانية عليهم من التمال وما يترتب على غاراتهم المتهوادة على بلادهم من نتائج خطيرة . فاستقروا رأيهم فى اجتماع عقدوه مع المعتمد بن عباد كبيرهم على اظهر موالاتهم للمرابطين امام قسوى النصرانية فى اسبانيا مستهدين من ذلك بث الذعر والمخاع فى نفوس القشتاليين ومن حالفهم من ممالك اسبانيا المسيحية ، واجمعوا فى نفس الوقت على الاتصاف ليوسف بن تاشفين امير دولة المرابطين ومكاتبته (١) .

والواقع ان الحالة السيئة التى تردت اليها دويلات الطوائف بالاندلس من فرقة وتنازع وخلاف فيما بينهم واستنصار بعضهم بقوى الفونسو السادس على بعضهم الاخر والتزامهم بتأديته اتارات سنوية له ، والمطامع بعيدة المدى التى طغت على ملك فشتالة بعد ما عاينه من سوء احوال المسلمين وانقسامهم وتطلعاته الى السيطرة على المعادل والحصون فى الاندلس وتحرير الجزيره نهائيا من ايدي المسلمين ، هذا الوضع لم يكن خابرا باين حال من الاحوال على يوسف بن تاشفين الذى كان الجهاد فى بيل لله غاية امله ومنتهى رجائه

(١) ابن خلكان : وفيات الاميان ، ٧٠٢ ص ١١٣ ، ١١٤ ،

والأساس الذى قامت عليه دولة المرابطين ، وفى نفس الوقت الذى كان يجتمع فيه ملوك الطوائف المشاورة وحكم الاوضاع كان نضواء الأندلس من جانبهم يعقدون اجتماعا لبحث الموقف ، وأما لدروا قرارهم الذى سجلوا فيه خطورة الموقف وما يتطلبه من جمع الصنفوف والتماسك والتلاحم بين مسلمى الأندلس والمغرب وأكدوا ضرورة الاستنصار بقوى المرابطين ، فاتهموا بهم يستحثونهم ويرغبونهم فى الجواز إلى الأندلس ، وجاء قرارهم متفقاً مع قرار ملوكهم استدعاء المرابطين للجهاد بالأندلس من أجل نصرته الاسلام والذب عنه امام الخطر الأسباني .

ويالغون فى تصوير الحماس الذى أبداه المعتمد بن عباد للاستنصار بالمرابطين فيذكرون ان الرشيد بن المعتمد افترض على استدعائهم فرد عليه المعتمد قائلاً « والله لا يسمع عنى ابداً انى اعدت الأندلس دار ككر ولا تركتها للنصارى ، فتقوم على اللعنة على منابر الاسلام مثل ما ظمت على غيرى ، وحرز الجمال ، والله عندى خير من حرز الخنازير ^(١) .

وأيا ما كان الأمر فقد اثبتت الأحداث المقبلة صدق مشاعر الأندلسيين فى استدعاء المرابطين إلى الأندلس ، فأهون الشرين ان تظل الأندلس بلداً اسلامياً سواء حكمه ملوك الطوائف او حكمه أمراء المرابطين . ونستدل على ذلك من الرواية القائلة بأن المعتمد تأخر فى سنة ٤٧٩ هـ (١٠٨٦ م) عن سداد الاتاة التى اعتاد تقديمها لالفونسو فى الموعد المحدد ، ثم ارسلها له مما أدى إلى غضب الفونسو واشتط فى طلب بعض الحصون ، وأمعن فى التجنى وكان قد بعث رسوله اليهودى لابن عباد

(١) مؤلف مجهول : الحلال الموشيه ص ٢٨ ، وأطر أيضاً ابن الخطيب : أعمال

برسالة تحمل هذا المعنى ، والظاهر ان وصول رسول ملك قشتاله إلى اشبيلية اتفق مع قرار المعتمد بن عباد الاتصال بيوسف بن تاشفين الامر الذى دعاه إلى التجرد على القشتالى و الامتناع عن تنفيذ مطالبه اعتماداً على نصرة المرابطين له إلى حد انه لم يتردد فى قتل رسول الفونسو اليه عندما احتد عليه و اغلظ له القول ، فلما بلغ الازدفتش ما صنعه برسوله وجنده اقسم ليغزونه بأشبيلية (١) .

وتذكر المصادر العربية ان المعتمد كتب على الفور إلى امير المسلمين يوسف بن تاشفين فى غرة جمادى الاول ٤٧٨ هـ (١٠٨٥ م) (٢) يستصرخه على الفونسو ويدعوه إلى الجواز للاندلس للجهاد و احياء شريعة الدين ، فلما وفدت سفارة المعتمد بن عباد إلى يوسف بن تاشفين بمراكش حاضرة ملكه ، وتليت عليه الرسالة ، شاور اخوته وبنى عمه ، وأستقر رأى على تلبية دعوة ابن عباد للجهاد ، كما استشار يوسف بن تاشفين كاتبه عبد الرحمن بن أسبط فى هذا الشأن ، وكان اندلسيا من اهل المرية ، فأشار عليه بقوله : « لا يمكنك الجواز إلا ان يعطيك (أى ابن عباد) الجزيرة الخضراء فتحمل فيها اثقالك واجنادك ويكون الجواز بيدك متى شئت (٣) » فبعث برسالة لابن عباد تحمل هذا المعنى ، ووافق ابن عباد على طلبه .

والرواية المذكورة تتضمن بعض المبالغة فى تصوير الموقف ، فلو ان المعتمد لم يكن قد اتصل مسبقا بيوسف بن تاشفين وحصل منه على وعد

(١) الحميرى : الروى المطار : ص ٨٤ ، ٨٥ .

(٢) يذكر صاحب الحال ان مكاتبة ابن عباد ليوسف بن تاشفين حدثت فى سنة ٤٧٩ هـ

« راجع : الحلال الموشى ، ص ٢٩ » .

(٣) ابن الخطيب : أعمال الاعلام : القسم الثانى ، ص ٢٤٥ .

قاطع يبذل العون لما اقدم على اهانة رسول الفونسو إليه ولما تجرأ على قتله ،
وليس من المعقول ان يكون ذلك قد حدث دون ان يكون موثقه مدعما
لا بمجرد وعد من ابن تاشفين فحسب بل بقرب وصول الامدادات الرابطين
او وصولها بالفعل إلى ساحل الجزيرة ، اما القول بأن ابن أسبط هو الذي
أشار إلى يوسف بالمطالبة بشغل الجزيرة لنزول قوات الرابطين فاعتقد انه
بعيد عن الصحة والارجح ان الاعتماد خصصه لهذا الغرض بإدارة منه عندما
فوجيء بنزول قوات الرابطين بالجزيرة ولم يكن الامر يطالب مكاتبات مسبقة
من جانب الرابطين للحصول عليها ، وانما الظروف وحدها هي التي املت على
بنى عباد التصرف في هذا الثغر وتقديمه إلى الرابطين تسهيلا مهمتهم ، يؤكد
ذلك ما رواه الامير عبد الله الزبيري في مذكراته : « فالتفت القوم إلى خيل
قد ضربت محلتها ، لم يدر متى افبات ، ولم يصبح لهم إلا وطائفة اخرى
بمدها ، يزيدون ويترادفون ، حتى اكمل العسكر كمله على الجزيرة مع
داود بن عائشة ، واحدقوا حواليتها بحرسونها ^(١) » ، ولما اعترض الرازي بن
المعتمد بن عباد على هذا التصرف رد عليه داود بن عائشة ، وهو من ابرز
قواد الرابطين بقوله : « وعدتمونا بالجزيرة ونحن لم نأت لأخذ بلده ولا
ضرر بسلطان وانما أتينا للجهاد فاما ان تخايها من هنا إلى وقت الظهر من يومنا
هذا ، وإلا فالذي تقدر عليه ، فاصنع ^(٢) »

وبمجرد احتلال يوسف بن تاشفين الجزيرة المحضراء شرع في بناء
أسوارها وترميم أبراجها وشحنها باللؤن والأسلحة وحشرها بالجند ^(٣) ،

(١) مذكرات الامير عبد الله : ص ١٠٣ .

(٢) نفس المصدر : ص ١٠٣ .

(٣) مؤلف مجهول : الحلل الموشية ، ص ٣٤ .

ثم رحل عن الجزيرة وكتب إلى رؤساء الاندلس يستنفرهم للجهاد ،
 ويحضهم على اللحاق به ^(١) ، فوافاه المعتمد بن عباد بجملة من لديه من الاجناد ،
 والمتوكل بن الافطس صاحب بطليوس في قـواته ^(٢) ، كما لحق به عبد الله
 ابن بلكين صاحب غرناطة وأخوه تميم صاحب مالقة ^(٣) ، كما لحق به أيضا
 أكثر رؤساء الاندلس الراغبين في الجهاد بقواتهم ^(٤) ، أما المعتصم بن صامح
 صاحب المريه « فأبى عليه وبقى متربصا ليرى كيفية الامر ومخرجه مع الروم ،
 واعتذر بكبر السن مع الضعف ، وأرسل ابنه معتذراً ^(٥) » ، واكتفى بإرسال
 بعض قوات رمزيه بعثها للمشاركة في الجهاد .

وسار أمير المسلمين نحو بطليوس وعسكر علي مقربة منها بموضع

(١) الأمير عبد الله : المصدر السابق ٢ ص ١٠٤ .

(٢) الحلال الموشيه ٢ ص ٣٥٤٣٤ .

(٣) نفس المصدر : ص ٣٤٤ ابن الخطيب أعمال الاعلام « القسم الخاص بالغرب »
 ص ٢٤٠ وما بعدها .

(٤) الحلال الموشيه ٢ ص ٣٥ .

(٥) مذكرات الأمير عبد الله ، ص ١٠٤ ، بينما يقول صاحب الحلال الموشيه ان
 المعتصم اعتذر بسبب العدو الملاق له بحصن ليظ من عمل لورثة ٢ (الحلال
 الموشيه مؤلف مجهول ص ٣٤) ويرى الأستاذ امروسى واديشى ميراندا انه
 اثر البقاء انتظارا لنتيجة المعركة المقبلة ، انظر :

Anbrosio Huici Miranda ' La invasion de los Almoravides
 y la batalla de zalaca ; Hesperis , t. XI, 1953 , p. 40 .

السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، ص ٢٠٣ و ٢٠٤ ، ص ٣٠٣ ، المربة
 الإسلامية ص ٨١ .

يسمى الزلاقة^(١) وارسل من هناك إلى القوانسو ككتابا يعرض عليه فيه ان يختار بين الدخول في الاسلام أو أداء الجزية أو القتال كما تقضى السنة^(٢) ، وقد اثار ذلك غضبه واقسم الا يبرح من مكانه الذى حل به ، وهكذا دارت المعركة الثانية عشر من رجب ٤٧٩ هـ (١٠٨٦ م)^(٣) بين قوى الاسلام والنصرانية ، وانتهت بانتصار حاسم احرزته المسلمون .

(١) فخص الزلاقة من اقاليم بطايوس من غرب الأندلس ، (الحميرى : الروض المطار ، ص ٨٣ ، ابن الكردبوس : الاكتفاء ، ص ٩٣) .

(٢) مؤلف مجهول : الحل الموشية ص ٣٥ ، وراجع ايضا بعض فصول الخطاب بنفس المصدر والصفحة ، وانظر ايضا ابن ابى زرع : الانيس المطرب ص ١٠١ .

(٣) مؤلف مجهول : الحل الموشية ، ص ٢٤٠ ، ٢٤١ ، اختلفت الروايات الاسلامية في تحديد تاريخ موقعة زلاقة ، فذكر ابن خلكان انها وقعت يوم الجمعة ١٥ رجب ٤٧٩ هـ (ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ص ٧٠) ، في حين اورد المراكشى انها وقعت يوم الجمعة ١٣ رمضان ٤٨٠ هـ (المعجب في تلخيص اخبار الغرب ص ١٩٥ ، اما الحميرى فيذكر انها حدثت يوم الجمعة ٢٠ رجب ٤٧٩ هـ (الروض المطار ، ص ٩٤) ، وابن ابى زرع يوم الجمعة ١١ رجب ٤٧٩ هـ (الانيس المطرب ، ص ١٠١) ، وابن الاثير في "عشر الاول من شهر رمضان ٤٨٩ هـ (الكامل في التاريخ : الجزء الثامن ص ١٤٢) راجع تفصيلات هذه المعركة في :

A. Huici Miranda, Op, cit

الحميرى : الروض المطار ، ص ٨٣ وما بعدها ، حسن احمد محمود : قيام دولة المرابطين ص ٢٧٣ ، الى ٢٨٨ ، السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ص ٧٢٣ ، ٧٢٧ .

فلما انتهت المعركة بهذا الانتصار ، جمع أمير المسلمين يوسف بن تاشفين رؤساء الاندلس في مجلسه ، وامرهم بالتضامن والاتفاق ، وان تكون كلمتهم واحدة ، وابلغهم ان النصارى لم تقترسهم إلا بسبب ما بينهم من تباين وتنابد ، فوافقهم المجتتمعون واظهروا طاعته ووعدوا بتحقيق ما امر به (١) ، سيما بعد الانتقادات اللاذعة التي وجهها يوسف بن تاشفين لملوك الطوائف قبل وقوع المعركة والتي عبر عنها في قوله « كان غرضنا في ملك هذه الجزيرة ان نستقذها من ايدي الروم ، لما رأينا استيلاءهم على اكثرها وغلبة ملوكهم واهلهم للغزو وتواكلهم وتخاذلهم وايتارهم الراحة ، وانما همة احدهم كأس يشربها وقينة تسمعه وهو يقطع به ايامه (٢) » .

ثم قفل أمير المسلمين يوسف بن تاشفين راجعا إلى العدو المغربي في بداية عام ٤٨٠ هـ (١٠٨٧ م) ، إذ وافته انباء مزعجه بوفاة ابنه ابى بكر لم يجد معها بدا من سرعة الكرة (٣) ، والودة إلى العدو المغربية (٤) ، وشيعة ابن عماد إلى الجزيرة الخضراء (٥) ، ويرجع الدكتور حسن احمد محمود سبب عودة يوسف بن تاشفين السريعة إلى المغرب إلى انباء وصلته عن وفاة عمه ابى بكر

(١) مذكرات الامير عبد الله ، ص ١٠٦ .

(٢) الراشدي : المعجب في تلخيص اخبار الغرب ، ص ٢٢٦ .

(٣) الحميري : الروض المطار ، ص ٩٤ ، مؤلف مجهول : الحلال الموشية ، ص ٤٧ .

ابن ابى زرع : الانيس المطرب ، ص ١٠٥ .

(٤) مؤلف مجهول : الحلال الموشية ، ص ٩٧ ، ابن الكردبوس : الاكتفاء ، ص ٩٥ .

ابن ابى زرع : الضرد السابق ، ص ١٠٥ .

(٥) ابن الخطيب : اعمال الاعلام ، القسم الخاص بالمغرب ، ص ٣٠٩ ، ص ٣١٩ .

ابن عمر زعيم المرابطين واميرهم ٤٨٠ هـ (١٠٨٧ م) ، فأحب ان يعجل بالعودة إلى المغرب ليث ملك عمه ، ويبادر بأخذ البيعة لنفسه ، قبل ان يغتصبها منه بعض الامراء الآخرين منتهزين فرصة وجوده بالاندلس مشغلا بمعركة الجهاد (١) .

وكيفما كان الامر ، فقد عجل امير المسلمين يوسف بن تاشفين بالعودة إلى المغرب بعد ان اسند قيادة الجيش المرابطى فى الاندلس إلى قائده سير بن ابى بكر توطئة لعودته إلى الاندلس بعد تدبير شئون مراكش ليتابع فيها الحرب بنفسه (٢) .

والواقع ان اضطراب الاحوال السياسية بالاندلس كان له اعظم الاثر فى تضيق هوة الخلاف بين ملوك الطوائف فتناشوا بعض الوقت احقادهم ومطامعهم وسعوا إلى توحيد الصف امام اعدائهم الذين بدأت تحركهم دوافع الطمع فى استرجاع اسبانيا وانتزاعها من ايدي المسلمين واعادتها إلى ما كانت عليه أيام القوط .

فبالرغم من العداء السافر الذى كان قائماً بين المعتمد بن عباد صاحب اشبيلية والمعتصم بن صمادح صاحب المريه ، وهو عداء كان يذكيه المعتصم (٣) وينفخ فى رماده إلى درجة تبادل المراسلات القبيحة بينها ، وإلى تعريض المعتصم بالمعتمد فى مجالسه ، وانتهى الامر بصدام مسلح بين الطرفين وذلك عندما اقدم

(١) قيام دولة المرابطين ، ص ١٨٧ ، وانظر ايضا التعليق بهامش رقم ٨ ، ص

٩٥ ، ٩٦ من كتاب الأكتفاء لابن الكردبوس .

(٢) اشباح : تاريخ الاندلس فى عهد المرابطين والوحدين ، ص ٨٩ .

(٣) يقول المراكشى فى ذلك : « كان (المعتصم) قديماً الحسد للمعتمد كثير

النفاسة عليه رد (المراكشى : المعجب ، ص ١٩٦) .

المعتمد بن عباد على غزو الرية ^(١) ، وعلى الرغم من ذلك كله فقد اتفق المصنفان على تصنيف خلافتها ، وتم الاجتماع بينهما في موضع قريب من حدود مملكتي الشبينية والرية ، انعقد فيه مجالس الصالح بينهما وقد احتفل المعتصم بهذه المناسبة بصيغته المعتمد غاية الاحتفال وبالغ في إكرامه ، بأعداد مجالس الأنس ، وآلات الطرب - واستمرت ضيافة المعتمد في كنف المعتصم ثلاثة أسابيع عاد بعدها إلى بلاده ^(٢) .

والظاهر أن هذا الاجتماع ، بالإضافة إلى أنه أدى إلى تصنيف الخلافات وانعقاد الصلح ولو بشكل ظاهري ، كانت له نتائج طيبة ، إذ ساعد على تقبل يوسف بن تاشفين للمعتصم بن صباد ورضائه عليه بفضل امتداح المعتمد له عنده ونعمته إياه بكل فضل ، استغل المعتصم - وهو مشهود له بالذكاء - بحسن العلاقات بينه وبين أمير المسلمين وغمره بالهدايا الفاخرة ، والتحف النفيسة « وتلطف في خدمته حتى قرب به أمير المسلمين أشد تقريب ، وكان يقول (أي يوسف ابن تاشفين) لأصحابه : هذان رجلا هذه الجزيرة يعني المعتصم والمعتمد » ^(٣) .

وعندما عبر المعتمد بن عباد بحر الزقاق إلى العدو والتقى بأمر المسلمين يوسف بن تاشفين وشكا إليه ما يعانيه المسلمون بسبب حصن لبيط وضرره على المسلمين ^(٤) وصور له أهمية هذا الحصن ، « وأنه في قلب البلد وأن

١، الحميرى : الروس العطار ، ص ٨٤ .

٢ انراكتنى : المعجب ، ص ١٩٧ ، وانظر أيضا :

Dozy (R) , OP . cit . , 1 ; P , 266 .

٣ الراكتنى : المصدر السابق ، ص ١٩٧ .

٤ ابن ابي زرع : الانيس الطرب ، ص ١٠٦ ، وانظر أيضا الحلل الموشية =

لأراحة للمسلمين إلا بنقده » ، استجاب أمير المسلمين لرغبته ، فجاز إلى الجزيرة الخضراء وما كاد يستقر بها حتى كتب لملوك الطوائف يستنذروهم للجهاد معه (١) . فوافقه هناك جيرويس الأندلس ، وسأهم المعتصم بن صيادح بجيشه مع بقية ملوك الطوائف في حصار لييط ، ويضيف ابن بسام بأن المعتصم « خرج عن المربة إلى لييط يجر جيشا ، لا تتأني الطير غدوته ولا يتوقع العدو وطأته » (٢) ، وظهر المعتصم بين فرسانه البيض في ثوب مرابطي اسود فكان كما وصفه بعض الرواة العرب كالفراب الاسود بين الحمام الأبيض (٣) . ويروى الأمير عبد الله أن المعتصم بن صيادح « أتى بنيل اقامه وخرق به العادة . اصابه من الحنن قبس من نار وأحرقه » (٤) . واستمر حصار المسلمين الحصن لييط أربعة أشهر ولكنه انتهى بالتشل ، وربما يرجع ذلك إلى صمود الحامية القشتالية ، وقوة تحصنها لهذا الحصار ، بالإضافة إلى عامل آخر أكثر من الأول أهمية هو اختلاف كلمة المسلمين (٥) ، فقد شكك المعتصم بن عباد لأمر

== أواف مجهول ، ص ٤٨ ، ابن الخطيب : اعمال الأعلام ، ص ٣٠٤ ، ص ٣٤٩ .

(١) مذكرات الأمير عبد الله ، ص ١٠٨ ، الحلل الوشية أواف مجهول ، ص ٤٩ .

وابن أبي زرع : الأئیس للطرب ، ص ١٠٠ .

(٢) الذخيرة ، ق ١ م ٢٢ ، ص ٢٤٠ .

(٣) اشباح : تاريخ للأندلس في عهد المرابطيين والموحدين ، ص ٩١ .

(٤) مذكرات الأمير عبد الله ، ص ١٠٩ ، فيل : آله من آلات الجواروهي أشبه بالكباش الذي كان يستخدمه الجواريون في حصار المدن المأهية بالشام إبان الحركة الصليبية)

(٥) مذكرات الأمير عبد الله ، ص ١١١ وما بعدها ، وما بعدها ، الحلل الوشية

أواف مجهول ، ص ٤٨ ،

ابن أبي زرع : الأئیس للطرب ، ص ١٠٦ .

المسلمين ابن رشيق الثائر عليه بمروسة ، كما اختلف ابن صهاح مع ابن عباد بشأن بعض الحصون وانصرفا دبر اتفاق بينهما (١) . ذلك ان المعتصم لما استوثق من علاقته بأمر المسلمين وتمكن منه ، سعى في تغييره على المعتمد بافساد العلاقات الطيبة بينهما ، فكان من جملة ما اسر به لأمير المسلمين الغرور الذي ركب المعتمد وتجاوز الحدود في استغلاله وتكبره (٢) .

والظاهر ان يوسف بن تاشفين استبشع ما رآه بين ملوك الطوائف من خلافات واستاء من الوضع الداخلي في الاندلس وأبدى استيائه برفع الحصار عن حصن لبيط والانصراف إلى ناحية بورقة ، ثم مغادرة الاندلس إلى العدو المغربي عن طريق المرية (٣) .

وازداد غضبه وهو بالعدرة المغربية علي ملوك الطوائف عندما بلغه ان الأمير عبد الله بن بلكين تعاقد مع البرهانس وكيل التوائسو السادس في جهات غرناطة والمريه . وان الأمير عبد الله التزم بدفع جزية سن ثلاث سنوات ماضية قدرها ثلاثين ألف دينار مقابل مسامحته (٤) . وكان قد ثبت

(١) مذكرات الأمير عبد الله ص ١١٣ .

(٢) كما وشابه عند يوسف بن تاشفين ذابغة انة قال عنه : « طالت اقامة هذا الرجل بالحزيرة يعني أمير المسلمين : لوعوجت له اصبعي ما اقام بها ليله واحدة هو ولا اصحابه : وكالك تجاف عاتاة وای شيء هذا المسكين واصحابه ؟ انما هم قوم سكانوا في بلادهم في جهد من العيش وغلل من السمير ، جئنا بهم الى هذه البلاد نطعمهم حسبة واثجارا فاذا شبعوا اخرجناهم منها الى بلادهم » (راجع المراجعة ص ١٣٨) .

(٣) ابن ابي زرع : الانيس المطرب ص ١٠٦ .

(٤) مذكرات الأمير عبد الله ص ١٢٣ وما بعدها ، وانظر ايضا ابن ابي زرع :

المصدر السابق ص ١٠٧ .

لامير المسلمين من قبل تعاون ابن رشيق مع النصارى اثناء حصار لييط (١) . لكل هذه الاسباب ، عزم امير المسلمين هلى استئصال دويلات الطوائف والاطاحة بهروشا حتى يتهيا له توحيد الجبهة الاندلسية المغربية لمواجهة خطر النصارى ، فجاز للمرة الثالثة إلى الاندلس فى سنة ٤٨٣ هـ (١٠٩٠ م) ، متظاهراً بعزمه على محاربة النصارى ، وسير قواته خفية عبرت من سبته إلى الجزيرة الخضراء إلى مختلف نواحي الاندلس ، وفى هذه المرة لم يطلب من ملوك الطوائف جنداً لمعارنته ، كما انهم لم يعرضوا عليه العون بل اخذوا يترقبون حركات المرابطين فى حذر وتشكك ، وعرج يوسف على رأس جيشه إلى طليطية فحاصرها ، ولكنه ما كاد يشرع فى الغيث بأراضيها ويتوغل حتى ظاهر عاصمة قشتالة (٢) ، حتى رجع فجأة نحو الاندلس وقد عزم على استئصال شأفة ملوك الطوائف فبدأ بنكبه الامير عبد الله الزيرى صاحب غرناطة ، وكان شديد الغضب عليه ، فعزله عن ملكه ونماه إلى اغتات (٣) ، وارفه بأخيه تميم صاحب مالقه (٤) .

وفى سنة ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م) ، سير جيوشاً اربعة عبرت من سبته إلى الجزيرة الخضراء وجبها إلى مختلف بلاد الاندلس ، تقدم على الجيش الاول ابن عمه الامير سير بن ابى بكر واهره بحاصرة ابن عباد باشبيلية واحتلالها ثم التوجه إلى بطاييموس والاستيلاء عاها واسقاط صاحبها المتوكل على الله عمر بن المظفر بن الافطاس ، كما قدم على الجيش ابا عبد الله بن الحاح وعهد

(١) مكرات الامير عبد الله ، ص ١١٢ .

(٢) ابن ابي زع : الانيس المطرب ، ص ١٠٧ ، وانظر ايضا ، اشاخ : تاريخ

الاندلس فى عهد المرابطين والواحدى ، ص ٩٣ .

(٣) مكرات الامير عبد الله ، ص ١٦٠ ، الحلال الموشية لؤائف ، مجهول ، ص ٥١ .

(٤) مكرات الامير عبد الله ، ص ١٦٢ ، ١٦٣ .

إليه بمنازلة الفتح الملقب بالأمون بن المعتمد بن عباد بقرطبه والاستيلاء عليها ، كما عهد إلى الأمير يحيى بن واسنو بقيادة جيش ثالث لفتح المريه وقدم على الجيش قائده جرور الحبشى وعهد إليه بفتح رنده واسقاط اليها الراضى بن المعتمد بن عباد (١) .

وقد نجحت هذه الجيوش جميعا في تنفيذ مهامها واسقاط ملوك الطوائف في اشبيلية وبطليوس ورنده .

اما المريه ، فقد لافقت هي الاخرى ننس مميم هذه الدويلات ذلك ان المعتصم بن صمادح عندما شعر بنية المرابطين في الاسبيلاء على بلاده وعجزه عن تفادى المتعبر المحتوم الذى قضى به ابن تاشفين على جميع ملوك الاندلس (٢) ، وحوصرت المريه من البر والبحر حصاراً محكمأ ، سعى المعتصم إلى النجاة بنفسه ودولته من هذه النهاية المنيعة ورأى ان يجرب آخر سهم فى جعبته ، فبادر بارسال ابنه عبيد الله عز الدولة - وكان متزقها فى الدين - إلى الأمير يحيى بن واسنو ليد يستطيع ان يثنيه عن عزمه وذلك عن طريق يمينان وجه الحق له ، إلا ان عز الدولة لم يكذب يصل إلى الأمير حتى امر هذا بثقاوه على المقام فى الحديد ، وعندما علم المعتصم بأمر ولده تحيل فى اطلاق سراحه (٣) . وفى هذه الاثناء طرقت جيش المرابطين أبواب المريه ، وكان قد استولى على جميع ايمانها ولم يبق فى حوزة المعتصم ابن صمادح سوى المريه ذاتها فاعتمد بقصبتها ، غير انه لم يلبث ان داهمه

(١) مؤلف مجهول : الخال لمويه ، ص ٥٢ .

(٢) أنصاخ : تاريخ الأندلس فى عهد المرابطين والموحدين . ص ٦٩ .

(٣) مذكرات الأمير عبيد الله ، ص ١٦٧ ، وأنظر أيضا : ابن الأبار : الحلة

السيرة ، ج ٢ ص ٨٨ ، ٨٩ .

المرض في الوقت الذي كان المرابطون يحكمون فيه الحصار حولها ، وينسجون إليه عبارة جرت مجرى الأمثال، نصها: «نغص علينا كل شيء حتى الموت»^(١) ويروون أنه عندما لاحظ جاريته تبكي عند رأسه اشفق عليها ودعاها إلى ادخار هذه الدموع لوفاته الوشيكة ، فعبر عن ذلك ببیت من الشعر ضمنه الاحساس بالمرارة والقنوط^(٢) . ولما أيقن بقرب نهايته مع تفاذ قدرة عسكره على المقاومة والصمود دعا ولده وولي عمه معز الدولة للمثول بين يديه ونصحه بضرورة المطاوعة والتثبت بقصبة المرية ما استطاع إلى ذلك سبيلا وقال له : (امتسك هذه القصبة طوّل مقام ابن عباد في ملكه باشيلية ما استطعت ، فإن رأيت ابن عباد قد خرج ، فلا تتربص ساعة واحدة ، وانج بنفسك إلى القلعة وادخل البحر باقدرته عليه من زخائرك إذ لا مطمح لك في البقاء بعده »^(٣) .

ولم يطل الأمر بالمعتصم إذ لم يلبث أن توفى في ربيع الآخر سنة ٤٨٤ هـ

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ٢ ، ص ٢٤٠ ، ٢٤١ ، وأنظر أيضا : ابن خلّكان : دفيات الأعيان ، م ٥ ، ص ٤٤ .

Dozy , (R) : Op. cit., I, 272.

(٢) تروق بدمعك لا تفننه فبين يديك بكاء طويل

(٣) ابن بسام : نفس المصدر ، ق ١ ، م ٢ ، ص ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ابن الخطيب : أعمال الأعلام « القسم الخاص بالاندلس » ، ص ٩٠٩ .

(٣) مذكرات الأمير عبد الله ، ص ١٦٧ ، ١٦٨ ، ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ٢ ، ص ١٤١ ، ابن الأثير : الرحلة السيرة ، ص ٢٤٠ ، ص ٨٥ ، ابن الخطيب : أحوال الأعلام « القسم الخاص بالاندلس » ، ص ١١١ .

(١٠٩١ م) (١) ، بعد ما يقرب من إحدى وأربعين عاما تولى خلالها شئون المملكة ، وخلفه ابنه معز الدولة في ولايتها وتحمل تبعه هذه التركة المثقلة بالمشاكل ، والظاهر أن المرابطين قد فتر حملهم بعض الوقت عن فتح المريه لانشغالهم باحكام الحصار حول اشبيلية ، والتمهيد للسيطرة عليها ومع ذلك فلم يصرفهم ذلك عن متابعة محاصرة المريه برا وبحرا ، فمكث معز الدولة يتقرب الاحداث إلى أن تأكد لديه سقوط اشبيلية ، ووقوع ملكها المعتمد ابن عبد اسير في قبضة ابن أبي بكر سنة ٤٨٤هـ (١٠٩١ م) ، وعندئذ عمد إلى الاخذ بوصية ابيه والبحث عن مخرج له من المصير المحتوم . فتظاهر برغبته في مفاوضه المرابطين ، ونجح في حمل عسكرهم على تخفيف الخناق عنه ناحيه البحر (٢) . ثم انه انتهز هذه الفرصة لينجو بنفسه ، فامر رجاله بنقب السور الممتد خارج باب موسى إلى دار الصناعة (٣) . وركب مع خواصه في قطعة بحرية وشحن ما قدر عليه من الاموال والذخائر في قطعتين أخريين (٤) ، ثم تظاهر أمام رعيته بالخروج لمهادنة يوسف بن تاشفين ، فسر اهل المريه لذلك (٥) اعتقاداً منهم بأنه سيمهد بذلك طريق المصالحة مع المرابطين وتجنبيهم

(١) ابن الخطيب : أعمال الاعلام ، « القسم الخاص بالاندلس » ، ص ١٩٩ .

(٢) اشباح : تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ص ٩٩ .

(٣) ابن الخطيب ، المصدر السابق ص ١٩٢ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ المريه الاسلاميه ص ٤٩ .

(٤) ابن الخطيب : نفس المصدر والصفحة ، السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ٨٢ .

(٥) مذكرات الامير عبد الله ، ص ١٦٨ ، السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المريه الاسلاميه ص ٨٢ .

الأخطار المترتبة على احتلالهم المرساة ، ولكنه ما كاد ركب مع آله وخواصه حتى أمر بحراق باقي الاجنح خشية المطاردة ^(١) . ولما توسطت مراكبه البحر أغدق على البحريين اموالهم وعلنهم بوجهته ، فلاذ إلى ثغر الجزائر ونزل في كنف بني حماد أصحاب البلاد ^(٢) ، فأسكنوه مدينة تدلس ^(٣) ، وكان في شهر رمضان سنة ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م) ^(٤) .

ولم تمض بضعة ايام حتى كان المرابطون قد استولوا على المرية دون مقاومة ، وبسقوط المرية في ايدي المرايطين تبدأ مرحلة جديدة في تاريخ المرية الاسلامية .

(١) ابن الخطيب : أعمال الاعلام « القسم الثاني » ص ١٩ ، السيد عبد المرزوق

المرجوم السابق ص ٤٩ ، أحمد مختار المبادي : دراسات ص ٣٠٩ .

(٢) ابن الخطيب : نفس المصدر والصفحة .

(٣) ابن الاثير : الكامل ، ص ٨٠ ، ص ١٥٦ ، ابن الكردبوس : الاحتكام ، ص

١٠٥ .

(٤) ابن البار : الحلة السبراء ص ٢٢ ، ص ٩ .

البَابُ الثَّانِي

أهم المظاهر الحضارية

الفصل الأول

تطور عمران مدينة المرية

أولاً : تخطيط المرية وتطور عمرانها منذ تأسيسها
حتى سقوطها في أيدي المرابطين

حظيت المرية منذ ان امر عبد الرحمن الناصر بتأسيسها واحكام تسويرها في سنة ٣٤٤ هـ (٩٥٥ م) باهتمامه الخاص لما كان ينقده به موقعها من حصانه طبيعية جعلها تبرز في المقام الأول بين ثغور الأندلس المنيعه ، ولم تلبث ان اصبحت بفضل جونها العميق وروعة موقعها من اشهر مراسى الاندلس واكثرها عمراناً ، فالتسعت رقعتها وامتد عمرانها وازدادت حركة مرفأها ، وانتجعها التجار من المشرق والمغرب على السواء وأضحت هى وبجانه على حد قول ياقوت الحموى : « بابى الشرق منها يركب التجار وفيها نخل مراكب التجار ، وهى مرفأ ومرسى للسفن والمراكب » (١) .

ومما يجدر ذكره ، ان المصادر العربية لم تزودنا بأى اخبار تصير لنا ما كان عليه عمران المرية عند تأسيسها ، كما لم تزودنا بعد ذلك بروايات توضح تطور عمرانها وامتداده في عصر الطوائف بعد ان اكتملت هذه المدينة بربضيتها الشرقي والغربي ، والرواية الوحيدة التى يقول عليها الباحثون عند تصويرهم للنطاق العمرانى للمرية بعد اتساعه هى رواية الادريسي التى يقول فيها : « والمرية فى ذاتها جبلان وبينهما خندق معمور ، وعلى الجبل الواحد قصبتها المشهورة بالحصانة ، والجبل الثانى منها فيه ربضها ويسمى جبل لاهم ، والسور يحيط بالمدينة والربض ، ولها ابواب عدة ولها من الجانب الغربى ربض

(١) معجم البلدان ، المجلد الخامس ، ص ١١٩ .

كبير عامر يسمى ربض الحوض » (١) .

ويرجع الفضل الاعظم في دراسة عمران المريه في العصر الاسلامي وتابع تطوره إلى باحثين جليابين أولهما المشتشرق الاسباني المهندس وعالم الآثار الاستاذ ليوبولدو توريس بلباس أول من تنبه إلى اهمية دراسة تاريخ هذه المدينة اعتادا على مانبقى فيها من آثار وتوصله إلى تسجيل صورة واضحة المعالم لعمرانها (٢) ، والثاني استاذى الدكتور السيد عبد العزيز سالم الذى افرد باللغة العربية بحثا قويا عن المدينة موضوع الدراسة ضمنه عرضا قويا لتاريخها وتخطيطها ودراسة اصيلة لعمرانها (٣) ، وبفضل الحقائق التى توصل إليها وبفضل ما امدنى به من توجيهات امكننى أن اتوصل إلى تحديد البؤرة العمرانية الأولى وموقعها من القصبة ، كما امكننى ان اتابع ما دأب حوالها من فيض عمرانى في عصر الطوائف وذلك بعد ان اتاحت له الفرصة لدراسة عمران المدينة القديم على الطبيعة وتتبع نموها العمرانى ابتداء من بؤرتها الأولى واتساعها شرقا وغربا ، وتبين لى خلال دراستى للآثار الباقية فى المدينة وعلى الاخص قصبة المريه والابرار المتبقية من اسوارها القديمة ، انه كان لعامل التضاريس وطبيعته السطح اثره العميق فى التحكم فى توجيه عمران المدينة الفاض شرقا وغربا

(١) الادريس : صفة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس ، ص ١٩٧ ، وانظر

ايضا : الحميرى : صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٨٤ .

(٢) Torres Ba'bas (Iéopoldo) : Almeria Islamica, al-Andalus, (٢)

Vol. XXII, Madrid, 1957, pp. 411 — 433

(٣) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المريه الاسلامية ، وبحته عن « المريه قاعدة

الاسطول الاندلس » ، مجلة الرابطة « القاهرة » ، مايو — يونيو ١٩٥٩ ، ص

بامتداد السهل الساحلى وفى امتداد اسوارها ، فكانت المدينة القديمة تتخذ شكل مستطيل يبلغ طوله على وجه التقريب ٥٦٠ مترا وعرضه ٣٥٠ مترا بحيث يغطى رقعة من الارض مساحتها تصل إلى نحو ١٩ ١/٢ هكتار دون احتساب المساحة التى تشغلها القصبة (١) ، ويمتد هذا السطح ما بين القاعة المنسوبة إلى خيران ، الواقعة باعلى جبل القصبة شمالا وبين الساحل جنوبا . وكان يحده هذا المسطح العمرانى الذى تشغله المدينة من الشرق والغرب واديان ضحلان .

وكانت لمدينة القديمة تشتمل على عدد من المرافق أهمها المسجد الجامع القائم فى وسطها ثم الفنادق والحمامات والاسواق التى كانت تتوزع حول مساحته ، أما الفيسارية فكانت تقع إلى جنوبيه ودار الصناعة تحتل الركن الجنوبي الشرقى من المدينة (٢) .

ومنذ بداية القرن الخامس الهجرى ، طرأ على عمران المدينة تغير واضح المعالم فقد نأ هذا العمران فجأة واتسعت المدينة دفعة واحدة ، وتحولت المدينة الهادئة إلى مركز رئيسى للهجرات وذلك إبان الاضطرابات التى اعقبت سقوط الخلافة واشتعال نار الفتنة للبربريه ، ومنذ ذلك الحين ازداد عدد سكانها بمن وفد عليها من قرطبة ومن غيرها من مدن الاندلس التى طحنتها الفتنة ومن أنسوا الامان بين اسوارها وتحت قصبتها الشائخة وفى ظلال ما كان يسودها من هدوء وسلام بحكم بعدها عن مناطق الصراع الرهيب القائم بين الطائفتين البربريه والاندلسيه ، وكان من الطبيعى بسبب تزايد وفود القادمين إليها ان

(١) Torres Balbas (L) : Almeria Islamica, pp. 430 — 436.

السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ١١٦ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ص ١١٦ ، ص ١١٧ .

تضييق المدينة عن الاتساع لجوعهم وان تتكون بؤرات عمرانية خارج نطاق المدينة القديم ، ولما كان من المستحيل أن يمتد العمران شمالا بسبب اعتراض جبل القصبه وجنويا لوجود البحر ، أصبح من المحتم أن يمتد العمران شرقا بامتداد فحس المريه القسيح، وغربا في المنطقة المحصورة بين رادى الرمله الذى يعرف اليوم باسم « رملة لاشانكا » وبين جبل الكنيسه (١) .

وفي هذين الاتجاهين تكون ربضا المدينه الشرقى والغربى ، الاول ، فقد اطلق عليه اسم ربض المصلى ، نسبة إلى المصلى أو ربض الشريعة القديمه التى كانت تقع خارج الباب الشرقى من الية الاولى (٢) ، ومسوقه شرقى المدينه القديمه ، ويشرف على هذا الربض من الشمال الطرف الجنوبى من جبل ليهم ، ويفصل هذا الجبل عن جبل القصبه خندق عميق يعرف اليه وم باسم الاخدود La Hoya (٣) .

واما الربض الثانى ، فهو ربض الحوض ، يحتل انهسمى كذلك نسبة

(١) السيد عبد العزيز سالم : المصدر السابق ، ص ١١٦ ، ١١٧ .

(٢) Torres Baibas L : Musalla y Saria, al-Andalus, Vol. XIII, p. 175, 1948.

عن السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١١١ ، المصلى فى المدن الاسلاميه فضاء فسيح خارج اسوار المدينة ، كانت تقام فيه شعار صلاة العيدين وصلا الاستسقاء ايام الجفاف ، والشريعة القديمة لان امتداد العمران خارج نطاق أسوار المدينة الاول استلزم انشاء ثريمة جديدة فى نفس الاتجاه خارج ابواب الرض الجديد (أنظر ، سالم : المرجع السابق ، ص ١١٧ .

(٣) Torres Baabas (L) . Almeria Islamica, p. 433.

السيد عبد العزيز|سالم : المرجع السابق ، ص ١١٧ .

إلى جب كبير كان موجودا في هذه الناحية ، وللأسف لم يبق من اثار شوارع هذا الربض شئ يدل على ما كانت عليه هذه الشوارع في العصر الاسلامي ، وذلك لتخرب عمارة منذ ان استولى القشتاليون على المدينة عام ٥٤٢ هـ (١١٤٧ م) (١) .

وبامتداد العمران إلى هذين الربضين بلغت مساحة مدينة المرية علاوة على قصبتها نحو ٧٩ هكتارا (٢) .

ثانيا : الاثار الباقية في مدينة المرية

الاثار الحربية :

القصبة : هي القصبة التي اسسها خيران العامري ونسبت إليه ، فابن سعيد يشير اليها عند تعرضه لذكر مدينة المرية بقوله : « وبني فيها خيران العامري قلعة العظيمة المنسوبة إليه » (٣) ، ويؤكد المقرئ ذلك بقوله : ولها (أى المرية) القلعة المنيعية المعروفة بقلعة خيران (٤) . ونستدل من رواية العذري التي يشير فيها إلى قيام خيران باقتحام المرية والاستيلاء على القصبة (٥) ان القصبة كانت قائمة بالفعل قبل استيلاء خيران العامري على المرية ، وعلى هذا

(١) Torres Balbas (L) : La Medina, los Arrabales y los Barrios, al-Andalus, Vol. XVIII, p. 167.

عن السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ص ١٢١ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١١٦ .

(٣) المغرب في حل المغرب ، ص ٢٠ ، ص ١٩٣ ، وانظر ايضا ، جوميت مودينو : الفن

الاسلامي ص ٣١٧ .

(٤) تقع الطيب ، ص ١٠ ، ص ١٥٣ .

(٥) ترصيع الاخبار ، ص ٨٢ .

نسنتج ان خير ان اسس قلعتيه بعد ان استولى على القصبه على اساس ان القصبه اشمل وأعم من القلعة . وقد يكون المقصود من نص العذرى ان خير ان اهتم بتحصين القصبه بالاسوار المنيعة التى مازالت قائمة حتى اليوم ^(١) ، وشدة عنايته بهذا العمل الضخم هو الذى دعا المؤرخين العرب إلى نسبتها إليه .

وكيفما كان الامر ، فان القصبه تنتصب شامخة باعلى جبل صخري ارتفاع نحو ٦٥ مترا فوق سطح البحر ، صعب الارتقاء لوء-ورته ، والجبل المذكور هو آخر حلقة من سلسلة جبال جادور Gador القريبة من نهر اندرش الذى كانت مياهه بادية ذى بدء تصب في البحر في موضع اكثر ارتفاعا بالقرب من مدينة بجانه Pechina ^(٢) .

ويرى بعض الباحثين أن قصبه المريه أقيمت على اساس برج فينيقي قديم ^(٣) ، ولكما نستبعد ذلك لان كل ماعثر عليه في -لاح جبل القصبه لا يعدو قطعا من الفخار من العصر التيوليقي تدل على ان هذا الموضع كان مأهولا في

(١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المريه الاسلاميه ، ص ١٢٢

(٢) جوميت مورينو . الفن الاسلامى في اسبانيا ، ص ٣١٧ ، ويذكر العذرى : « وقد اشرفت على المدينة تصبتها ، وهى في جبل منفرد على سور متقن لا يصعد الى تصبتها الا بكلفه ولا يرق اليها الا بمشقه ، يحكمه في رتبها غاية في امتناها » (ترصيع الاخبار ص ٨٣)

(٣) Sainez de Robles : Castillos en Espana, Madrid, 1954, p. 295;

من السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

مصور قديمة (١) .

هذا وتقع القصبة إلى شمال مدينة المريه القديمة ، وتشرف من الجهة الشمالية والشمالية الشرقية على ربض المصلى وخندق باب موسى ، ومن الجهة الغربية على ربض الحوض ، وتمتد طولاً من الشرق إلى الغرب بمقدار ٥٣٠ متراً ، ويؤكد الحميري هذا الامتداد الشرقي — الغربي للقصبة في قوله : « وقصبتها بجوفها وهو حصن منيع لا يرام مديد من المشرق إلى المغرب »^(٢) . ويتخلل امتداد سطحها بروزات وأبراج كثيرة في غير نظام وينقسم هذا السطح إلى ثلاثة مرتفعات غير متساوية ، يفصل بين كل منها سور ، فالمرتفع الأول ، وهو المرتفع الغربي الذي يتخذ شكلاً أقرب ما يكون إلى شكل المثلث ، يتصل بسور المدينة في خط مواز لطريق لاشانكا La Chanca وتكتنف سور هذه القلعة المثلثة أبراج اسطوانية الشكل وأخرى مربعة الشكل ضخمه تضم غرفاً ، كما تشتمل على معقل أمامي به ثلاثة أبراج أخرى للدفعه يحيط بها خندق ، وكل هذه الأبراج اقيمت من كتل حجريه على النظام القوطي^(٣) . أما المرتفع الثاني أي الأوسط ، فيتخذ شكل مربع سطحه يكاد يكون منبسطة ويمتد هذا المرتفع من أسوار القلعة الغربية حتى السور الفاصل الذي يقسم القصبة إلى قسميها الشرقي والغربي وكان هذا القطاع يضم كل بنيان القصر وماحقاقه ، وفي الناحية الشمالية من هذا القطاع يمكننا أن نتتبع القسم الأخير من الطريق المقابل لسياج المدينة ويمتد محترقاً طريقاً لاهويا La Hoy ، وكان فيها

(١) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٣٧ ، ١٥٠ .

(٢) الربض المطار ، ص ١٨٠ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٣٧ ، ١٣٨ ، حويزت مورينو :

الفن الاسلامي ، ص ٣١٧ .

مضى عامرا بالدور ليصعد بعدئذ إلى تل سان كريستوبال San Cristóbal أو جبل ليهم، وقد زود سور هذا القطاع بأبراج مربعة الشكل تتجاوز في ارتفاعها السور ، وتميز الاجزاء العليا من هذه الابراج بأنها مجوفة بدون اقبية وتنتهى بنيتها من أعلى بشرفات ذات رؤوس مدببة^(١) .

واما المرتفع الثالث ، وهو المرتفع الشرقى، فطويل للغاية وتعادل مساحته كل من مساحة المرتفعين الغربى والاوسط ، وكانت تشغله فيما يبدو حدائق القصر ومن هذا المرتفع الأخير يسلك الجند والفائمون بحراسة القصبه إلى المدينة^(٢) ، ويتميز هذا القسم من القصبه بجبابه العميقه وناعوره يبلغ عمقها وفقا لما ذكره مادريت سبعون قامه^(٣) .

والباب الحالى للقصبه ، لانشك فى أنه من العصر الاسلامى قد شيد على طريقة عهد الخلافة بعقوده المدينة المتجاوزة المنكسرة القامه من الآجر إذ تتداخل فيه الصنوف المزدوجه من لوحات الحجر الرملى ممتده بين أخرى تتعاقب فيها الكتل القائمه طولاً وعرضاً^(٤) .

أسوار المدينة والربضين :

تتناول دراسه أسوار المدينة القديمه والقطاع الشرقى والغربى منها :

١ - أسوار المدينة القديمه : يذكر العذرى ان عبد الرحمن الناصر اقام

أسوار المريه فى سنه ٣٤٣ هـ (٩٥٤ م) من الحجر (الصخر) (°) ، ومن

(١) السيد عبد العزيز سالم : المرحم السابق ، ص ١٣٩ .

(٢) جوميت مورينو : الفن الاسلامى فى اسبانيا ، ص ١١٧ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : المرحم السابق ، ص ١٣٨ .

(٤) جوميت مورينو : المرحم السابق ، ص ٣١٧ ، ٣١٨ .

(٥) قرصتي الاخبار ، ص ٨٦

المعروف ان هذه الاسوار تنفرع شمالا من طرفي القصبة الشرقي والغربي باتجاه
الواديين الجانبيين إلى ان تلتقيا جنوبا بالسور القبلي للمدينة القديمة الذي يمتد
بحذاء البحر ويضربه مأوه^(١) ، وإليه يشير ابن سعيد - نقلا عن الرازي -
في قوله : « سورها على ضفة البحر وبها دار الصناعة »^(٢) .

٢ - القطاع الشرقي : تحكمت طبيعة سطح الربض الشرقي في بنيان سور
وفرضت نفسها على تخطيط هذا السور ؛ إذ املت على بابة هذا السور احتواء
مقدمة جبل لاهم التي يسميها ابن خاتمه بالهرقوب وتعرف اليوم برقع سان
كريستوبال داخل نطاق الربض^(٣) . وتخطيط هذا السور حسب وصف
ابن خاتمه ، ووفقا لمخطط المدينة الذي نفذ في سنة ١٦٠٠ م يرجع إلى القرن
الخامس الهجري ، وينبثق هذا السور من منتصف السور الشمالي للقصبة ويمضي
في اتجاه الشمال الشرقي ثم يهبط إلى خندق باب موسى ليفلق هذا المدخل الخطير
المؤدي إلى الربض المحدث ، ثم يأخذ في الارتفاع في الشمال الشرقي إلى السطح
الجنوبي لجبل لاهم ثم ينحرف إلى الشرق ويتدرج في الهبوط نحو الجنوب
الشرقي إلى ان يصل إلى باب بجانه ، ثم يغير اتجاهه إلى الجنوب ويمضي في
وجهته حتى يقابل الدارف الشرقي من السور القبلي للربض ، وتظهر في مخطط
١٦٠٣ م آثار جدار يتجاوز نقطة التقاء السور الشرقي للربض بالسور القبلي
ويصل إلى البحر^(٤) ويعتد الاستاذ توريس بالباس ان هذا الجدار لا يعدو

(١) معجم البلدان ، المجلد الخامس ، ص ١١٩

(٢) المغرب في حلى المغرب ، ص ٢٠ ، ١٩٣ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة الربض ، ص ١١٧ .

(٤) Torres Balbas : Almeria Islamica, p 414.

السيد عبد العزيز سالم : نفس المرجع السابق ، ص ١١٨ .

ان يكون سورا « برانيا » يقطع الطريق الساحلى على من يهاجم المدينة (١).
واغلب الظن ان هذا السور بنى فى عهد خيران العامرى ، استنادا الى قول
العذرى : « وبنى خيران القتي السور الهابط من جبل ليهم الى البحر وجعل له
اربعة ابواب (٢) ، وفى موضع آخر « سور ربضها الشرقى (ربض المصلى)
واتصل سور الربض بالمدينة وكان الذى سور الربض القتي خيران (٣).
ويذكر الحميرى ذلك فى قوله ان ربض المصلى بالمريه عليه « سور تراب بناء
خيران العامرى » (٤) .

ولم يتبق من هذه الاسوار جميعا سوى ستارتان يبلغ طولهما نحو ٤٠ مترا
بارتفاع يصل الى خمسة امتار (٥) ، الأولى ، تمتد من السور الشمالى للقصة
الى مرتفع العرقوب او جبل لاهم ، وتقتصر مهمتها على غلق المدخل المؤدى
الى ربض المصلى عبر خندق باب موسى المسمى اليوم بالاخدود ، وهذا
السور اقيم بأكمله من الملاط المعروف فى الأندلس بالطايبه أو التراب (٦) ،

Torres Balbàs : Ibid; p. 434,

(١)

السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١١٨ .

(٢) ترصيم الاخبار ، ص ٨٦ .

(٣) نفسه ، ص ٨٦ .

(٤) الروض المطار ، ص ١٨٤ .

Torres Balbàs : Op. cit. p. 439;

(٥)

السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٤٣ .

(٦) الطايبه مزيج من الحير والرمل وقطع الحجارة الصغيرة (الدبسه) ، وقد ذكر

الملاط فى كتاب ابن القوطيه تحت اسم آلاشه ماشه وهى تسميه لاتيقيه ، ويعرف هذا

المزيج باسم الملاط ، (راجع ، جوميت مورينو . الفى الاسلامى ، ص ٤٩٠) ،

كما اقيمت بهذه المادة الابراج المستطيلة التي تحميها ، وهي ابراج متقاربة قليلة البروز عن مستوى السور ، ولهذا السور ممشى علوى ليس على مستوى واحد وإنما يتدرج في ارتفاعه حسب سطح الارض (١) . اما الستارة الاخرى الباقية فتشتمل على السور القائم على جبل لاهم كله ، وكان يواصل امتداده الى ان يصل قرب باب بحمانه ، وتبدأ ابراج هذا السور ببرج اسطوانى يليه برجان نصف دائريين مطولان ثم برج مستطيل اكثر بروزا ، مهمتها حماية البويع المجاور له وبلى هذا البويع برج نصف اسطوانى فاربعة ابراج مستطيلة الشكل تنتهى بها الستارة العليا ، هذا ويلاحظ أن الابراج الاسطوانية قد بنيت من قطع الحجارة ، وجميع هذه الابراج تحتوى على طوابق علوية ، اما الابراج المستطيلة فمبنية بالطايبه ، ويعتقد الاستاذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم ان الابراج المستطيلة يرجع تاريخ بناؤها الى عصر خيران العامرى في حين يعتقد ان الابراج الاسطوانية بنيت فيما بين منتصف القرن الخامس الهجرى والربع الاخير من القرن التاسع الهجرى ، وان كان سيادته يرجع انتمائها الى عصر المرابطين (٢) .

ويغلب على الظن ان السور الشمالى لربض المصلى ، القائم بأعلى جبل لاهم كان يتقدّره « حزام برانى » او سور امامى تتجلى آثاره في الخريطة المؤرخة سنة ١٨٥٧ ويؤكد ذلك ما ذكره الونسودى بلنسيه من وجود اسوار اماميه بالمرية عندما استولى عليها الملك الكاثوليكيان (٣) .

(١) Torres Balbas : Almeria Islamica, p 434;

السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ص ١٤٣ .

(٢) "سيد عبد العزيز سالم " المرجع السابق ، ص ١٤٣ .

(٣) Torres Balbas : Almeria Islamica, p 439;

السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ص ١٤٤ .

٣ - القطاع الغربى : اما السور الدائر برىض الحوض فيغالب على الظن انه من بنا خيران العامرى ، وذلك لاتساع مدينة المريه من الجهة الشرقية والغربية فى آن واحد ، فلا بد ان يكون الربضان قد احبطا بالاسوار فى وقت واحد ^(١) ويؤكد ذلك ما ذكره العزرى « وكذلك الرىض الغربى مسور ايضا قد اتصل سور به بالمدينة » ^(٢) . والملاحظ ان رىض الحوض كان اقل اتساعا من رىض المصلى ، وذلك يرجع إل ضيق المساحة الواقعة بين وادى الرمله الغربى والستموح المنحدرة للجبل المعروف منذ القرن الثامن الهجرى باسم جبل الكنيسه ، ولقد اشار ابن فضل الله العمرى إلى الفارق الكبير فى المساحة بين الرىضين ^(٣) ، وحسب اشارة ابن خاتمه فان رىض المصلى يزيد فى اتساعه عن المدينة و رىض الحوض معا ^(٤) .

وكان السور الغربى يمتد من الطرف الغربى لقلعة القصبه متجها نحو الجنوب متبعا خط سير وادى الرماه (لاشانكا) حتى التقائه بسور المدينة القبلى ، ولم يتبق من هذا السور سوى مطلعه الذى يبدأ من البرج الاسطوانى الكبير القائم فى طرف القصبه الغربى ، وينتهى ببرج مربع الشكل يحتوى على غرفة عليا ، كما تبقت كذلك آثار قليلة من سور لاشانكا وابراجهم وقد أقيمت جميعها من الطايه ، ولا يختلف نظام البناء فيها بآية حال عن نظام البناء فى تحصينات القرن الخامس الهجرى ^(٥) .

(١) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٠٣ .

(٢) ترصيع الاخبار : ص ٨٦ .

(٣) وصف افريقية والمغرب والاندلس ، تحقيق حسن حسنى عبد الوهاب ، ص ٤٦ ،

(٤) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١١٣ .

(٥) نفس المرجع السابق ، ص ١٤٢ .

كذلك تبقى من السور الشمالى لربض الحوض برجان كبيران مربعا القاعدة لكنها مهشمان ، اكل منها غرفة عليا ، وبعد الواحد عن الآخر بمسافة عشرين متراً ، وتقتصر مهمتها على الدفاع عن المدخل الشمالى لربض الحوض عبر وادى الرملة ، كما تبقت ايضا من السور الغربى بعض ابراج مربعة الشكل اصغر حجماً ، ولكنها متباعدة ومنعزلة بسبب دوائر الستائر التى كانت تربطها فيما بينها ، وبناء هذه الأبراج ايضا من الطاييه (١) .

ابواب المدينة : لم تقتصر تحصينات المريه على القصبه والاسوار كوسيلتين من وسائل الدفاع عنها ، وانما تشمل هذه التحصينات ايضا ابواب المدينة التى تلعب دوراً فى احكام غلق حلقة الدفاع إذا ما حاول عدوما اقتحامها . ولذلك اهتم اهل الاندلس بنظام بناء ابواب المدن ، فبجانب دورها الدفاعى ، كانت ايضا منافذ للدخول إلى المدينة والخروج منها . وكانت الابواب غالباً ، تسمى باسماء المدن التى تتجه إليها لتفتح الطريق المباشر بين هذه المدينة والمدينة التى تقابلها (٢) .

ولقد ترتب على ضياع معظم معالم اسوار المريه واختفاء آثارها بما فى ذلك الابواب التى كانت تفتح فى ستائرهما بالاضافة إلى طغيان العمران الحديث على مواضعها القديمة قيام مشكلة تحديد هذه المواضع ، إنه بمفضل اسهامات مؤرخى العرب القدامى والمحدثين وما أسفرت عنه اعمال التنقيب الاثرى على ايدى علماء الآثار الاسبان امكن التوصل إلى معرفة اسماء مواضع الأبواب التى كانت تفتح فى اسوار المريه الاسلامية .

(١) Torres Balgas : Almeria Islamica, p. 430

(٢) ايلى بروفسال : الام فى المغرب والاندلس ، ترجمة الدكتور السيد عبد العزيز

سالم والا. تاذ محمد صلاح الدين حلمي ، مكتبته نهضة مصر ومطبعتها ، ص ٥٧ .

ويجدر بنا القول بهذه المناسبة انه لم يتبق اليوم من هذه الابواب سوى بويب او خووخه مفتوحة في جبل لاهم بقطاعه الشمالى ، يعلو اسطوانه قبوه حجريه قليلة التآكل ويتوج الباب عتب يعلاوه فراغ مستطيل الشكل يرجح انه كان مخصصا للزحمة الانشائية (١) .

وفىا بلى دراسة مقتضيه لهذه الابواب تبدأ فيها بأبواب الرض الشرقى ثم تنطرق إلى ابواب المدنة القديمة لنختتمها بابواب الرض الغربى .

ابواب الرض الشرقى او رض المصلى :

١ - باب موسى : لانشك فى ان تسمية هذا الباب باسمه المذكور نسبة لأحد اعلام المريه المشهورين ، وكان هذا الباب يفتح فى سور الخندق الموصل بين جبل القصبة وجبل لاهم ، ويذكر ابن الخطيب أنه نفس الباب الذى خرج منه معز الدولة بن صمادح إلى دار الصناعة حيث ابجر فى جنه إلى ثغر الجزائر فراراً من جيش المرابطين المحاصر لمدينة المرية فى ذلك الوقت (٢) . وآثار هذا الساب لا تزال ماثلة فى يومنا هذا ، وان كان قد سد بالطايبه ويكتفه برجان مربعا الشكل (٣) .

٢ - باب ليهم : نسبة إلى جبل ليهم ، ويقع فى اول السور الهابط من هذا الجبل . وقد ذكره العذرى فى جملة ابواب السور الهابط من جبل ليهم إلى البحر وعدتها اربعة (٤) .

٣ - باب بجانه : وكان هذا الباب يعتبر من الابواب الرئيسية للمريه إذ

(١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ص ١٢٢ .

(٢) اعمال الاعلام : (القسم الخاص بالاندلس) ، ص ١٩٢ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ص ١٢٦ .

(٤) ترصيع الاخبار ، ص ٨٣ .

كان يفتح في اتجاه مدينة بجانه ولذلك سمي باسمها ، وقد سمي هذا الباب فيما بعد باسم برشانه ، فقد اختلط على القشتاليين الأمر عند دخولهم المريه في سنة ٨٩٥ هـ (١٢٨٩ م) فنسبوا هذا الباب إلى برشانه بدلا من بجانه ^(١) لتقارب الاسمين في الطق .

٤ - باب المربي : ذكره العذري ^(٢) ، ولعل تسميته باسمه ترجع إلى اشرافه على فحص المريه ، ربما كانت هذه المنطقة في ذلك الوقت تشتهر بتربية الاغنام والمواشى ومن ثم سمي بهذا الاسم .

٥ - باب السودان : يلي باب المربي ^(٣) جنوبا وقد ارده العذري في مؤلفه في جملة ابواب المريه الاربعة التي تفتح في السور الشرقي الممتد من جبل لاهم إلى البحر ، وكان يعرف في ايامه بباب الاسد .

٦ - باب دار صناعة المريه ^(٤) : ويقع في الطرف الجنوبي الشرقي من السور المطل على البحر ، وهو آخر ابواب هذا السور وسمى كذلك نسبة إلى دار الصناعة ولعله كان يفتح بالعرب منها .

٧ - باب العقاب : وقد ذكره المقرئ بقوله : « ومن ابوابها (اى المريه) باب العقاب ، عليه صورة عقاب من حجر قديم عجيب ! » ^(٥) .

(١) السيد عبد العزيز سالم : المرحم السابق ، ص ١٢٤ ، ورشانه من امنع - حصون المريه واوقها نيسانا ، (الحيدري الروض ، ص ٤٢) ، وتقع دلى وادى يسمى بالنصورة (ابن الخطيب : مشاهدات ، ص ٣٦ ، ملحوظه ١ ، ص ٨١) .

(٢) ترصيع الاخبار ، ص ٨٣ .

(٣) نفس المصدر والصفحة .

(٤) نفس المصدر والصفحة .

(٥) فتح الطيب ، ص ١٠٢ .

ونستخلص من ذلك ان باب العقاب انما سمي كذلك بسبب تمثال كلاسيكى ضخيم لعقاب كان يعلو الباب ، والعقاب يرمز إلى القوة والبأس ووجوده دليل على مناعة وحصانة ، وكان تزئين بوابات المدن الاندلسيه بالتماثيل القديمة امرأ شائعاً في العصر الاسلامى كما هو الحال فى مدينة الزهراء وقرطبه وبجانه وبلنسيه^(١) ، ويرجح الاستاذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم ان هذا الباب كان يفتح فى منتصف السور الشرقى لربض المصلى المؤدى الى فحص المربه^(٢) واعتقد ان هذا الباب استحدث فى القرن السادس الهجرى بدليل ان العذرى لم يشر اليه على الرغم من اهتمامه الخاص بذكر ابواب السور الشرقى لربض المصلى ، وقد يكون باباً ثانياً ولهذا لم يرد فى جملة الابواب التى ذكرها العذرى .

ابواب المدينة القديمة :

٨ - باب البحر : يظهر هذا الباب فى خريطة المربه المؤرخة فى سنة ١٦٠٣ ، وقد سمي كذلك لانتتاحه على البحر^(٣) .

٩ - باب الزياتين : ينسب هذا الباب فيما يغاب على الظن الى حى الصناعات المختصين بعصر الزيوت ، ولعل هذا الحى كان يشغل ركنا بعيداً عن قلب المدينة ، ولكنه قريب من البحر حتى يتيسر شحن الزيت على السفن التجارية ، وقد ورد ذكر هذا الباب فى ترجمة محمد بن خليل بن محمد التميمى من اهل المربه^(٤) .

(١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المربه الاسلاميه ، ص ١٢٥ ، قرطبة حاضرة الخلافة فى الاندلس ، ص ١٠٠ ، ص ٢٢٦ .

٢ تاريخ مدينة المربه الاسلاميه ، ص ١٢٥ .

(٣) نفس المرجع ، ص ١٢٧ .

(٤) ابن الابار : (ابن عبيد الله محمد بن عبد الله) : التكملة لكتاب الصلة ، ص ٢٠ ، مطبعة

الخانجي ، مصر والمبنى ببيداد ، ١٩٥٦ ، ص ٤٦٥ ، ترجمة (١٣٧٠) .

ويرجح الاستاذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم ان هذا الباب كان يفتح في السور الجنوبي من اسوار المدينة ، او لعله يفتح بالذات في السور الجنوبي من المدينة الداخلية فالشأن دائماً في رايه ان تكون معاصر الزيوت قريبة من الميناء حتى يسهل نقل الزيت وتصديره (١) .

ابواب الرض الغربي او رض الحوض :

باب مقبرة الحوض : لم نمدنا المصادر العربية بآية اشارة عن وجود هذا الباب ، كما ان اعمال التنقيب الاثرى لم تسفر حتى الان عن اثار تشير الى وجود ابواب في هذا الرض ، ولكن جرت العادة في مدن الاندلس او المدن الاسلامية بوجه عام انه اينما وجدت منابر خارج السور تفتح بالضرورة ابواب تيسيرا لدفن الموتى ويعتقد الدكتور السيد عبد العزيز سالم أن السور القبلى لرض الحوض كان يفتح فيه باب قبلى يؤدى إلى مقبرة الحوض المعروفة بالرابطة (٢) .

الآثار المدنية :

القصر : كانت القصبه تشتمل بدون ادنى شك على مقر انتائم بالدفاع عن المدينة ، فقد كان من الطبيعى ان يكون هذا القصر بداخل قصبتهما ، اما مقر الوالى او الحاكم فكان أغلب الاحين شباورا للمسجد الجامع كالشأن في عديد من قصور الاندلس حتى يسهل على الوالى الانتقال من القصر إلى الجامع ايام الجمع والأعياد او في المناسبات الرسمية ، واما قصر القصبه فكانت له أهمية باعتبارها المركز الرئيسى للدفاع عن المدينة و كان يتولاها قائد الحامية أو صاحب المدينة ويرجع تاريخ انشاء هذا القصر إلى تاريخ انشاء القصبه ، وقد استمر

(١) السيد عبد العزيز سالم : المرحم السابق ص ١٢٦ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : نفس المرحم ، ص ١٢٨ .

ذلك في عهد الولاة التابعين للخلافة الأيوبيه ، في عهد خير ان وزهير العامرين
اما في عهد بنى صراح فقد اسس بالاضافة إلى العصر بن المذكورين قصر منيف
عرف بقصور الصادحية .

وللاسف لم تمدنا المصادر العربية بقدر كاف من الاخبار التفصيليه عن
هذه القصور ، وكل ما وصل إلينا عنها لا يعدو اخبارا قليلة متناثرة هنا
وهناك في بطون المصادر المتناها من خضم الأحداث السياسيه ، وان
كانت اعمال التنقيب التي اجراها بعض المستشرقين الاسبان في منطقة القصبه
وغيرها قد امدتنا ببعض المعلومات التي امكننا بواسطتها تصور ما كانت عليه
هذه القصور .

ولقد حدد اعمال البحث والتنقيب الموضع الذي كانت تقوم عليه قصور
الصادحية بالمرتفع الاوسط من القصبه ، ولكن الهزات الجيولوجية المتعاقبة
تسببت للاسف في تدمير ما اقيم في هذه المنطقة من منشآت مدنيه في العصر
الاسلامي نذكر منها ثلاث هزات 'رضية خطيرة اولها الزلزال الكبير الذي
وقع في سنة ١٤٩٥ م ، وتسبب في هدم جزء من المدينة الوسطى ، وثانيها
زلزال سنة ١٥٢٢ م الذي الحق اضرارا فادحة بمنشآت القصبه ، اما النزر
اليسير من المباني التي قدر لها ان تبقى قائمة بعد هذا الزلزال الاخير فقد طواها
المرتفع المذكور في اعقاب الزلزال الذي حدث عام ١٥٥٠ م (١) . ولم يتبق من
اثار هذه المباني سوى آثار جدران وغرف وحمام وحوض جوفى (٢) .

(١) Luis Seco de Lucera : Los palacios del Taifa almerense

Al-Mutashin en (Cuaderno de la Alhambra) ; III;

1967; p. 17.

(٢) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المربه الاسلاميه - ص ١٢٩

ويبدو قصر القصبه من خلال الآثار الباقية على شكل شبكه من جدران سميكه مبنيه من ملاط شديد الصلابة وغطيت بعض الاجزاء الدنيا من الجدران بطلاء احمر اللون يعيل إلى الصنعة ، كما عثر على جدار آخر تظهر فيه المداميك (صفوف الكتل) الضخمه بخطوط محفورة في كسوته ، ومجموعه أخرى من الجدران مشيدة من الحجر تتوزع بينها ممرات تمتد بين غرف مر بعة مع بقايا درج ، وكان يقوم في نهاية الطرف الشمالى من هذا المرتفع الأوسط بناء أشبه مايكون بشرفه تطل على خندق باب موسى ، ويتألف هذا البناء من طابقين ، ويحتوى على عقود ضخمة في الواجهة احدها على شكل حدوة الفرس ، وتعاق هذه العقود بقاعات طولها ٩ر٦٥ م وعرضها ٢ر٣٢ م ، لعابها كانت مسقوفة في كل من الطابقين ، وقد بقيت في الجزء الامامى قاعه اخرى وصل طابقها الاسفل سليما وهى اشبه ماتكون بسرداب يتقدمه مايشبه الرواق ، وتظهر إلى يمين القسم الادنى من البناء قاعدة باب مع عقدتين على شكل حدوة الفرس احدهما وراء الآخر بتسنيج كامل وافريز ، نظام البناء فيهما يتنظم على اساس كتل حجريه تتعاقب طولاً وعرضاً ، قائمة وممتدة يبلغ ارتفاعها ٥٠ سم ، ٢٠ سم على التوالي (١) .

وقد كشف البحث الاثرى في اطلال القصر عن حمام يتكون من خمس

(١) جوميت مورينو : الفن الاسلامى ، ص ٣١٨ ، بلاط صلب : مزيج من الجير والرمل وقطع الدبش ، والاصلاح بالفرنسية béton وبالاسبانية hormigon (المرجع السابق ص ٤٩٤) ، افريز : الحجارة أو الآجر على مسافات منتظمة داخل افريز زخرفى (نفس المرجع السابق ، ص ٤٩٣) ، تسنيج : من السجج وجمعها سنججات ، والسنجات هى الكتل الحجريه التى يتألف منها العقد المقوس في البناء ، (راجع الحيد محمد العزيز سالم : المساجد والقصور بالاندلس — دار المعارف ١٩٥٨ ، ص ١٨ ، ٣٠) .

غرف تمتد طولا على صف واحد ، ويحتفظ هذا الحمام بقايا قبوات اسطوانيه وعقود من الآجر ^(١) .

قصور الصادحية :

يشير بعض مؤرخي العرب في الاندلس إلى القصور الرائعة التي شيدها المعتصم بن صمادح في المريه عاصمة ملكه يخصص بعض الشعراء قصائد في مدح قصر الصادحية ، إلا أن المصادر العربية واعمال التنقيب الأثرية لم تزودنا للأسف بالبيانات التفصيلية التي تعين على تحديد موضع هذه القصور او تتيح لنا معرفة مجالسها ونظام البناء فيها .

ولقد ورد اسم الصادحية في إحدى القصائد التي وصفت القصر ، كما زودنا العذري بتفاصيل دقيقة عن هذا القصر ، ولانبايغ في القول إذا اعتبرنا العذري الاخبارى الوحيد الذى زودنا بتفاصيل هامه عن هذا القصر ، ويضاعف من قيمة وصفه للصادحية ان العذري من أهل المريه وأنه كان معاصرا للمعتصم ابن صمادح ، وقد اتاح له وجوده فى المريه ان يتعرف شخصيا على العمل المعمارى المحقق فى ظل هذا الملك فوصفه يعتمد على المشاهدة والمعاينه ، وهما مقومان اساسيان للتحقيق التاريخى والحضارى ، يقول العذري فى وصف بساتين الصادحية : « فنها القصر الكبير المتطاع من جوفيه إلى جبل ليهم ، وفى قبله بستان عظيم جدا فيه جميع الثمار وغريها ما لا يقدر واصف على ان يصفه ، مع طول مساحته قرب عرض القصبة ^(٢) » . ثم يتطرق إلى وصف مجلسه العظيم ويليه فى قبلته مجلس عظيم مقرنس ^(٣) ، بالرفوف المزوقة المنقوشة المنزول

(٢) جوميت مورينو : المرجع السابق ، ص ٣١٨ .

(١) ترصيع الاخبار ، ٨٥ .

(٢) راجع ملفاب هنا ص ١٢٣ ١٥ .

فيها الذهب^(١) الطيب مفروش بالرخام الايض وقد ازر بالرخام المنقوش وفي ذلك النقش تاريخ بناءه والذي امر به ، ويليهِ صحن قبله ابواب عليها شراجب^(٢) يطلع منها ان احب إلى جميع مدينة المربه وإلى بحرها واقبال السفن إلى مرساها وخروجها منه إلى العدوهِ وسائر البلاد ، وبني في شرقها دارا للحكم فيه ، متقن جدا^(٣) .

ومنذ عهد قريب قام الاثرى الاسانى دون فرنسيسكو بريو وهورينو بأعمال تنقيب هامة داخل أسوار قصبة المربه لاسيما في المرتفع الثاني الذي كان يشتمل على القصور ومقر القائد اذ عثر على اجزاء من الحوائط امكن ارجاعها الى عصر المعتصم ، وخرج بنتيجة مذهشة وهى ان الرخام المنقوش والمصنح بالذهب اللذين زين الصالات الملكية ، والذي عثر عليه ، بالاضافة الى رواية العذرى ، تكفى لاثبات ان التقاليد المعبارى والزخرفة الخلافية استمرت في بنيان القصور التى شيدها المعتصم^(٤) .

ويأتى المقرئ برواية تلقى بعض الضوء عن بناء الصهادحيه ماخصها ان المعتصم عندما شرع فى تشييد هذا القصر قام عماله بانتزاع ملكية بستان لبعض الأيتام ، ولم يفلح احتجاج الوصى على الايتام على هذا الاجراء ، فاضطر الى الكتابه الى المعتصم نفسه ليفصل بينه وبين هؤلاء العمال ، ولم يسع المعتصم الا ان يأمرهم برد البستان الى أصحابه اليتمى ، ولما حاول هؤلاء العمال اقتداعه بضرورة ادماج أرض هذا البستان الى مسطح القصر لتوفير نوع من التناسق

(١) راجع مافات هناس ١٣٣ هـ ٢٥

(٢) راجع مافات هناس ١٣٣ هـ ٤

(٣) العذرى : المصدر السابق ، ص ٨٥ .

Luis seco de luena : Op. cit., p. 18.

(٤)

على بيان القصر رد عليهم بقوله « والله ان عيبها في عين الخالق اقبح من عيبها في عين المخلوق » (١) ، وقد استطاع وزيره ابن أرقم بعد ذلك شراء هذا البيت بعد أن استلطف الوصي والايام وكافأهم عليه بما اشتبهوا من الثمن ، وضمت الى قصر الصمادحية ، واستقام بها بناءها (٢) .

ومما يجدر ذكره ان مؤرخى العرب لم يزودونا بتفاصيل عن مجالس الصمادحية ولا حتى عن اسمائها فاستثناء مجلسين كبيرين (٣) ، أحدهما مجلس البهو الذى ذكره كل من الفتح بن خاقان وابن الخطيب ونسباه الى خير ان العامرى (٤) ، والمجلس الثانى هو مجلس الحافه ذكره ابن خاقان وأشار الى أنه من بناء المعتصم مع اننا نعرف تماما بأن الصمادحية من بناء المعتصم ابن صمادح ، لم يوضح ما اذا كان من بين مجالس الصمادحية أو قصر آخر ، ويكتفى بأن يشير الى انه ذهب الى مجلس البهو ومجلس الحافه ، فيقول : « فكثيرا ما كان يعمر أندية اللهو ويداولها من مجلس الحافه الى البهو ، كلاهما سرى المنظر نحرى المرمر » (٥) ، ونخلص من هذا النص بأن جدران

(١) المقرئ : فتح الطيب : ٤٠ ، ص ٣٣٨ ، ٣٣٩ : راجع أيضا :

Dozy (R) : Recherches sur L'histoire et la littérature de L'Espagne pendant le moyen age, Vol I, Leyde, 1881; pp. 245 y 246.

(٢) المقرئ : المصدر السابق ، ٤٠ ، ص ٢٣٩ .

(٣) السيد عبد العزيز لم : تاريخ مدينة المربه الاسلامية ، ص ١٣٩ ، ١٤٠ .

(٤) ابن خاقان : ثلاث العقيان ، ص ٤٨ ، ابن الخطيب : مشاهدات لسان الدين ، ص ٤٥ .

(٥) ابن خاقان : المصدر السابق ، ص ٤٨ .

هذين المجلسين كانت تكسوها لوحات من المرمر المجرى اللون .
ويعتقد الاستاذ لويس سيكودى لوثينا ان هذين المجلسين هما نفس المجلسين
الذين ذكرهما العزرى باعتبارهما قسما متمما للقصر الذى شيده المعتصم داخل
نطاق القصبة (١) .

وكانت تخترق حديقة القصر جداول وقنوات تنعطف وتخرج كالحية
الضئاض بين أفنية القصر وبساتينه فتزيدها سحرا وتكسيها جمالا ويعبر ابن
خاقان عن ذلك بقوله « حضر مجلسه بالصمادحية فى يوم غيم ، وفيه اعيان
الوزراء ونهباء الشعراء ، فقعده على موضع يتداخل الماء فيه ، ويتلوى
من نواحيه (٢) .

وقد وصلنا وصف أدبى آخر لقصر الصمادحية لابن الجداد الشاعر ،
ولكن هذا الوصف لسوء الحظ لم يصف جميدا بحيث نستطيع ان نستكمل
صورته المتكاملة (٣) .

Luis seco de lucena, Op. cit., p. 19.

(١)

(٢) ابن خاقان : المدر السابق ، ص ٥٠ ، السيد عبد العزيز سالم تاريخ مدينة المروية
الاسلامية ص ١٤٠ .

(٣) يصف احدى مجالسه فيقول :

رأس بظهر النور الا أنه	سسام ، فقبته بحيث النور
هو جنة الدنيا تبوأ نزلها	ماك تملكه النقى والروح
فكأنها الرحمن عجبا له	ابرى بما قد كان ما سيكون
وكأن بانيه سناء ف	يعدوه تحسين ولا تعهدين
وحزاه فيه تقيض جزائه	شقان ما الاحياء والتحيين

(راجع القرى : نفح الطيب ، ص ٥٠ ص ٢٤٠) .

ويرى الاستاذ لويس سيكودى لوئينا ان الصبادحيه لم تكن داخل سوو القصبه ولا داخل مدينة المربه ، ويعلل ذلك انها كانت حديقه كبيره احتلت ارض فسيحة تخترقها القنوات والجداول التى كان يتغنى بجانبها الشعراء والتى وصفها العنرى كشاهد عيان ، ويضيف بأن أعيان المربه كانوا يمتلكون الضياع الكبيره والمزارع فى وادى بجانه ويستند فى ذلك الى نص العنرى : « وبنى المعتصم بخارج مدينة المربه بستانا وقصورا متقنه البنيان » (١)

وكيفما كان الامر ، فيمكننا ان نخرج من النصوص السابقه بحقيقه هامة هى ، ان قصر الصبادحيه كان يتضمن عددا من القصور او المجالس شأنه فى ذلك مثل قصر الامارة بقرطبه (٢) وقصر الزهراء (٣) وقصر المبارك باشييليه (٤) ، ومن ابرز هذه المجالس المجلسان الكبيران البهو والحانة اللذان تردد ذكرهما فى الروايات العربية .

بقايا دار عربى بريض الحوض : عثر منذ مايقرب من ثلاثين عاما على آثار

Luis seco de luren, (p. cit p ٥);

(١)

وراحه العنرى : ترصيع الاخبار ، ص ٨٥ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : قرطبه حاضرة الملائكة ، ص ١٠٠ ، المساجد والقصور ، ص ٨١ .

(٣) نفس المرجع ، ص ١٨٩ ، المساجد والقصور ، ص ٨١ .

(٤) السيد عبد العزيز سالم : تصور بنى عباد بالريايه الوارد ذكرها فى شعر ابن زيدون بحث فى ألفية ابن زيدون (تحت الطبع) وله ايضا : العمارة الاسلاميه فى الاندلس وتطورها ، (عالم الفكر) المجلد الثامن ، العدد الاول ، ابريل

مايو / يونيو ١٩٧٧ ، الكويت ، ص ١٠١ .

لدار في الريض الغربي من المربه وهو ربض الحوض على مقربه من طريق لاشانكا، وقد ثبت من الاثار المكتشفه انها لدار على جانب كبير من الثراء الزخرفي^(١)، ويتوسطها صحن في جانبه الشمالي تفتح به ثلاث فتحات الوسطى تزيد في الاتساع عن الفتحيتين الاخرين، كانت عقود المندثره تقوم على اعمدة مربعة، ويتوسط الصحن بركة مربعة عمقها ٩٠ سم تصل بجب عمقه ٣م^(٢)، وتبرز في ارضية الصحن بقايا جدران مربعة الشكل محددة الهيئه كانت مخصصة لحوض أو فواره، وتدور بالصحن قاعات طويلة ضيقة، وبرز في أحد جوانب القاعة عدد من الاعمدة المربعة، يعتقد الاستاذ توريس بالباس انها ربما اقيمت لتسند عقد وتحد قبه^(٣)، وارض القاعات بالدار مبنيه بملاط خلط بالزيت ليكتسب فيها يبدو لمعانا وقوه، وزادانت أزر الجدران بالقاعة بأشرطة هندسيه منقوشة دهنت باللونين الاسود والادكن فوق ارضية بيضاء ويزدان احد الازر بتوريقات قد دعت باللون الاصفر^(٤)، وقد استخرجت من ارضيه هذه الدار قطع من الجص بها توريق نموذجي^(٥)،

(١) Torres Balbas (Léopoldo) : Restos de una casa A sbe en (Almeria, (Al - Andalus) , Vol. X, 1945, pp 170 - 172 .

(٢) جوميت مورينو : الفن الاسلامي ، ص ٣٢١ ،

Torres Balbas : OP. cit. , pp. 172 - 174 ,

وله ايضا : الفن المزابي والموحدي : ترجمة الدكتور سيد غازي ، دار

المعارف بمصر ١٩٧١ ، ص ٣١ .

(٣) الفن المزابي والموحدي : ص ٣٢

(٤) توريس بالباس : الفن المزابي والموحدي ، ص ٣٢

(٥) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المربه الاسلامية ، ص ١٥١ .

تشابه بقدر كبير مع توريقات قبـه علي بن يوسف بمراكش ، كما استخرج تاجان صغيران من النـوع الكورنثي اوراقها ملساء من نفس طابع بعض تيجان المسجد الجامع بـلمسان^(١).

هذا وقد ارجع الاستاذ توريس بالباس تاريخ بناء هذه الدار الى عصر الموحدين^(٢) ، ولكن الاستاذ جوميث مورينو يرى انها ترجع الى عصر الطوائف^(٣) ، واخيرا خرج الاستاذ توريس بالباس برأى جديد في تاريخ هذه الدار فأرجعه الى عصر المرابطين^(٤).

وكيفما كان الأمر ، فإن تخطيط هذه الدار قد امدنا بصورة تكاد تكون متكاملة عن نماذج الدور العربية في ذلك العصر الاسلامي .

الاثار الدينية :

المسجد الجامع بالمريه : يصف الرحالة الالماني منتزر المسجد الجامع بالمريه بعد سقوط المدينة في ايدي المالكين الكاثوليكين بخمس سنوات ، وكان قد تحول الى كنيسة ، انه من اجل مساجد مملكة غرناطة وأبـدها ، وكانت مئات الثريات تضيء في بيت صلاته ، وكان مزروشا بلوحات الرخام وبـتوسطه حوض للوضوء ، كما يحدثنا أنه زار خزانة الجامع حيث كان يحفظ زيت الوقود للكؤوس والثريات^(٥) ، كما يذكر منتزر ان جامع المريه كان

(١) السيد عبد العزيز سالم . نفس المربع والمفرد . وانظر له ايضا المغرب الكبير ، ص ٢٠٢ ، ص ٧٥٢ .

(٢) Torres Balbas : Reson de una casa Arabe p. 175.

(٣) جوميث مورينو : الفن الاسلامي ، ص ٢٠٠ .

(٤) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المريه الاسلامية : ص ١٠٠ .

(٥) Munzer : Viaje po Espina y Portug. l, trad esp por Lopez Te o, Madrid, 1951, p. 30-31.

عن السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المريه الاسلامية ، ص ١٥٠ .

مفروشا بأشجار الليمون والتارنج (١) .

وفي الربع الاول من القرن السادس عشر تعرض بنيان الجامع للتدمير والتخريب، عقب زلزال وقع في ٢٢ سبتمبر سنة ١٥٢٢، وقدمهد ذلك لتحويل الجامع الى كنيسة، ففي سنة ١٥٦٠ م تقريباً انشأت الكنيسة الاولى المسماة دى سان خوان، ولم تلبث هي الاخرى ان اصبحت عمارتها باضرار فادحة في بداية القرن السابع عشر، وفي بدايه القرن التاسع عشر الميلادى تحول البناء على التوالى الى سجن ثم مستودع للمدفعيه، ثم حول الى كنيسة من جديد في سنة ١٨٧٨، بعد ان سلم نهائيا الى جماعه الاباء الفرنسيسكان (٢)، فحفظوا بقايا الجامع والكنيسة حتى اليوم (٣) .

وآثار هذا المسجد مازالت تحتفظ بها اليوم كنيسة سان خوان الواقعة قريبا من دار الصناعة (٤)، فلقد اجرى الاستاد تورييس بلباس حفريات اثرية في هذه المنطقة خلال الاعوام ١٩٣٦/٣٤ كشف فيها عن جزء من جامع المرية ورمم المحراب، ولم يتمكن من اصدار نتائج هذه الاعمال حتى سنة ١٩٥٣، ولقد تعرضت اجزاء من كنيسة سان خوان عام ١٩٣٨ للغارات الجوية تسببت في سقوط بعض الزخارف الجصية، وقد اتاح ذلك الفرصة

(١) السيد عبد العزيز سالم، العمارة الاسلامية في الاندلس وتطورها، (عالم الفكر) المجلد الثامن، العدد الاول، ص ٩٣ .

(٢) Ewert (Christian) : El mihrab de la mezquita mayor de Almeria, (Al-Andalus), XXXVI, 1971, pp. 401-402.

(٣) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية، ص ١٥٠ .

(٤) نفس المرجع السابق، ص ١٤٥ .

للتفكير في ملاحظات جديدة (١) .

ويرجع الاستاذ توريس بالباس التاريخ التأسيسي لهذا الجامع الى اواخر القرن العاشر الميلادى ، أى ينسب بناية الى عهد الخليفة الحكم المستنصر (٢) ، بينما يعتقد الاستاذ الدكتور السيد عبد العزيز سالم أنه أقيم في عصر الخليفة عبد الرحمن الناصر إستنادا الى أنه لا يجوز أن تقام مدينة دون أن يؤسس بها مسجد جامع لفترة طويلة من الزمان (٣) .

وأياماً كان تاريخ بنيان الجامع فقد زيد في بيت الصلاة اكثر من مرة خلال القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) ، ويحدثنا العذرى عن مرحلتين متتاليتين للبناء ، إحداهما فى سنة ٤١٠ هـ (١٠١٩ م) فى عهد خيران العامرى ، وذلك عندما أمر بزيادة بيت الصلاة من جهة القبلة ، فيقول : « وزاد (أى خيران) فى قبلة جامع المريه سنه عشر وأربعائة زيادة جميلة اتسع بها جامع المريه » (٤) ، والمرحلة الثانية فى عهد زهير العاميرى الذى وسع الجامع من جهاته الشرقيه والغرييه والشاليه ، وفى ذلك يقول العذرى : « بنى وزاد فى جامع المريه من غرييه وشرقيه وجوفيه بلاطا من كل ناحيه ، وعظم المسجد » (٥) .

(١) Ewe l (Christian) : El mahrab de la , mezquita mayor de Almeria, pp 392-293.

(٢) Torres Balbas (L) ; La mezquita mayor de Almeria, (Al-Andalus) , Vol. XVIII, 1953, p. 429.

(٣) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

(٤) توصيع الاخبار ، ص ٨٣ .

(٥) توصيع الاخبار ، ص ٨٣ .

وتمتق تفاصيل هذه الزيادة المنسوبة الى زهير في روايه العذرى مع روايه
ابن الخطيب التى تشير الى ان الزيادة تمت من ثلاث جهات ، وتؤكد فى نفس
الوقت على ان القبلة لم تتغير من مكانها (١) .
ولقد تمكن العالم الاثرى الاستاذ توريس بلباس من التوصل الى تحديد
احدى الزياتين وذلك خلال الابحاث الاثرية التى اجريت فى المنطقة الجنوبية
من الجامع ، فقد لاحظ سيادته ان اسس الجدران الممتدة نحو جدار القبلة
يامتداد صفوف الاعمدة تميل بعض الشيء عن صفوف الاعمدة القائمة ، كما
لاحظ انها اقيمت من الطائية ، وتشير هذه الصفوف الى ان الامر يتعلق ببناء
يتكون من سبعة بلاطات ، كذلك تمكن توريس بلباس ان يميز بوضوح فى
الجانب الغربى من جهة الاروقة الخمسة بلاطا جانبيا اكثر تطرفا من المعتقد انه
كان يقابله فى الجانب الاخر بلاط مماثل يتجاور فى اتساعه البلاط الاوسط
الذى كان اكثر بلاطات الجامع الاول اتساعا ، كما امكنه العثور فى الزاوية
الجنوبية الغربية من جهة الاروقة الخمسة على اسس البلاط المتطرف الغربى
الذى ينتهى القطاع المدعم لزاوية القبلة ، وكانت الاسس الظاهرية للبلاط
المتطرف تدعم الجدران الخارجية وهناك ظهرت اثار مداخل جانبية للمسجد ،
وهكذا نستدل من روايه العذرى ان اتساع بيت الصلاة تغير مرتين فى مدة
اقل من عشرين سنة ، وليس ذلك بغريب على مدينة اتسم عم رانها منذ
البدايه بالنمو السريع سيما فى اعقاب انهيار الخلافة الاموية بقرطبه (٢) .
وبالاضافة الى كل ماسبق ان ذكرناه عثر الاستاذ توريس بلباس فى

(١) يقول ابن الخطيب : « وزاد فيه الزيات من جهة القبلة الثلاث المروية فى القبلة » .

(٢) اعمال الاعلام ، القسم الخامس ، ص ١٠٧ .

خبرياته على مجموعة من القطع الزخرفية المفرغة في الجص تبرز في تكويناتها الزخرفية الورقة المصبغة ، وهو أسلوب زخرفي من الأساليب الشائعة في القرن الخامس الهجري أو النصف الأول من القرن السادس الهجري (١) ، في حين يرجع الاستاذ جوميت مورينو الى الفترة الزمنية التي سبقت الغزو المرابطي مباشرة (٢) ويرى الاستاذ كريستال ايوارت ان هذه المرحلة الزخرفية التي تسود لاول وهلة غير متفقه مع أى جزء من الاجزاء النباتية التي كشف عنها البحث الاثرى ترجع الى ايام المعتصم محمد بن صمادح آخر ملوك الطوائف في المرية من ٤٤٣ - ٤٨٤ هـ ، (١٠٥١ - ١٠٩١ م) ، وهو الذي شيد قصر اعظيما بالصمادحية وأجرى المياه الى المسجد الجامع (٣)

الاجزاء الباقية من الجامع : يشغل اسطوان المحراب بالمسجد الجامع بالمرية وهو محراب يميل بزاوية قدرها ١٥ درجة نحو الشرق بمعنى ان محرابه مشرق شريفا خفيفا (٤) اربع اساطين من خرائب الكنيسة التي تتكأ دعائمها الضخمة من القرن السابع عشر على البناء الاسلامي ، ويمكننا ان نشاهد اليوم بوضوح جزءا من الجدار الخارجى الشرقى لبيت الصلاة حتى ارتفاع ٤٠ ر ٥ سم فوق مستوى ارضية المحراب وذلك داخل نطاق الاسطوان

(١) Terras Balbas : Op. cit., pp. 420-422.

(٢) جوميت مورينو ، الفن الاسلامي ، ص ٣١٩ .

(٣) Fwert (Christian) : Op. cit., p. 400.

(٤) كذلك كانت القبلة مشرفة في كل من جامعى القبة وادب قرطبة الاول ،

(راجع ، احمد فكرى : المسجد الجامع بالقبة وادب ، مطبعة المعارف ، مصر ،

١٩٣٦ ، ص ١٠٤ ، السيد هبذ العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة ، ص ١٠ ،

ص ٣٦١) .

المتطرف من الكنيسة المذكورة^(١).

وقد تمكن الاستاذ توريس بالباس من التعرف على نتجه باب على كل من جانبي المحراب في جدار القبلة الذي مازال يحتفظ بصورته اليوم^(٢). كان يفتح على بعد ٩٠ ر ٢ سم من طرة المحراب الغربى باب سعتة ١٠٥ سم ، لم يتبق منه اليوم سوى النطاق العلوى لفتحة القديمة ، اما الطرف الادنى من عتب الباب الحشبي فيوجد على ارتفاع ٣٩١٥ سم فوق ارضية المحراب الحالية ، ولانشك في أنه فى العصر الذى كان يستخدم فيه البناء كاندرائيه كان الباب المذكور يفتح نحو الشرق ، ثم اقيم فى فتحة عتب حجيرى قطاعه قوطى متأخر ، والفتحة العليا تشير إلى ان الفتحة الاصلية كانت تؤدي مهمتها كمخزن للمبهر المتحرك الذى كان طرازه يماثل الطراز المعمارى الموجود فى جامع قرطبه^(٣). وإلى الجهة الشرقية من المحراب كان يفتح باب آخر اتساعه ١٣٤ مترا اغلق فى القرن السابع عشر^(٤).

أما عن مثذنة الجامع فلم تكشف الابحاث الاثرية بعد عن أساسها ، ويعتقد الدكتور السيد عبد العزيز سالم أنها كانت تقوم فى جوف الجامع فى منتصف المجنبه الشمالية التى أقامها زهير العامرى عند زيادته للجامع من جهاته الثلاث^(٥).

Ewert, Op. cit., p. 403.

(١)

Torres Balbas, Op. cit., pp. 418-420,

(٢)

Ewert : Op. cit , p. 404.

(٣)

Ibid., p. 404;

(٤)

Torres Balbas ; Op. cit., p. 420,

وراجع ايضا ؛

(٥) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ص ١٤٩ .

المساجد الاخرى بالمريه : لم يصلنا من اسماء هذه المساجد غير ثلاث ذكرت في كتب التراجم هي : مسجد اليبليس ، وصاحبه عبد الرحمن بن أبي رجا البلوى ، ويقع في ربض الخوض (١) ، ومسجد حيوته (٢) ، ومسجد ظرفة (٣) .

المقابر : تشير المصادر العربية إلى وجود مقبرتين كبيرتين خارج أسوار ربض المريه بالقرب من الطرق المؤدية إلى الابواب الرئيسية للمدينة، الاولى مقبرة باب بجانه من ظاهر المريه (٤) ، والثانية مقبرة الربض أو الخوض بالمريه (٥) .

فأما المقبرة الاولى ، وهي مقبرة باب بجانه ، فكانت تقع خارج باب بجانه أحد أبواب الربض الشرقي المعروف بالمصلى ، وقد أقيمت هذه المقبرة

(١) ابن الابار : التكملة ، ص ٦٣ ، سالم ، المرجع السابق ، ص ١٤٤ .

(٢) ابن الابار : التكملة ، ص ١٠٧ ، سالم : المرجع السابق ، ص ١٤٤ .

(٣) ابن بشكوال : الصلة ، ص ١٠٣ ، سالم المرجع السابق ، ص ١٤٥ .

(٤) ابن بشكوال (ابي القاسم خلف بن عبد الملك) : كتاب الصلة ، ص ٢٠ ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦ ، ص ٤٢٧ ، راجع ايضا ، ابن الابار : التكملة لكتاب الصلة ، ج ١ ، ص ٨٤ ، المعجم في اصحاب القاضي الامام ابي علي الصديقي ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص ١٤٢ ، ابن الخطيب : الاحاطة ، ج ١ ، ص ٢٠٩ ، السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٢٩ .

(٥) ابن بشكوال : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٦٦ ، ص ٢ ، ص ٣٤٤ ، ابن الفرضي : تاريخ علماء الاندلس ، ص ١٩٢ ، ابن الابار : التكملة ، ص ١٤١ ، السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٢٩ .

فى عهد خيران العامرى بعد قيام هذا الربض ، وتعتبر مقبرة باب بجانه
المقبرة الرئيسية بالمرية ، وفيها دفن عدد كبير من اعيان المدينة (١)
وأما المقبرة الثانية ، فهى مقبرة الربض أو الحوض وتقع فى السهل
المتد ما بين السور القبلى لربض الحوض والساحل ، وهذه المنطقة تعرف
اليوم باسم llano del cordonero (سهل الحبال) ، ولقد عثر فيها على
شواهد كثيرة تحمل كلها كتابات عربية تتعاقب مسلمين دفنوا بها ، ويحتفظ
بالمتحف الاهلى للآثار بمديرى باحد هذه الشواهد ، نقشت عليه كتابة
بالخط الكوفى نصها :

« بسم الله .. تصليه .. يأبها الناس ان وعد الله حق فلا تفرنكم الحياة
الدنيا ولا يفرنكم بالله الغرور هذا قبر اسماعيل .. » (٢) .
ومن كبار الشخصيات التى قنت فى هذه المقبرة الكاتب ابو العباس
أحمد بن عمر بن أنس العذرى المعروف بابن الدلائى (ت ٤٧٨ هـ /
١٠٨٥ م) (٣) .

(١) ابن بشكوال : المصدر السابق ٤٢٢ ص ٤٢٧ ص ٤٥٨ ابن الابار :
المعجم ص ١٤٢ السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ص ١٢٩ ص ١٣٠ .
(٢) Levi-provençal E : Inscription Arabes D'Espagne, f. I, (٢)
Leyde, paris - Mc MXXXI, 1931, p, 130.
(٣) ابن بشكوال : الصلاة ص ١٦٦ — ١٦٧ (قرجه ١٤١١) السيد عبيد
العزيز سالم : المرجع السابق ص ١٣١ .

الفصل الثاني

الحياة الاقتصادية

أولاً : الزراعة والحاصلات الزراعية للاقليم

كان لطبيعة سطح المربة الصخرى بجليها (١) ، وطبيعة مناخها الذي يتميز بالجفاف وشدة الحرارة مع ندرة الامطار التي قلما تسقط عليها (٢) ، أثر كبير في قلة انتاجها الزراعى (٣) .

وعلى الرغم من جفاف المربه وقلة خيراتها ، فقد كان بظاھرھا مواضع كثيرة اختصت بمميزات طبيعية ومناخية أتاحت لها امكانية الزراعة ، ومن ثم كانت بمثابة مزارع خاصة تميز منها المربة بما يلزمها من انتاج زراعى .

ومن بين هذه المواضع وادى المربه الغنى بغروسه ومزروعاته وفيه يقول الادريسي : « وكان بها (أى المربه) من فواكه واديبها الشيء الكثير الرخيص ، وهذا الوادى المنسوب إلى بجانه بينه وبين المربه اربع اميال وحوله جنات وبساتين وارحاء وجميع نعمها وفواكهها تجلب إلى المربه » (٤) ،

(١) الحميرى : الروض المطار ص ١٨٤ .

(٢) ابن الخطيب : مشاهدات لسان الدين ص ٨٣ .

(٣) ولعل ذلك كان سببا في ان بعض الشعراء كان يتندر بذلك في قوله :

قالوا المربه صنها فقلت نط وشيح

وقيل فيها معاش فقلت ان هبت ريح

(الحميرى : الروض المطار ص ١٨٣) .

(٤) الادريسي : صفة المغرب واراض السودان ومصر والاندلس ، ص ١٩٧ .

ويصف الشقندي وادي المريه بقوله : « واديه المعروف بوادي بجانه من أفرج الاودية ، ضنتاه بالرياض كالعدارين حول الثغر » (١) . ووصف المقرئ هذا الوادي ننلا عن أبي جعفر بن خاتمه فيقول : « وادي المريه طوله أربعون ميلا في مثلها كلها بساتين بهجه وجنتات نضره وانهار مطرده ، وطيور مغرده » (٢) .

ويزودنا ابن الخطيب في القرن الثامن الهجري بوصف رائع لوادي المريه في إحدى مشاهداته فيقول : « واستقبلنا وادي بجانه وما ادراك ماهو ، النهر السيل والغض المياد والافياء والظلال ، المسك ماقت في جنباته ، والسندس ماحاكته يد جنتاته ، نعمه واسعه ومساجده جامع ، ازرت بالغوطتين زياتينه واعنابه ، وسخرت بوان شعائبه ، بحيث لا تبدو للشمس آيات ، ولاتأني للحرباء حيات ، والريح تلوى اعطاف غصون البان ارداف الكتبان ، وتجاذب عرايس الخمائل » (٣) .

وإلى جانب حاصلات وادي المريه ، كانت برجه ودلايه (من أعمال المريه) ايضا تزودان المريه بمحاجتها الزراعية ، ويصف المقرئ برجه بقوله : « ومدينة برجه وهي على واد مبهج يعرف بوادي عذراء ، وهو محقق بالازهار والاشجار ، وتسمى برجه بهجه لبهجه منظرها » (٤) . وكان من

(١) المقرئ : فتح الطيب ، ٤ ، ص ٢٠٦ .

(٢) فتح الطيب ، ١ ، ص ١٥٤ ، انظر ايضا ، شكيب ارسلان : الحلل السندسية في الاخبار والاثار الاندلسية ، الطبعة الاولى ، مطبعة الرحمانية ، ١٣٥٥ هـ ، ١٩٣٦ م ، ص ٢٠٣ .

(٣) ابن الخطيب : مشاهدات لسان الدين ، ص ٤٧ .

(٤) المقرئ : فتح الطيب ، ١ ، ص ١٤٣ ، ١٤٤ ، وفي برجه يقول ابوالفضل —

انتاجها الزراعى القواكة الكثيرة (١) .

أما دلالة ، فلقد اشتهرت بعود الالنجوج الذى « لا يفوقه العود الهندى ذكاء وعطر رائحه ، وقد سيق منه إلى خيران الصقلي صاحب المريه ، وان اصل منبته كان بين احجار هنالك » (٢) .

وبالإضافة إلى المواضع السابقه كان يكثر التوت (٣) بمحصى شنش . على مرحلة من المريه ، ويعرف واديه بواى طيرنش (٤) ، وكان هذا الوادى

= بن شرف القيروانى :

رباش تمشمها سندس توشتمها ماعظمها بالزهر
مدامها فوق خدى ربا لها نظرة قتنت من نظر
وكل مسكان بها جنسة وكل طريق اليها سقر
وفيها أيضا قوله :

حط الرحال بركة وارند لنفسك بهرجه
في قلعة كسلاح ودوحة مثل الجبه
فحصنها لك امن وروضها لك فرجه
كل البلاد سواها كعمرة وهى حجة

(المقرئ : المصدر السابق ، ١٠ ، ص ١٤٢) .

(١) ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب ، ٢٠ ، ص ٢٢٨ .

(٢) المقرئ : المصدر السابق ، ١٠ ، ص ١٣٧ ، وعود الالنجوج عود يتبخر به ،
(نفس المصدر والجزء والصفحة ، ٣٥) .

(٣) ابن سعيد : المصدر السابق ، ٢٠ ، ص ٢٢٥ .

(٤) المقرئ : المصدر السابق ، ١٠ ، ص ١٥٥ .

مشهورا بزيتونه ، وفيه كان يعصر ويستخرج الزيت (١) .
كما اشتهرت ايضا مدينة اندرش - من أعمال المريه - بزراعة الكتان (٢) ،
وكان يزرع في قرية شلوين - التي تلي المريه - من جهة المغرب - قصب السكر
والموز والقسطل (٣) ، وغيرها من المحاصيل .
ومن كل ما تقدم يتبين لنا ان مدينة المريه كانت تعيش على خيرات ماحولها
من مدن وقرى .
وإلى جانب ما كان يغله وادى المريه والقرى التابعة لها من المحاصيل
المختلفة ، كانت تضم منيات ومنتزهات وبساتين كثيرة بلوذها الناس في أوقات
القيظ حيث ينعمون بالهدوء والراحة بعيدا عن متاعب المدينة ، فلقد كان
للعرب سواء في الشرق أو في الغرب فلسفة خاصة في بساتينهم ، هي التي اعطت
للك البساتين طابعا مميز (٤) .

(١) ابن الخطيب : مشاهدات لسان الدين ، ص ٨٤ .

(٢) وفيها يقول ابو الحجاج بن عتبة الاشيلي الطبيب الاديب الشاعر :
لقد اندرش ، لقد حازت على حسن تتيه به على البلدان
النهر منساب سرت خلجانته في الارض بين ازاهر الكتان
فكانها انساب هناك اراقم قد عدل راجعة من الشبان

(راجع الحميري : الروض المعطار ، ص ٣١ ، ٣٢ ، وانظر ايضا ، القرى :
نقع الطيب ، ص ١٠٦) .

(٣) ابن فضل الله العمري : وصف افريقية ، ص ٤٦ ، وأيضا هـ ١ نقس المصدر ،
الحميري : المصدر السابق ، ص ١١١ .

(٤) جيمس ديكي : ملاحظات عن فلاحه البستان العربي في الاندلس « تقرير عن
نشاط معهد الدراسات الاسلامية في مدريد خلال شهر ديسمبر سنة ١٩٦٦ » ، ص ١٣ .

هذا ولقد كان البستان العربي يحاط بسور عال ، ويزرع خضرة تغطي جدرانها ويجعل في البستان اشباه الغرف والاسوار كلها من النبات الاخضر ، ذلك لسكى لا يقع بصر الناس إلا على الخضرة والزهور فتأنس انفسهم ، بل لقد بلغ من ايمان العرب بهدوء البساتين وانعزالها عما حولهم ، انهم كانوا يسمون القبر بالروضة لأنه يمانلها في الوحدة ، بل لقد ارتبط تخطيط البستان بفكرة دينية ، فالى جانب كونها مكانا للاعتزال والتأمل والاستمتاع بالحياة ، نظر اليها على انها قطعة من الآخرة أى الفردوس ، فقد أنشأوها على هيئة دائرة في وسطها بركة ، وترمز الدائرة إلى الارض وإلى قبة السماء ، كما ترمز البركة التي في وسطها بمائها إلى اللانهاية (١) .

وكان الطريق المؤدى إلى مدخل البستان يزرع بأشجار السنديان العالية كما كان التخطيط الداخلى للبستان يشمل نخائل وأبواب وممرات اكتست جميعها بالخضرة ، ومن نبات الريحان ذى الرائحة العطرة القوية ، كما كانت تزرع احواض الزهر بين النخائل في مساحات صغيرة ، وأن دل ذلك على شيء فانما يدل على مدى علم الاندلسيين ومعرفتهم الدقيقة بأنواع مختلفة ومتعددة من الزهور ، فلقد اهتم مسلمو الاندلس بالزهور واحبوها لا سيما الورود ، اما بقية الزهور التي كانت لديهم فكان منها الآس ، والافندوان والياسمين الابيض والتركياق وهو الياصمين الاصفر والبنفسج ، والخيري او التمام وكذلك السوسن كما عرفوا زهور الاشجار مثل نور الكتاب ونور اللوز ونور الرمان وكلها زهور جميلة تتجلى فتنتها على اشجارها (٢) .

ومن أمثلة هذه المنيات والمتنزهات والبساتين برجه ودلايه التي كان

(١) حيمس ديكى: المرجع السابق ، ص ١٣ .

(٢) نفس المرجع ، ص ١٤ .

يقصدها المعتصم بن صبادح ويقيم فيها بعض الوقت ، يتمتع بمناظر الحضرة الرائعة فيها وانسياب المياه خلالها ، وينعم بالهدوء السائد فيها ، ويعبر عن هذا ابن خافان قائلا : « وما منظران لم يجل في مثلها ناظر ، ولم تدع حسنهما الحدود النواضر ، غصونه تشنئها الرياح ومياه لها انسياح ، وحدائق تهدي الأرج والصرف ، ومنازل تبهج النفس ، وتمتع الطرف فأقام فيها أياما يتدرج في مسارحها ، ويتصرف في منازلها ومساحها ، وكانت نزهة أربت على نزهة هشام بدير الرصافة ، وأنافت عليها اي أنافة (١) .

ويمدنا العذري بوصف رائع لبستان الصبادحية فيقول : « ونبي (اي المعتصم) بخارج مدينة المريه بستانا وقصورا متقنة البنيان غريبة الصناعة وجلب إليها من جميع الثمار الغريبة وغيرها ، ففيها من كل شيء غريب مثل الموز الكثير وقصب السكر وأنواع سائر الثمرات مما لا يقدر علي صنعه ، وفي وسطه بحيرة عظيمة عليها مجالس مننتحه مفروشة بالرخام الأبيض ، ويسمى ذلك البستان بالصبادحية وهـ وقريب من المدينة جدا وقد اتصل به بساتين كثيرة تقرب من صنتها ، فيها متنزهات لا يعلم مثلها في جميع المتنزهات (٢) » .

وإلى جانب هذه المنيات والمتنزهات ، كان هناك متنزهات أخرى حول المريه منها دوح البان ، وهى موضع به بانه غناء ووضه غناء (٣) ، ومنها

(١) المتح بن خافان : ثلاثه العقيان ، ص ٢ . المقدم : بي : بين الغليب ، ص ٢٤

ص ١٨٧ .

(٢) العذري : ترصيه الاخبار ، ص ٨٥

(٣) وفي هذه البقه يقول ابن الحداد

وان تسعدا من أسلم الصبر عليه
بعرس بدوح البان من درهاتها =

وادي لبينى^(١) ، ومنها موضعان يعرفان بالأربطى والدويحسات^(٢) ،
ومن متفرجاتها منى عبدوس ومنى غسان والنجاد وبركة الصفر وعين
النطية^(٣) .

وكان يطيب للمعتصم أن يقضى بعض الوقت فى هذه البساتين بين الخضرة
والماء فى الأيام الشديدة الحرارة ، ذلك ليتلطف بنسيم هوائها ، ويذكر المقرئ
ان المعتصم خرج يوما إلى بعض متنزهاته ، « فحل بروضة قد سفرت عن
وجهها البهيج ، وتنفست عن مسكها الازهيج ، وماست معاطف أغصانها ،
وتكلمات بلؤلؤة الطل أجياد قضبانها^(٤) » .

كذلك كان أعيان المريه يمتلكون البساتين والمتنزهات فى وادي بجانه
وكانوا يقصدونها للنزهة ، وطلب الراحة والهدوء بعيدا عن ضوضاء المدينة^(٥) .

= فبناها الغنياء مألف بانه جنيت الغرام البرح من ثمراتها
وروضتها الغناء مسرح روضة تبختر فى الموشى من حيراتها
(انظر ابن بسام : الذخيرة ٢ ق ١ م ٢٤ ص ٢٢١) .

(١) ابن بسام : الذخيرة ٢ ق ١ م ٢٤ ص ٢١٨ ، وفيه يقول ابن الحداد ايضا :
رويدا فذا وادي لبينى وانه لورد لبناتى وانى لظامى
(فى ابن بسام : المصدر السابق والصفحة ٢) ويرى الاستاذ الدكتور السيد هبد
العزيز سالم ان لبينى اعلم جدول متفرع من وادي بجانه ٢ (تاريخ مدينة المرية
الاسلامية ص ١٣٤) .

(٢) ابن بسام : المصدر السابق ٢ ص ٢١٣ .

(٣) ابن سميذ : الغرب فى حلى المغرب ١ ص ٢٤٠ .

(٤) المقرئ : نفح الطيب ٢ ص ٣٠٤ .

Luis Seco de Lucena : Op. cit., p. 20,

(٥)

ويذكر المقرئ ان الوزير أبا جعفر احمد بن عباس، وزهير الصمقلي كان لكل منهما برج بنواحي المريه ايجلو فيه لنفسه . (١)

ومما لاشك فيه ان هذه المنيات والبساتين كانت تتيح لبعض أعيان المريه المتعة والانس ، وكثيرا ما كانوا يعقدون فيها مجالس الشراب والطرب ، فيقضمون ساعات انشاء الليل يستروحون نسمات البساتين بين الادواح العطرة والازهار العبقه ينتشرون سماعا لأصوات المغنيات في كؤوس النسيج . (٢) •

ثانيا : الفنون الصناعية

على الرغم من التفتت السياسى الذى طرأ على الاندلس فى عصر ملوك الطوائف بسبب انهيار السلطة المركزية وانتزاع المنتزعين فى كل انحاء البلاد ، فان الاندلس لم تشهد تألقا حضاريا كما شهدت فى هذا العصر الذى يموج بالفتن ، وقد أجمع مؤرخو الاندلس على ان هذا العصر يعتبر حضاريا

(١) القرى : فتح الطيب
على حداره :

خلوت بالدرج فما الذى
تصفه فيه يا -خفيف الزمان
فلما شاهد الوزير أبا جعفر بن هاشم هذه الكتابة أمر أن يكتب تهنيئا :
أصنع فيه كل ما أشتئى
وحاشى خارجه فى هوان
(انقري : نفس المصدر والجزء والصفحة) .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ٢٠٠٧ دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٢ ص ١٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ وله ايضا : مدور من المجتمع الاندلسي في عصر الخلافة الاموية وعصر دويلات الطوائف من خلال النقوش المحفورة في حلب العاج ص ٣٠

من أزهى عصور الاندلس ، فقد كان كل ملك من ملوك الطوائف يبذل قصارى جهده لاحاطة نفسه بهالة من الأبهة والفخامة تشبها بما كان يفعله خلفاء قرطبه ، فقتلوا باللقاب الخلافة ، واتخذوا الوزراء والكتاب ، واقتنوا المغنيين والمغنيات واجتذبوا الادباء والشعراء بالأموال والعطايا ، واتخذوا من قرطبه حاضرة الخلافة الاموية بالاندلس انموذجا يحتذوه في حواضرهم حتى لقد تعددت أشباه قرطبه في نواحي الاندلس .

ومن الجدير بالذكر أنه ترتب على ذلك ان تقدمت الفنون والصناعات تقدما مالم تشهده البلاد من قبل وأخذت كل حاضره تنافس غيرها في مضمار التقدم الفنى ، ودخل الملوك اطرافا في هذا التنافس بالاموال والهدايا ، وهكذا شمل التقدم كل مناحى الحياة أدبيه وماديه ، ونالت المريه زمن الطوائف نصيبا كبيرا من هذا التقدم الحضارى بفضل تشجيع ملوكها ، فتقدمت فيها الصناعات ، وحظيت بعض هذه الحرف قدرا كبيرا من الرقى كصناعة النسيج والرخام وغيرها تجاوزت شهرتها الآفاق في الشرق وفي الغرب .

صناعة النسيج :

تعتبر صناعة المنسوجات الحريرية في المريه اكثر متجانتها الصناعيه شهرة في العالم الوسيط ، وقد انتقلت اليها هذه الصناعة من بجانه ، التى كانت أعظم مراكز هذه الصناعة في القرنين الثالث والرابع الهجرى ، اذ كان دور الطرز بها تضم عددا كبيرا من الأنوال المتخصصة فى نسيج الحرير (١) ، هذا الى كثير من الصناعات المهمة ، لا أن تمصير المريه واتساع العمران بها جاء على حساب عمران بجانه ، والناس سراع الى الجديد ، فلم تلبث المريه أن اجتذبت معظم سكان بجانه وانتجوها من كل أوب وترتب على هذا ان انحسر

عمران بجانه وتأخرت صناعاتها بعد أن انتقل المدربون أهلها في هذه الفنون الى المريه فيما يقرب من سنة اثنين وأربعائة (١) .

وبهذه المسببه يجد بنا أن نشير الى طريقة انتشار صناعة الحرير التي اختصت بها الصين منذ أقدم العصور أو - كما تقول الاسطوره الصينيه - منذ خمسة وعشرين قرنا قبل الميلاد ، وتسوق لنا هذه الاسطورة قصة مؤداها أن أميرة صينيه تدعى (سى لى تشى) استلفت نظرها ذات يوم ديدان صغيره كانت تعيش على أوراق شجرة التوت فراقبتها ولاحظت سلوكها ، وخرجت من هذه الملاحظه الى طريقة تربية هذه الديدان والى طريقة استخراج الخيوط من شرائقها ، وقد كوفئت هذه الأميرة بأن رفعوها الى مصاف الآلهة ، وكيفما كان الامر ، فقد حافظ الصينيون على سر انتاج الحرير بعد أن اتقنوا طريقة استخراجها ، وكنمو اسرار اكتشافه ، لكن نشاء الظروف أن تزوجت أميره صينيه من حاكم احدى المدن الايرانيه ، وعند انتقالها الى مقرزوجها خبأت في ثيابا شعرها بويضات دودة القز ، وفي ايران فقست هذه البويضات وتوالدت وانتشرت ، وهكذا انتشرت صناعة الحرير من الصين في بلاد الفرس ومن فارس انتقلت سريعا إلى ييزنطه ، وبذلك لم يعد انتاج الحرير ونسجه سرا (٢) ، ثم انتقلت هذه الصناعة الى اسبانيا عن طريق جماعات من اللاجئين الاغريق ونمت وتقدمت تقدما كبيرا في العصر

(١) المدري : تصحيح الاخبار ، ص ٨٢ .

(٢) مرزوق : الفن الاسلامي ، ص ١٢٤ ، وهناك رواية أخرى تشير الى أن راهبين يونانيين تمسكنا من اخفاء بضع شرائق من دودة القز في عكاظيها عند خروجها من البيض وذلك في عهد جستنيان ثم نشرها سر صناعة الحرير الصيني في ييزنطه .

الاسلامى (١) ، واعتقد أن العلاقات الوثيقة بين ييزنطة وقرطبة كان لها أعظم الأثر في رواج هذه الصناعة وغيرها من الصناعات (٢) في الاندلس . هذا ولقد حظيت صناعة الحرير في الاندلس بمكانة كبيرة وخاصة في قرطبة ، التي شغلت المركز الاول في هذا المجال بالإضافة الى صنائه الديباج والموشى ، وكانت تعتقد في صناعته على مدينة جيان التي توفرت في قرطبة كل مقومات هذه الصناعة استنادا الى الادريسي في قوله : « ولها (أى جيان) زائد على ثلاثة آلاف قرية كلها يربى بها دود الحرير (٣) » .

وفي أوائل القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) أخذت المرية تتبوأ شيئا فشيئا المركز الرئيسى لهذه الصناعة ، ولم تلبث أن حلت محل قرطبة ويشير ياقوت الى ذلك بقوله : « يعمل بها الموشى والديباج فيجاد عمله ، وكانت أولا تعمل بقرطبة ثم غلبت عليها المرية ، فلم يشق في الاندلس من يجيد عمل الديباج أجادة اهل المرية (٤) » .

نخلص مما تقدم بأن قرطبة كانت تحتل مركز الصدارة في صناعة الحرير والموشى في الاندلس ، وهى صناعة كانت تشتهر بها بجانه كذلك ، ولكن منذ أوائل القرن الخامس الهجرى ، احتلت المرية مكان بجانه في هذه الصناعة وورثت ايضا قرطبة في صناعة الموشى والديباج .

Heyd (W) : Histoire du commerce du levant du Moyen - (١)

Age t. II, Leipzig, 1896, p. 694 .

(٢) صناعة الفصوص (الفصيفساء) وصناعة النسيج المعروف باسقاطون وصناعة الاحواض الرخامية المنقوشة بالصور الحيوانية ، وصناعة علب الحاج .

(٣) الادريسي : صفة المغرب ، ص ٢٠٩ .

(٤) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الخامس ، ص ١١٩ .

وعن حذق وتفوق أهل المربيه في هذه الصناعات يقول الرازي : « المربيه مفتاح الرزق والكسب ، وموطن الحذاق من أصحاب الصناعات ، وفيها يجمع الحلل الموشيه النفيسه ^(١) » .

وأما عن طرز التحرير أو الأنوال وأنواع المنسوجات الحريره بالمربيه ، فيشير الادريسي الى أنها بلغت فيها خلال الربع الاخير من القرن الخامس الهجري ثمانمائة نول ، وشملت أنواع المنسوجات الحريره ، - الحلل والدياج ، والسقلاطون والاصبهاني والجرجاني ، والسطور والمكمله ، والشياب المعينه والخمر والعتابي والمعاجر ^(٢) ، وبجانب هذه الانواع يضيف ابن غالب

Levi-provençal (E : la description de L'Espagne d'Ahmed (١)
al - Razi , (al - Andalus) , 1953 , p. 67 ;

السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ مدينه المربيه الاسلاميه ، ص ١٥٦ ،

ABD Al - Karim , Gamal) : Referencias economicas de la
Españā musulmana en la obra de Yaquṭ Al-Hamawī «Muyam
Al - Buldam » (Homenaje al profesor Carriazo) , T. III.
Sevilla 1973 p. 127.

٢) الادريسي : صفة المغرب ، ص ١٩٧ ، راجع ايضا ، الحميري : الروض المعطار ص
١٨٤ ، المقرئ ، فتح الطيب ص ١ ص ١٥٤ ، ويلاحظ أنه اورد لنا اعدادا مختلفة
مبالغ فيها من الانوال لنسج كل صنف من اصناف الحرير ، وأن كذا نرجح
مجاهة في نص الادريسي ، فيقول المقرئ : « كان بالمربيه لنسج الحرير ثمانمائة نول
وللحلل النفيسه والدياج الفاخر ألف نول والسقلاطون كذلك والشياب الجرجانيه
كذلك والاصبهاني مثل ذلك والعتابي والمعاجر المدهشة والسطور المكمله » (نرجح
الطيب ص ١ ص ١٥٤) ، ويرى الاساتذة انهم كتبو السجده عبد العزيز سالم أن في هذه =

الاندلسي بأنه « كان يعمل فيها من الوشى والسقلاطون والبغدادى وسائر
أجناس الديباج . . وكان يعمل فيها الحلل الرفيعة القدر
الكثيرة الاثمان (١) » .

وأما صناعة الديباج والحل الموشيه فقد بلغت مكانه رفيعة ، اذ قال ابن
سعيد نقلا عن ابن فرج « حدث فيها من صناعة الوشى والديباج على اختلاف
أنواعه ومن صناعة الخز وجميع ما يعمل من الحرير ، ما لم يصير مثله في
المشرق ولا في بلاد النصارى (٢) » . وعن الحرير الموشى بالذهب قال :
« ويصنع فيها (اى المريه) ثياب الحرير الموشاه بالذهب ذات الصنائع
الغريبة (٣) » ، والى شهرتها فى صناعة الديباج يقول المقرئ : « وبها من
صناعة الديباج ما تفوق به على سائر البلاد (٤) » .

= الاعداد مبالغة كبيرة وعلى هذا الاساس يعتقد أن المقرئ نقل هذا النص محرفا
عن أحد المؤرخين (تاريخ المريه الاسلاميه ، ص ١٥٧ هـ) .

(١) قطعة من كتاب فرحة الانفس ، تحقيق لطفي عبد البديع ، ص ٢٨٢ ، ٢٨٤

(٢) ابن سعيد ، المغرب ، ص ٢٨٢ ، ١٩٣ .

(٣) ابن سعيد « أبو الحسن على بن موسى المغربي » كتاب الجغرافيسا ، الطبعة
الأولى ، تحقيق اسماعيل العربى ، منشورات المكتب التجارى للطباعة والنشر
والتوزيع ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ١٤٠ ، وأنظر أيضا المقرئ : تفتح الطيب ،
ص ١٨٧ ، وقال نقلا عن ابن سعيد « والى مصنوعات الاندلس ينتهى
التفصيل . . فقد اقتصت المريه بالوشى المذهب يتعجب من حسن صنعة أهل المشرق
اذا رأوا منه شيئا واهم انواع الوشى النوع الذى يقال له الوشى المشامى الذى
يقرب به المثل الى الرقة » .

(٤) المقرئ : المصدر السابق ، ص ١٥٣ .

أما السقلاطون^(١) أو الاسقلاطون^(٢) ، التي اشتهرت بصناعته المربية ، فهو نسيج رفيع الملمس سميك النسيج (١) من الحرير والذهب وكان معروفا في بلاد اليونان ثم انتقل في نسبة الى بلاد المغرب ، وحذقة صناعتهم ، وكان يطلق هنا الاسم في كل اوروبا على نسيج من الحرير مطرز بالذهب ، تخصصت بغداد في صناعته (٤) ، وكان يعوف في بغداد باسم السقلاطون البغدادي^(٥) . ويرجع الدكتور السيد عبد العزيز سالم ان هذا الاسم طبق على هذا النوع من النسيج بسبب رسمه الذي اثر التي تحاكيها المنسوجات البيزنطية والساسانية والعربية ، ولعل هذا يرجع عرف أيضا باسم الختم المرفوم بالذهب^(٦) .

(١) بلاد بيسي : صفة المغرب ، ص ١٩٧ . راجع أيضا الخيام ، الروم ، ص ١٨٤ ، وأصل الكلمة دون كسرة ط وسقلاطون لمدور بلاد الروم تنسب اليها هذه الثياب ، الثعالب الطائف الاشهرات ، ص ٢٠٤ . م ٢٣٥) وقد عرفها دوزو بأنها ضرب من نسيج الحرير ، وحش بالذهب ، فنداء هذا عتقه وعرفته أوروبا في العصور الوسطى Cicalat بالأسبانية Ciclaton وبالفرنسية والانجليزية Siglaton وباللغة الملتكية Cinglaton راجع :

Eozy (R) : Supplement, t. I, p. 664 b.

(٢) المقرئ : فتح الطيب ، ص ١٠٤ ، ص ١٠٤ .

(٣) الادوي : تاريخ المراق الانتعادي في اقرن الربع الحادي ، طبعة بغداد ص ٨٩ .

(٤) السيد عبد العزيز سالم . تاريخ مدينة المربية الاسلامية ، ص ١٥٤ .

(٥) النويري : نهاية الارب ، ص ٢٠٤ ، ص ٣٦٩ .

(٦) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٥٧ ، ١٥٨ ، وهناك من يرجع اللفظة الى أصل يوناني Ciclaton ويعني النسيج الختم بالدوائر وهو نوع من الحرير =

وفي نهاية القرون الوسطى كان هذا القماش مفضرا بالذهب، وكان الشرقيون يصبغونه باللون الأزرق الغامق ، أما الغربيون فكانوا يصبغونه باللون الأحمر الفاقع (١) .

وأما نسيج الاصبيهان والجرجاني فقد ذاعت شهرتهما في اصبيهان وجرجان كما هو واضح من اطلاق اسميهما على هذين البلدين . والستور المكثلة من المنسوجات الحريرية ثياب خفيفة رفيقة تزدان بالزخارف النباتية والازهار التي تشبه الاكاليل (٢) . والثياب المعينة ، خاماتها من الكتان أو القطن يزدادان بمربعات صغيرة على شكل معينات وقيل أنها سميت معينه لانها تشبه العيون ، وان كان التفسير الاول هو الأرجح (٣) . وأما الخمر فأقمشة حريرية تستخدمها النساء في ستر رؤوسهن وتنسدل على الوجه لتغطية (٤) ، ويرجع انها كانت تتميز بالرقّة والشفافية .

= المسلمون عن طريق اتصالهم بالحضارة اليونانية ، راجع :

Marques de Izozay, Historia del arte hispanico t. I, Barcelona, 1931, p. 268.

عبد العزيز سا : المرجع السابق ، ص ١٥٧ ، ١٥٨ .

Heyp : Op. cit., t II, p 700. (١)

(٢) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المربة لاسلامية ، ص ١٥٨ .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

(٤) الخمر : جمع خمار ، والخمار كل ما خدته المرأة رأسها من شتاق الحرير ، « راجع

الفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في الحنث المسموعة ، نشر عبد العزيز

الاهواني (مجلة معهد المخطوطات العربية) المجلد الثالث ، ١٩٥٧ ، ص ٣٠ .

Dozy (R) : Suplément t. II, 93 a

والعتابي نوع من النسيج ، ينسج من خيوط القطن الحرير ، وتكون رقيقة الملمس بديعة الصنعة وتصبغ بعد اتمام نسجها بلونين أو أكثر (١) ، كالأبيض والأسود أو الأحمر والأصفر بطريقة بديعة التنسيق فتكون النتيجة ان تظهر على شكل خطوط متوازية أو متعرجة وهى على هيئتها تشبه تقريبا شكل جلد الحمار الوحش المخطط (٢) . ويبدو ان نسيج العتابي الذى يسخل الحرير فى نسجه لا يصمد كثيرا فهو سريع التلف ولهذا غالبا ما كانت الثياب العتابية الرقيقة تبطن ببطانة من نسيج آخر كالقطن تجنباً لهذا العيب (٣) . ولقد برع العراقيون عامة والبغداديون بصفه خاصة فى نسج الثياب العتابية ، وعنهم انتشرت صناعة العتابي خارج البلاد شرقا وغربا وذلك اما عن طريق التجارة ، واما عن طريق التجارة ، واما عن طريق تبادل الصناع النساكين بين البلدين (٤) . وهكذا انتقلت المنسوجات العتابية

(١) ابن جبير (أبو الحسن محمد بن أحمد) : رحلة ابن جبير ، تحقيق وليم رايت ، ليدن ١٩٠٧ ، ص ٢٢٦ .

(٢) وقد أطلق العرب على الحمار الوحش المخطط بالعتابي والحمار العتابي ، وتدمرها "قلقشندى بأنها حيوات فى صورة البرذوث موشى الجلود بالبياض والسواد يروق الذى طرحتها ، « راجع القلقشندى : صبيح الاعشى ، ص ٢ ، ص ٤٣ » .

(٣) ورد فى أخبار الدول : « ... أن رجلا قال : صليت بجامع المنصورى فى بغداد فاذا أنا بانسان أعمى وعليه جبه عتبيه قد ذهب وجهها وبقيت البطانة وبعض القطن ... فسألت عنه فقلت أنه الناصر بالله ٣٢٠ هـ ، « راجع القزوينى : أخبار الدول وأخبار الأول فى التاريخ ، ص ١٢٨ » .

(٤) مرزوق : الزخرفة المنسوجة فى الاقشمة الفاطمية ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة سنة ١٩٤٢ ، ص ٥٤ .

الى المغرب عن طريق التجارة ، ومنها الى الاندلس ومن ثم اشتهرت بالمرية .
هذا وقد عرف الايطاليون والفرنسيون صناعة المنسوجات العتامية في
العصور الوسطى عن طريق الاندلس ، وانتقل اليهم اسم هذا النوع عرفا
الى Tapis () .

واما المعاجر ، غنسيج من الحرير شتاء ، تتخذها النساء لتغطية
وجوههن أو لستر رؤوسهن (٢) ، وقد اشتهرت المرية بصناعة هذا الضرب
من الثياب (٣) .

ولقد كان من خصائص المنسوجات الحريرية المصنوعة في المرية أنها
كانت تزدان بالزخارف الهندسية والنباتية القائمة على تشابكات ومربعات
وحواش مكتوبة بالخط النسخ (٤) .

صناعة السفن :

يرجع الفضل الاعظم في انشاء دار الصناعة بالمرية الى الخليفة عبد
الرحمن الناصر أقامها بها عند قيامه بتأسيس المدينة ، وقد أشار العذري انها

(١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ص ١٥٨ .

(٢) نفس المرجع والصفحة ، جاء في المحيط « الاعتجار : ان اقامة دون النلحي ولبسه
المرء ، والمعجر - - كنير » والمعجر ثوب تعجربة النساء . « المحيط ، مادة :
عجر » ،

Dozy (R) : Supplement, II, p. 96 b .

(٣) المقرئ : نفع الطيب ، ص ١٠٤ .

(٤) السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٥٨ ، وأتظر أيضا ، كقول
« أرست » الفن الاسلامي ، ترجمة أحمد موسى ومراجعة محمد ابراهيم الدسوقي

مطبعة أطلس القاهرة ، ١٩٦١ ، ص ١٥١ .

كانت مقسمة الى قسمين القسم الاول فيه المراكب الحربية والآلة والعدة والقسم الثاني كانت توجد فيه القيسارية (١) وكانت دار الصناعة فيها تقوم بصناعة السفن والعدة والالات اللازمة لها ولما يقوم به الاسطول (٢).

واما المواد الخام اللازمة لقيام هذه الصناعة فكانت متوفرة في ارض المريه وفي مناطق متعددة بالاندلس ، فأخشاب الصنوبر اللازمة لصناعة الصواري والقري ، المشهور بجودته وعدم تعرضه للتلف الناشئ من التسوس ، وهو نوع من الاخشاب لانظيره في الطول والغلظ ، كانت تستجلب من جبال طرطوشه (٣) ، أو من قصر أبي دانس (٤) ، أو من شلطي (٥) ، وبعضها كان يتوفر في يابسة (٦) ، قادس (٧) ، شلب (٨) ، وفي الجزائر الواقعة بازاء شتتمرية (٩) .

ومعدني الحديد والنجاس كان يتوفران في كثير من مدن الاندلس

(١) العذري : ترمييع الاخبار ، ص ٨٦ .

(٢) ابن غالب الاندلس : قطعة من فرحة الانفس ، ص ٢٨٣ .

(٣) الحميري : الروض المطار ، ص ١٢٤ .

(٤) الادريسي : صفة المغرب ، ص ١٨١ ، الحميري : المصدر السابق ، ص ١٦١ .

(٥) الحميري : المصدر السابق ، ص ١١١ .

(٦) نفس المصدر ، ص ٩٨ ، المقرئ : نفح الطيب ، ص ١٠٠ ، ص ٢١٢ .

(٧) الحميري : المصدر السابق ، ص ٩٤٥ .

(٨) الادريسي : المصدر السابق ، ص ١٨٠ .

(٩) الحميري : الروض المطار ، ص ١١٥ .

لاسيما فى المربه التى اشتهرت بها (١) ، وكان الحديد يكثر فى طليطله (٢) ، وغرناطة (٣) ، و الظاهر ان دار صناعة المربه اعتمدت فى مراسى السفن على دار صناعة شلطيش التى نخصصت فى هذه الصناعة (٤) .

ولاشك فى قيام تكامل صناعى بين مختلف ثغور الاندلس اسد حاجة الصناعة بكل منها اذ انه من المستبعد ان تعتمد دار صناعة المربه فقط على مواردها الذاتية من المواد الخام لاسيما فى الفترة التى كانت تابعة فيها للاخلاق الاموية والامثلة كثيرة على تبادل المواد الخام بين المدن الاندلسيه بعضها وبعض ، فعلا ، نجد أن الرمت ، انظر ان كان يستخرج من كورة جيان ويحمل منها الى اشبيلية ، ثم الى الجزيرة الخضراء لصناعة اسنن فى دار الصناعة بها (٥) .

فن النحت على الرخام

كان لتوافر الرخام الصقيلى الملوكى (٦) بالمربه اثره الكبير فى دعم الصناعات الرخامية كهصناعة الاحواض والبيلات واللوحات المنشورية اشكل (المقريات) او شواهد القبور .

(١) الادريسي : صفة المغرب ، ص ١٩٧ ، الجبرى : المصدر السابق ، ص ١٨٤ ، راجع ايضا المقرئ : فتح الطيب ، ص ١٠٣ من تورى مدون الحديد بكورة المربه .

(٢) الادريسي : المصدر السابق ، ص ١٨٨ ، الجبرى : المصدر السابق ، ص ١٣٣ .

(٣) ابن الخطيب : الاحاطة فى اخبار غرناطة ، ص ١٠٤ .

(٤) الجبرى : المصدر السابق ، ص ١١٠ .

(٥) ابن حيان : المقتبس ، نشر عبد الرحمن الحجي ، ص ١٠١ .

(٦) المقرئ : فتح الطيب ، ص ١٠٣ من ١٠٤ ، ص ٢٠٦ .

وكانت مقاطع الرخام موجودة في جبل سيرادى لوس فيلا بريس Sierra de los
filabres الواقعة شمالي فينانه وطبرنش وجنوبى برشانه (١) ومنها كان يقطع
وينحت حسب الطلب .

ولقد ذاعت شهرة المرية في صناعة « الاحواض » الرخامية ، يؤكد
ذلك الكشف الاثرية باطلال قصر القصبه بالمريه وتضمن اثار احواض
متباينه الشكل والزخرفه ، منها حوض ناقص القاع من الرخام الابيض
يزدان بنقرش ادمية وحيوانية ونباتية فقد بقيت فيه اثار أقدام بشرية تلبس
أخفافا ، وخاف ذاك شجرة وارجل حيوان ، ومظهره يدل على انه
رومانى شبيه « بالراعى الصالح » فيما يبدو ، وكانت تزين قاعدة
الجوانب الاخرى سيقان متماوجه على نحو ما فى الفن العربى المنحدر من
سلالة نيزنطة (٢) .

واما عن صناعة التوايت وشواهد القبور بالمريه ، فقد باغ فن الحت
فيها شأوا كبيرا ، فلقد ازدانت شواهد القبور بها بنقوش تملأ أشكال
محاريب عقودها متجاوزة منكسره ، تحمها عمدا على مناكب ، ويدور
بالعقود طرر بشكل مستطيل تعلوها افاريز وتحف بهذه الافاريز والطرر
نقوش كتماية ، وكانت تغطى المحاريب المنقوشة كتابات عن المتوفى وتاريخ
وفاته وبعض الايات القرآنية (٣) . ولقد انتقلت هذه الشواهد المقبرية الى
المريه في عصر المرابطين من المشرق الاسلامى ومنها انتشرت في شتى نواحي
الاندلس ، ولذلك سمى هذا النوع باسم شواهد المرية . Las estelas

(١) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ص ١٦٣ و ١٦٤ .

(٢) جوميث مورينو : الفن الاسلامى في اسبانيا ، ص ٣١٩ و ٣٢٤ .

(٣) السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الاسلامية ، ص ١٦٤ .

«almerienses» وينسب إلى المربة معظم التوايت التي اكتشفت في مقابر الاندلس ، وتمتاز هذه التوايت بأنها مصنوعة من الرخام الابيض (١) .
كذلك اقتصرت المربة بصناعة سوارى العمود وتيجانها وبلاطات الرخام فقد ذكر المقرئ نقلا عن الرازى « وفي ناسره (من اعمال المربة) مقطع عجيب للعمود » (٢) . ويذكر العذرى أن مجالس بستان الصاحية كانت منروشه بالرخام الابيض (٣) .

الصناعات الاخرى :

قامت بالمربة إلى جانب صناعة النسيج والسنن وفن النحت على الرخام صناعات أخرى مثل صناعة استخراج الزيت من الزيتون في وادى طبرنش من أعمال المربة (٤) وصناعة التحف المعدنية فقد ذكر المقرئ انه كان يصنع في مدينة المربة أنواع متعددة من آلات الحديد والنحاس (٥) ، كما اكتشفت الابحاث الأثرية في منطقة المربة عن ثريات معدنية بعضها في حالة جيدة تجت فيها دقة الصناعة وجمال الزخرفة وهى شبيهة بنظائرها في الفن القبطى والفن الفاطمى (٦) .

(١) - Torres Balbas (Leopoldo) : commentarios hispanomusul-
manas, (al-Andalus , Vol. XXII, 1957 p. 147 149;

من السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص ١٦١ .

(٢) المقرئ : فتح الطيب ، ص ١٨٧ .

(٣) العذرى : ترميم الاحبار ، ص ٨٥ .

(٤) راجع مشاهدان لسان الدين بن الخطيب ، ص ٨٤ .

(٥) المقرئ : فتح الطيب ، ص ١٨٧ .

(٦) محمد عبد العزيز مازوق : الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والاندلس ، د'و

الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ص ١٧١ .

أما عن التحف المصنوعة من الزجاج فقد ذكر المقرئ أنه كان « يمنع بالمره ... الزجاج الغريب العجيب وفيخار مذهب » (١) ، والزجاج العجيب هو نوع من الزجاج بشير الاعجاب بدقته صناعته استنادا إلى القطع الزجاجية التي اسفرت عنها الحفائر الاثرية في منطقة المريه ويتجلى فيها جمال التكوين بعضها من لون واحد ، والبعض الآخر متداخل فيه لوان تداخلا ينتزع الاعجاب من كل من يراه وتقوم زخرفة هذا النوع الأخير على اضافة خيوط زجاجيه إلى الاناء بلون يختلف عن لون الاناء نفسه ، مما يعطيه شكلا عجيبا (٢) .

ومما ساعد على قيام هذه الصناعات توافر الخامات اللازمة لقيامها بالمره ، كمعدن الرصاص الذي يتوفر في مدينة برجه من أعمال المريه (٣) ، وفي دلالة ايضا (٤) ، وحجر مشابه لحجج الياقوت بقرية ناسره في أشكال مختلفة والوان زاهية ، ويتميز بتحمله لحرارة النار ، ومعدن القضة (٥) ، هذا خلاف ما ذكر من معادن خلال حديثنا عن الصناعات .

ثالثا : التيجارة

حظيت مدينة المريه منذ قيامها بيزنيين ثامتين . لاين ، أنها نحتت قاعدة أساسية للاسواق الاندلسي (٦) ، والسابعة أنها كانت مركزا هاما للتجاره

(١) المقرئ : المصدر السابق ١٠٦ ص ١٠٧ .

(٢) مرزوق : المرجع السابق ٢ ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

(٣) المقرئ : المصدر السابق : ١٠ ص ١٤٣ .

(٤) المراكشي : المعجب ٤ ص ٤٤٨ .

(٥) المقرئ : نقح الطيب ٤ ص ١٣٨ .

(٦) راجع من أهمية المريه كقاعدة الاسواق الاندلسي واجاء هنا في بحثنا المعدل

الاول من الباب الاول ٤ ص ٥ ، وما بعدها .

الداخلية والخارجية ، إذ كانت نواة تجارية وصناعية ساعدت على نمو تجارة الدولة الاموية في الاندلس مع موانئ البحر المتوسط ^(١) ، فمن مينائها كانت تبحر السفن إلى شرق البحر المتوسط وإلى العدوة المغربية محملة بخيرات الاندلس ومنتجات مصانعها وتعود محملة بما تحتاجه الدولة الاموية من منتجات هذه البلاد .

ولقد لاحظ ابن غالب الاندلسي أهمية موقع المربة على البحر المتوسط في ازدهار التجارة فقال : « فهي باب الشرق ومفتاح التجارة والرزق » ^(٢) ، كذلك يذكر ابن سعيد نقلا عن الرازي « باب الشرق ومفتاح الرزق » ^(٣) . ومما ساعد على قيام المربة بدورها التجاري أنها كانت تضم بالإضافة الى دار الصنعة قيساريه كان يؤمها التجار ويأمنون فيها على أموالهم ، على نحو

(١) Montañez (Pedro Martínez) Islam cristiano en la economía mediterránea de la baja edad media, (XIII Congreso Internacional de ciencias históricas) , Moscú , 1970 , p 10 .

(٢) كذاب في رحله الاندلس ، ص ٨٠ .

(٣) المغرب ، ص ٣٤ ، ص ١٩٣ ، ولعل الذي نقل عنه ابن سعيد هو عيسى بن احمد ابن محمد بن مومني الرازي ، ثالث المؤرخين من بيت ال رايزي ، الذي وضع كتابا عن تاريخ الاندلس ، والكتاب مفقود الآن ، ويرى الاندلسيون انخل جونزالث بانثيا أنه كان يصل بتاريخ الاندلس الى عصر هشام المؤيد ، راجع تاريخ الذكر الاندلسي ترجمة الدكتور حسين مؤنس ، الطبعة الاولى ومكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، ص ١٩٨ ، السيد عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون العرب ، دار السكاكيب العربي للطباعة والنشر ، الاسكندرية ، ١٩٦٢ ، ص ٢٠١ .

ما كان قائما في كبريات مدن الاندلس كاشبيلية وغرناطة ، ويشير العذري عند تعرضه لذكر القيسارية إلى أهميتها بقوله : « قد أمن فيها التجار بأموالهم وقصد اليها الناس من أقطارهم » (١) . والقيسارية مجموعة من المباني العامة على هيئة رواق تتفرع منه ازقه وزنقات اتخذت على جوانبها مخازن وحوانيت وقد تقام فيها مساكن أحيانا (٢) . ويشبهها الرحالة ابن جبير بالخان العظيم تغلق عليها ابواب حديد ، وتطيف بها دكاكين وبيوت بعضها على بعض ، (٣) .

وإذا كانت القيسارية في المشرق تؤدي وظيفتين في آن واحد ، خزن المتاجر وإيواء النزلاء من التجار على نحو ما هو معروف في فنادق الاندلس فإن قيساريه الاندلس كانت سوقا تجارية لـخزن ، بيع السلع والمتاجر ، على الأخص الأقمشة الحريرية . وقد ترتب على وجود القيساريه وما يلحق بها من أسواق ، انتشار المنشآت ذات السمة التجارية كالفنادق وقد كانت الفنادق من الكثرة بالمريه بحيث يذكر الإدريسي أن عددها بلغ في عصر المرابطين تسعمائة وسبعون فندقا (٤) . حقيقة أن هذا العدد الكبير يتوافق بالمريه في فترة

(١) مرصيع الاخبار ٤ ص ١٠٠ .

(٢) انظر مادة قيساريه في دائرة المعارف الإسلامية .

(٣) ابن جبير : رحلة ابن جبير ٤ ص ٢٤١ .

(٤) الإدريسي : وصف المغرب ١٩٤ ص ١٩٤ ؛ في الواقع أنه من الصعوبة بمكان فهم الدراسة الحضارية للمريه حتى دخول المرابطين الاندلس على نحو ما حددت في عنوانين البحث إذ أن التطور الحضاري لا يطابق الأحداث التاريخية زمنا . لهذا كان اعتمادنا على بعض النصوص التأخرية في موضوع الدراسة ضروريا لا طعنا بصحة متكاملة لهذه الدراسة .

تبعيتها لحكم المرابطين ، ولكن يساعد بقدر كبير على تأكيد العنفة التجارية للمدينة وإبراز جوانب هامة من حضارة المرية في العصر السابق .

وساعد موقع المرية البحري وتأخاذها قاعدة بحرية وتجارية في آن واحد وقيام القيسارية وتعدد الفنادق ، ساعد كل ذلك على قيام علاقات تجارية بين المرية وبين ثغور افريقيه ومصر الشام ، ويؤكد ابن عذارى قيام اتصال وثيق في البحر بين المرية وتنس^(١) من جهة وبينها وبين ثغور مصر والشام^(٢) من جهة أخرى .

ويذكر الاستاذ هايسد أن الاندلسيين كانوا يستوردون منتجات الشرق اما بمراكب مصرية أو سورية عن طريق ثغر المرية ، أو عن طريق القوافل التي تأتي عبر الساحر الشمالى لافريقيا^(٣) ، وهذا الطريق البرى كان يبدأ من بلاد الاندلس الى طنجة عبر مضيق جبل طارق مجتازا المغرب الأقصى مرورا بسبته والمغرب الاوسط عن طريق تلمسان ووهران والمهديه والقيروان والمغرب الاذن عن طريق طرابلس وبرقة حتى يصل الى مصر ثم يتجه الى بلاد الشام عبر الرحلة ودمشق ، ثم الى العراق عبر الكوفة وبغداد والبصرة ثم الى فارس

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج ١ ص ١٢٤ .

(٢) البكرى : صفه المغرب ، ص ٢٠ ، هذا الاتصال تنزايد زمن عبد الرحمن الناصر ويؤكد ذلك الهدام البحرى المتلاح بين سفينة اندلسية كانت تنجيه من المرية الى الاسكندرية وبين إحدى سفن الفاطميين بالقرب من صقايه ؟ ابن الامين : السكندرية ، ص ٨ ، ص ٨٥ ، ميخائيل أمارى : المكتبة العربية (٣) العزيز سالم المغرب الكبير ، ج ٢ ص ١٠١ . ١٢١ . ١٢٢ . ١٢٣ . ١٢٤ . ١٢٥ . ١٢٦ . ١٢٧ . ١٢٨ . ١٢٩ . ١٣٠ . ١٣١ . ١٣٢ . ١٣٣ . ١٣٤ . ١٣٥ . ١٣٦ . ١٣٧ . ١٣٨ . ١٣٩ . ١٤٠ . ١٤١ . ١٤٢ . ١٤٣ . ١٤٤ . ١٤٥ . ١٤٦ . ١٤٧ . ١٤٨ . ١٤٩ . ١٥٠ . ١٥١ . ١٥٢ . ١٥٣ . ١٥٤ . ١٥٥ . ١٥٦ . ١٥٧ . ١٥٨ . ١٥٩ . ١٦٠ . ١٦١ . ١٦٢ . ١٦٣ . ١٦٤ . ١٦٥ . ١٦٦ . ١٦٧ . ١٦٨ . ١٦٩ . ١٧٠ . ١٧١ . ١٧٢ . ١٧٣ . ١٧٤ . ١٧٥ . ١٧٦ . ١٧٧ . ١٧٨ . ١٧٩ . ١٨٠ . ١٨١ . ١٨٢ . ١٨٣ . ١٨٤ . ١٨٥ . ١٨٦ . ١٨٧ . ١٨٨ . ١٨٩ . ١٩٠ . ١٩١ . ١٩٢ . ١٩٣ . ١٩٤ . ١٩٥ . ١٩٦ . ١٩٧ . ١٩٨ . ١٩٩ . ٢٠٠ . ٢٠١ . ٢٠٢ . ٢٠٣ . ٢٠٤ . ٢٠٥ . ٢٠٦ . ٢٠٧ . ٢٠٨ . ٢٠٩ . ٢١٠ . ٢١١ . ٢١٢ . ٢١٣ . ٢١٤ . ٢١٥ . ٢١٦ . ٢١٧ . ٢١٨ . ٢١٩ . ٢٢٠ . ٢٢١ . ٢٢٢ . ٢٢٣ . ٢٢٤ . ٢٢٥ . ٢٢٦ . ٢٢٧ . ٢٢٨ . ٢٢٩ . ٢٣٠ . ٢٣١ . ٢٣٢ . ٢٣٣ . ٢٣٤ . ٢٣٥ . ٢٣٦ . ٢٣٧ . ٢٣٨ . ٢٣٩ . ٢٤٠ . ٢٤١ . ٢٤٢ . ٢٤٣ . ٢٤٤ . ٢٤٥ . ٢٤٦ . ٢٤٧ . ٢٤٨ . ٢٤٩ . ٢٥٠ . ٢٥١ . ٢٥٢ . ٢٥٣ . ٢٥٤ . ٢٥٥ . ٢٥٦ . ٢٥٧ . ٢٥٨ . ٢٥٩ . ٢٦٠ . ٢٦١ . ٢٦٢ . ٢٦٣ . ٢٦٤ . ٢٦٥ . ٢٦٦ . ٢٦٧ . ٢٦٨ . ٢٦٩ . ٢٧٠ . ٢٧١ . ٢٧٢ . ٢٧٣ . ٢٧٤ . ٢٧٥ . ٢٧٦ . ٢٧٧ . ٢٧٨ . ٢٧٩ . ٢٨٠ . ٢٨١ . ٢٨٢ . ٢٨٣ . ٢٨٤ . ٢٨٥ . ٢٨٦ . ٢٨٧ . ٢٨٨ . ٢٨٩ . ٢٩٠ . ٢٩١ . ٢٩٢ . ٢٩٣ . ٢٩٤ . ٢٩٥ . ٢٩٦ . ٢٩٧ . ٢٩٨ . ٢٩٩ . ٣٠٠ . ٣٠١ . ٣٠٢ . ٣٠٣ . ٣٠٤ . ٣٠٥ . ٣٠٦ . ٣٠٧ . ٣٠٨ . ٣٠٩ . ٣١٠ . ٣١١ . ٣١٢ . ٣١٣ . ٣١٤ . ٣١٥ . ٣١٦ . ٣١٧ . ٣١٨ . ٣١٩ . ٣٢٠ . ٣٢١ . ٣٢٢ . ٣٢٣ . ٣٢٤ . ٣٢٥ . ٣٢٦ . ٣٢٧ . ٣٢٨ . ٣٢٩ . ٣٣٠ . ٣٣١ . ٣٣٢ . ٣٣٣ . ٣٣٤ . ٣٣٥ . ٣٣٦ . ٣٣٧ . ٣٣٨ . ٣٣٩ . ٣٤٠ . ٣٤١ . ٣٤٢ . ٣٤٣ . ٣٤٤ . ٣٤٥ . ٣٤٦ . ٣٤٧ . ٣٤٨ . ٣٤٩ . ٣٥٠ . ٣٥١ . ٣٥٢ . ٣٥٣ . ٣٥٤ . ٣٥٥ . ٣٥٦ . ٣٥٧ . ٣٥٨ . ٣٥٩ . ٣٦٠ . ٣٦١ . ٣٦٢ . ٣٦٣ . ٣٦٤ . ٣٦٥ . ٣٦٦ . ٣٦٧ . ٣٦٨ . ٣٦٩ . ٣٧٠ . ٣٧١ . ٣٧٢ . ٣٧٣ . ٣٧٤ . ٣٧٥ . ٣٧٦ . ٣٧٧ . ٣٧٨ . ٣٧٩ . ٣٨٠ . ٣٨١ . ٣٨٢ . ٣٨٣ . ٣٨٤ . ٣٨٥ . ٣٨٦ . ٣٨٧ . ٣٨٨ . ٣٨٩ . ٣٩٠ . ٣٩١ . ٣٩٢ . ٣٩٣ . ٣٩٤ . ٣٩٥ . ٣٩٦ . ٣٩٧ . ٣٩٨ . ٣٩٩ . ٤٠٠ . ٤٠١ . ٤٠٢ . ٤٠٣ . ٤٠٤ . ٤٠٥ . ٤٠٦ . ٤٠٧ . ٤٠٨ . ٤٠٩ . ٤١٠ . ٤١١ . ٤١٢ . ٤١٣ . ٤١٤ . ٤١٥ . ٤١٦ . ٤١٧ . ٤١٨ . ٤١٩ . ٤٢٠ . ٤٢١ . ٤٢٢ . ٤٢٣ . ٤٢٤ . ٤٢٥ . ٤٢٦ . ٤٢٧ . ٤٢٨ . ٤٢٩ . ٤٣٠ . ٤٣١ . ٤٣٢ . ٤٣٣ . ٤٣٤ . ٤٣٥ . ٤٣٦ . ٤٣٧ . ٤٣٨ . ٤٣٩ . ٤٤٠ . ٤٤١ . ٤٤٢ . ٤٤٣ . ٤٤٤ . ٤٤٥ . ٤٤٦ . ٤٤٧ . ٤٤٨ . ٤٤٩ . ٤٥٠ . ٤٥١ . ٤٥٢ . ٤٥٣ . ٤٥٤ . ٤٥٥ . ٤٥٦ . ٤٥٧ . ٤٥٨ . ٤٥٩ . ٤٦٠ . ٤٦١ . ٤٦٢ . ٤٦٣ . ٤٦٤ . ٤٦٥ . ٤٦٦ . ٤٦٧ . ٤٦٨ . ٤٦٩ . ٤٧٠ . ٤٧١ . ٤٧٢ . ٤٧٣ . ٤٧٤ . ٤٧٥ . ٤٧٦ . ٤٧٧ . ٤٧٨ . ٤٧٩ . ٤٨٠ . ٤٨١ . ٤٨٢ . ٤٨٣ . ٤٨٤ . ٤٨٥ . ٤٨٦ . ٤٨٧ . ٤٨٨ . ٤٨٩ . ٤٩٠ . ٤٩١ . ٤٩٢ . ٤٩٣ . ٤٩٤ . ٤٩٥ . ٤٩٦ . ٤٩٧ . ٤٩٨ . ٤٩٩ . ٥٠٠ . ٥٠١ . ٥٠٢ . ٥٠٣ . ٥٠٤ . ٥٠٥ . ٥٠٦ . ٥٠٧ . ٥٠٨ . ٥٠٩ . ٥١٠ . ٥١١ . ٥١٢ . ٥١٣ . ٥١٤ . ٥١٥ . ٥١٦ . ٥١٧ . ٥١٨ . ٥١٩ . ٥٢٠ . ٥٢١ . ٥٢٢ . ٥٢٣ . ٥٢٤ . ٥٢٥ . ٥٢٦ . ٥٢٧ . ٥٢٨ . ٥٢٩ . ٥٣٠ . ٥٣١ . ٥٣٢ . ٥٣٣ . ٥٣٤ . ٥٣٥ . ٥٣٦ . ٥٣٧ . ٥٣٨ . ٥٣٩ . ٥٤٠ . ٥٤١ . ٥٤٢ . ٥٤٣ . ٥٤٤ . ٥٤٥ . ٥٤٦ . ٥٤٧ . ٥٤٨ . ٥٤٩ . ٥٥٠ . ٥٥١ . ٥٥٢ . ٥٥٣ . ٥٥٤ . ٥٥٥ . ٥٥٦ . ٥٥٧ . ٥٥٨ . ٥٥٩ . ٥٦٠ . ٥٦١ . ٥٦٢ . ٥٦٣ . ٥٦٤ . ٥٦٥ . ٥٦٦ . ٥٦٧ . ٥٦٨ . ٥٦٩ . ٥٧٠ . ٥٧١ . ٥٧٢ . ٥٧٣ . ٥٧٤ . ٥٧٥ . ٥٧٦ . ٥٧٧ . ٥٧٨ . ٥٧٩ . ٥٨٠ . ٥٨١ . ٥٨٢ . ٥٨٣ . ٥٨٤ . ٥٨٥ . ٥٨٦ . ٥٨٧ . ٥٨٨ . ٥٨٩ . ٥٩٠ . ٥٩١ . ٥٩٢ . ٥٩٣ . ٥٩٤ . ٥٩٥ . ٥٩٦ . ٥٩٧ . ٥٩٨ . ٥٩٩ . ٦٠٠ . ٦٠١ . ٦٠٢ . ٦٠٣ . ٦٠٤ . ٦٠٥ . ٦٠٦ . ٦٠٧ . ٦٠٨ . ٦٠٩ . ٦١٠ . ٦١١ . ٦١٢ . ٦١٣ . ٦١٤ . ٦١٥ . ٦١٦ . ٦١٧ . ٦١٨ . ٦١٩ . ٦٢٠ . ٦٢١ . ٦٢٢ . ٦٢٣ . ٦٢٤ . ٦٢٥ . ٦٢٦ . ٦٢٧ . ٦٢٨ . ٦٢٩ . ٦٣٠ . ٦٣١ . ٦٣٢ . ٦٣٣ . ٦٣٤ . ٦٣٥ . ٦٣٦ . ٦٣٧ . ٦٣٨ . ٦٣٩ . ٦٤٠ . ٦٤١ . ٦٤٢ . ٦٤٣ . ٦٤٤ . ٦٤٥ . ٦٤٦ . ٦٤٧ . ٦٤٨ . ٦٤٩ . ٦٥٠ . ٦٥١ . ٦٥٢ . ٦٥٣ . ٦٥٤ . ٦٥٥ . ٦٥٦ . ٦٥٧ . ٦٥٨ . ٦٥٩ . ٦٦٠ . ٦٦١ . ٦٦٢ . ٦٦٣ . ٦٦٤ . ٦٦٥ . ٦٦٦ . ٦٦٧ . ٦٦٨ . ٦٦٩ . ٦٧٠ . ٦٧١ . ٦٧٢ . ٦٧٣ . ٦٧٤ . ٦٧٥ . ٦٧٦ . ٦٧٧ . ٦٧٨ . ٦٧٩ . ٦٨٠ . ٦٨١ . ٦٨٢ . ٦٨٣ . ٦٨٤ . ٦٨٥ . ٦٨٦ . ٦٨٧ . ٦٨٨ . ٦٨٩ . ٦٩٠ . ٦٩١ . ٦٩٢ . ٦٩٣ . ٦٩٤ . ٦٩٥ . ٦٩٦ . ٦٩٧ . ٦٩٨ . ٦٩٩ . ٧٠٠ . ٧٠١ . ٧٠٢ . ٧٠٣ . ٧٠٤ . ٧٠٥ . ٧٠٦ . ٧٠٧ . ٧٠٨ . ٧٠٩ . ٧١٠ . ٧١١ . ٧١٢ . ٧١٣ . ٧١٤ . ٧١٥ . ٧١٦ . ٧١٧ . ٧١٨ . ٧١٩ . ٧٢٠ . ٧٢١ . ٧٢٢ . ٧٢٣ . ٧٢٤ . ٧٢٥ . ٧٢٦ . ٧٢٧ . ٧٢٨ . ٧٢٩ . ٧٣٠ . ٧٣١ . ٧٣٢ . ٧٣٣ . ٧٣٤ . ٧٣٥ . ٧٣٦ . ٧٣٧ . ٧٣٨ . ٧٣٩ . ٧٤٠ . ٧٤١ . ٧٤٢ . ٧٤٣ . ٧٤٤ . ٧٤٥ . ٧٤٦ . ٧٤٧ . ٧٤٨ . ٧٤٩ . ٧٥٠ . ٧٥١ . ٧٥٢ . ٧٥٣ . ٧٥٤ . ٧٥٥ . ٧٥٦ . ٧٥٧ . ٧٥٨ . ٧٥٩ . ٧٦٠ . ٧٦١ . ٧٦٢ . ٧٦٣ . ٧٦٤ . ٧٦٥ . ٧٦٦ . ٧٦٧ . ٧٦٨ . ٧٦٩ . ٧٧٠ . ٧٧١ . ٧٧٢ . ٧٧٣ . ٧٧٤ . ٧٧٥ . ٧٧٦ . ٧٧٧ . ٧٧٨ . ٧٧٩ . ٧٨٠ . ٧٨١ . ٧٨٢ . ٧٨٣ . ٧٨٤ . ٧٨٥ . ٧٨٦ . ٧٨٧ . ٧٨٨ . ٧٨٩ . ٧٩٠ . ٧٩١ . ٧٩٢ . ٧٩٣ . ٧٩٤ . ٧٩٥ . ٧٩٦ . ٧٩٧ . ٧٩٨ . ٧٩٩ . ٨٠٠ . ٨٠١ . ٨٠٢ . ٨٠٣ . ٨٠٤ . ٨٠٥ . ٨٠٦ . ٨٠٧ . ٨٠٨ . ٨٠٩ . ٨١٠ . ٨١١ . ٨١٢ . ٨١٣ . ٨١٤ . ٨١٥ . ٨١٦ . ٨١٧ . ٨١٨ . ٨١٩ . ٨٢٠ . ٨٢١ . ٨٢٢ . ٨٢٣ . ٨٢٤ . ٨٢٥ . ٨٢٦ . ٨٢٧ . ٨٢٨ . ٨٢٩ . ٨٣٠ . ٨٣١ . ٨٣٢ . ٨٣٣ . ٨٣٤ . ٨٣٥ . ٨٣٦ . ٨٣٧ . ٨٣٨ . ٨٣٩ . ٨٤٠ . ٨٤١ . ٨٤٢ . ٨٤٣ . ٨٤٤ . ٨٤٥ . ٨٤٦ . ٨٤٧ . ٨٤٨ . ٨٤٩ . ٨٥٠ . ٨٥١ . ٨٥٢ . ٨٥٣ . ٨٥٤ . ٨٥٥ . ٨٥٦ . ٨٥٧ . ٨٥٨ . ٨٥٩ . ٨٦٠ . ٨٦١ . ٨٦٢ . ٨٦٣ . ٨٦٤ . ٨٦٥ . ٨٦٦ . ٨٦٧ . ٨٦٨ . ٨٦٩ . ٨٧٠ . ٨٧١ . ٨٧٢ . ٨٧٣ . ٨٧٤ . ٨٧٥ . ٨٧٦ . ٨٧٧ . ٨٧٨ . ٨٧٩ . ٨٨٠ . ٨٨١ . ٨٨٢ . ٨٨٣ . ٨٨٤ . ٨٨٥ . ٨٨٦ . ٨٨٧ . ٨٨٨ . ٨٨٩ . ٨٩٠ . ٨٩١ . ٨٩٢ . ٨٩٣ . ٨٩٤ . ٨٩٥ . ٨٩٦ . ٨٩٧ . ٨٩٨ . ٨٩٩ . ٩٠٠ . ٩٠١ . ٩٠٢ . ٩٠٣ . ٩٠٤ . ٩٠٥ . ٩٠٦ . ٩٠٧ . ٩٠٨ . ٩٠٩ . ٩١٠ . ٩١١ . ٩١٢ . ٩١٣ . ٩١٤ . ٩١٥ . ٩١٦ . ٩١٧ . ٩١٨ . ٩١٩ . ٩٢٠ . ٩٢١ . ٩٢٢ . ٩٢٣ . ٩٢٤ . ٩٢٥ . ٩٢٦ . ٩٢٧ . ٩٢٨ . ٩٢٩ . ٩٣٠ . ٩٣١ . ٩٣٢ . ٩٣٣ . ٩٣٤ . ٩٣٥ . ٩٣٦ . ٩٣٧ . ٩٣٨ . ٩٣٩ . ٩٤٠ . ٩٤١ . ٩٤٢ . ٩٤٣ . ٩٤٤ . ٩٤٥ . ٩٤٦ . ٩٤٧ . ٩٤٨ . ٩٤٩ . ٩٥٠ . ٩٥١ . ٩٥٢ . ٩٥٣ . ٩٥٤ . ٩٥٥ . ٩٥٦ . ٩٥٧ . ٩٥٨ . ٩٥٩ . ٩٦٠ . ٩٦١ . ٩٦٢ . ٩٦٣ . ٩٦٤ . ٩٦٥ . ٩٦٦ . ٩٦٧ . ٩٦٨ . ٩٦٩ . ٩٧٠ . ٩٧١ . ٩٧٢ . ٩٧٣ . ٩٧٤ . ٩٧٥ . ٩٧٦ . ٩٧٧ . ٩٧٨ . ٩٧٩ . ٩٨٠ . ٩٨١ . ٩٨٢ . ٩٨٣ . ٩٨٤ . ٩٨٥ . ٩٨٦ . ٩٨٧ . ٩٨٨ . ٩٨٩ . ٩٩٠ . ٩٩١ . ٩٩٢ . ٩٩٣ . ٩٩٤ . ٩٩٥ . ٩٩٦ . ٩٩٧ . ٩٩٨ . ٩٩٩ . ١٠٠٠ . ١٠٠١ . ١٠٠٢ . ١٠٠٣ . ١٠٠٤ . ١٠٠٥ . ١٠٠٦ . ١٠٠٧ . ١٠٠٨ . ١٠٠٩ . ١٠١٠ . ١٠١١ . ١٠١٢ . ١٠١٣ . ١٠١٤ . ١٠١٥ . ١٠١٦ . ١٠١٧ . ١٠١٨ . ١٠١٩ . ١٠٢٠ . ١٠٢١ . ١٠٢٢ . ١٠٢٣ . ١٠٢٤ . ١٠٢٥ . ١٠٢٦ . ١٠٢٧ . ١٠٢٨ . ١٠٢٩ . ١٠٣٠ . ١٠٣١ . ١٠٣٢ . ١٠٣٣ . ١٠٣٤ . ١٠٣٥ . ١٠٣٦ . ١٠٣٧ . ١٠٣٨ . ١٠٣٩ . ١٠٤٠ . ١٠٤١ . ١٠٤٢ . ١٠٤٣ . ١٠٤٤ . ١٠٤٥ . ١٠٤٦ . ١٠٤٧ . ١٠٤٨ . ١٠٤٩ . ١٠٥٠ . ١٠٥١ . ١٠٥٢ . ١٠٥٣ . ١٠٥٤ . ١٠٥٥ . ١٠٥٦ . ١٠٥٧ . ١٠٥٨ . ١٠٥٩ . ١٠٦٠ . ١٠٦١ . ١٠٦٢ . ١٠٦٣ . ١٠٦٤ . ١٠٦٥ . ١٠٦٦ . ١٠٦٧ . ١٠٦٨ . ١٠٦٩ . ١٠٧٠ . ١٠٧١ . ١٠٧٢ . ١٠٧٣ . ١٠٧٤ . ١٠٧٥ . ١٠٧٦ . ١٠٧٧ . ١٠٧٨ . ١٠٧٩ . ١٠٨٠ . ١٠٨١ . ١٠٨٢ . ١٠٨٣ . ١٠٨٤ . ١٠٨٥ . ١٠٨٦ . ١٠٨٧ . ١٠٨٨ . ١٠٨٩ . ١٠٩٠ . ١٠٩١ . ١٠٩٢ . ١٠٩٣ . ١٠٩٤ . ١٠٩٥ . ١٠٩٦ . ١٠٩٧ . ١٠٩٨ . ١٠٩٩ . ١١٠٠ . ١١٠١ . ١١٠٢ . ١١٠٣ . ١١٠٤ . ١١٠٥ . ١١٠٦ . ١١٠٧ . ١١٠٨ . ١١٠٩ . ١١١٠ . ١١١١ . ١١١٢ . ١١١٣ . ١١١٤ . ١١١٥ . ١١١٦ . ١١١٧ . ١١١٨ . ١١١٩ . ١١٢٠ . ١١٢١ . ١١٢٢ . ١١٢٣ . ١١٢٤ . ١١٢٥ . ١١٢٦ . ١١٢٧ . ١١٢٨ . ١١٢٩ . ١١٣٠ . ١١٣١ . ١١٣٢ . ١١٣٣ . ١١٣٤ . ١١٣٥ . ١١٣٦ . ١١٣٧ . ١١٣٨ . ١١٣٩ . ١١٤٠ . ١١٤١ . ١١٤٢ . ١١٤٣ . ١١٤٤ . ١١٤٥ . ١١٤٦ . ١١٤٧ . ١١٤٨ . ١١٤٩ . ١١٥٠ . ١١٥١ . ١١٥٢ . ١١٥٣ . ١١٥٤ . ١١٥٥ . ١١٥٦ . ١١٥٧ . ١١٥٨ . ١١٥٩ . ١١٦٠ . ١١٦١ . ١١٦٢ . ١١٦٣ . ١١٦٤ . ١١٦٥ . ١١٦٦ . ١١٦٧ . ١١٦٨ . ١١٦٩ . ١١٧٠ . ١١٧١ . ١١٧٢ . ١١٧٣ . ١١٧٤ . ١١٧٥ . ١١٧٦ . ١١٧٧ . ١١٧٨ . ١١٧٩ . ١١٨٠ . ١١٨١ . ١١٨٢ . ١١٨٣ . ١١٨٤ . ١١٨٥ . ١١٨٦ . ١١٨٧ . ١١٨٨ . ١١٨٩ . ١١٩٠ . ١١٩١ . ١١٩٢ . ١١٩٣ . ١١٩٤ . ١١٩٥ . ١١٩٦ . ١١٩٧ . ١١٩٨ . ١١٩٩ . ١٢٠٠ . ١٢٠١ . ١٢٠٢ . ١٢٠٣ . ١٢٠٤ . ١٢٠٥ . ١٢٠٦ . ١٢٠٧ . ١٢٠٨ . ١٢٠٩ . ١٢١٠ . ١٢١١ . ١٢١٢ . ١٢١٣ . ١٢١٤ . ١٢١٥ . ١٢١٦ . ١٢١٧ . ١٢١٨ . ١٢١٩ . ١٢٢٠ . ١٢٢١ . ١٢٢٢ . ١٢٢٣ . ١٢٢٤ . ١٢٢٥ . ١٢٢٦ . ١٢٢٧ . ١٢٢٨ . ١٢٢٩ . ١٢٣٠ . ١٢٣١ . ١٢٣٢ . ١٢٣٣ . ١٢٣٤ . ١٢٣٥ . ١٢٣٦ . ١٢٣٧ . ١٢٣٨ . ١٢٣٩ . ١٢٤٠ . ١٢٤١ . ١٢٤٢ . ١٢٤٣ . ١٢٤٤ . ١٢٤٥ . ١٢٤٦ . ١٢٤٧ . ١٢٤٨ . ١٢٤٩ . ١٢٥٠ . ١٢٥١ . ١٢٥٢ . ١٢٥٣ . ١٢٥٤ . ١٢٥٥ . ١٢٥٦ . ١٢٥٧ . ١٢٥٨ . ١٢٥٩ . ١٢٦٠ . ١٢٦١ . ١٢٦٢ . ١٢٦٣ . ١٢٦٤ . ١٢٦٥ . ١٢٦٦ . ١٢٦٧ . ١٢٦٨ . ١٢٦٩ . ١٢٧٠ . ١٢٧١ . ١٢٧٢ . ١٢٧٣ . ١٢٧٤ . ١٢٧٥ . ١٢٧٦ . ١٢٧٧ . ١٢٧٨ . ١٢٧٩ . ١٢٨٠ . ١٢٨١ . ١٢٨٢ . ١٢٨٣ . ١٢٨٤ . ١٢٨٥ . ١٢٨٦ . ١٢٨٧ . ١٢٨٨ . ١٢٨٩ . ١٢٩٠ . ١٢٩١ . ١٢٩٢ . ١٢٩٣ . ١٢٩٤ . ١٢٩٥ . ١٢٩٦ . ١٢٩٧ . ١٢٩٨ . ١٢٩٩ . ١٣٠٠ . ١٣٠١ . ١٣٠٢ . ١٣٠٣ . ١٣٠٤ . ١٣٠٥ . ١٣٠٦ . ١٣٠٧ . ١٣٠٨ . ١٣٠٩ . ١٣١٠ . ١٣١١ . ١٣١٢ . ١٣١٣ . ١٣١٤ . ١٣١٥ . ١٣١٦ . ١٣١٧ . ١٣١٨ . ١٣١٩ . ١٣٢٠ . ١٣٢١ . ١٣٢٢ . ١٣٢٣ . ١٣٢٤ . ١٣٢٥ . ١٣٢٦ . ١٣٢٧ . ١٣٢٨ . ١٣٢٩ . ١٣٣٠ . ١٣٣١ . ١٣٣٢ . ١٣٣٣ . ١٣٣٤ . ١٣٣٥ . ١٣٣٦ . ١٣٣٧ . ١٣٣٨ . ١٣٣٩ . ١٣٤٠ . ١٣٤١ . ١٣٤٢ . ١٣٤٣ . ١٣٤٤ . ١٣٤٥ . ١٣٤٦ . ١٣٤٧ . ١٣٤٨ . ١٣٤٩ . ١٣٥٠ . ١٣٥١ . ١٣٥٢ . ١٣٥٣ . ١٣٥٤ . ١٣٥٥ . ١٣٥٦ . ١٣٥٧ . ١٣٥٨ . ١٣٥٩ . ١٣٦٠ . ١٣٦١ . ١٣٦٢ . ١٣٦٣ . ١٣٦٤ . ١٣٦٥ . ١٣٦٦ . ١٣٦٧ . ١٣٦٨ . ١٣٦٩ . ١٣٧٠ . ١٣٧١ . ١٣٧٢ . ١٣٧٣ . ١٣٧٤ . ١٣٧٥ . ١٣٧٦ . ١٣٧٧ . ١٣٧٨ . ١٣٧٩ . ١٣٨٠ . ١٣٨١ . ١٣٨٢ . ١٣٨٣ . ١٣٨٤ . ١٣٨٥ . ١٣٨٦ . ١٣٨٧ . ١٣٨٨ . ١٣٨٩ . ١٣٩٠ . ١٣٩١ . ١٣٩٢ . ١٣٩٣ . ١٣٩٤ . ١٣٩٥ . ١٣٩٦ . ١٣٩٧ . ١٣٩٨ . ١٣٩٩ . ١٤٠٠ . ١٤٠١ . ١٤٠٢ . ١٤٠٣ . ١٤٠٤ . ١٤٠٥ . ١٤٠٦ . ١٤٠٧ . ١٤٠٨ . ١٤٠٩ . ١٤١٠ . ١٤١١ . ١٤١٢ . ١٤١٣ . ١٤١٤ . ١٤١٥ . ١٤١٦ . ١٤١٧ . ١٤١٨ . ١٤١٩ . ١٤٢٠ . ١٤٢١ . ١٤٢٢ . ١٤٢٣ . ١٤٢٤ . ١٤٢٥ . ١٤٢٦ . ١٤٢٧ . ١٤٢٨ . ١٤٢٩ . ١٤٣٠ . ١٤٣١ . ١٤٣٢ . ١٤٣٣ . ١٤٣٤ . ١٤٣٥ . ١٤٣٦ . ١٤٣٧ . ١٤٣٨ . ١٤٣٩ . ١٤٤٠ . ١٤٤١ . ١٤٤٢ . ١٤٤٣ . ١٤٤٤ . ١٤٤٥ . ١٤٤٦ . ١٤٤٧ . ١٤٤٨ . ١٤٤٩ . ١٤٥٠ . ١٤٥١ . ١٤٥٢ . ١٤٥٣ . ١٤٥٤ . ١٤٥٥ . ١٤٥٦ . ١٤٥٧ . ١٤٥٨ . ١٤٥٩ . ١٤٦٠ . ١٤٦١ . ١٤٦٢ . ١٤٦٣ . ١٤٦٤ . ١٤٦٥ . ١٤٦٦ . ١٤٦٧ . ١٤٦

مارا بالاهواز ، ثم الى كرمان والهند والصين (١) .

ومن الجدير بالذكر ان عظمة المريه كمرکز تجارى هام بدأت منذ سقوط الخلافة الاموية بالاندلس وقيام دويلات الطوائف ومما يؤيد هذا الرأى ما ذكره المقرئ من أن المعتمد بن عباد اعطى ابا عبد الله بن ابراهيم مبلغا من المال ليعيش به ، فلم يجد هذا الرجل افضل من استغلال هذا المبلغ فى التجارة فأتعرف الى المريه التى كان يعجبه سكنها والتجارة بها ذلك « لكونها مينا لمراكب التجار من مسلم وكافر فاشتغل فيها بالتجارة ، وجنى منها ثروة كبيرة » (٢) ، وكذلك اشارة الادريسي بقوله : « ولم يكن بالاندلس كلها أيسر من أهلها (أهل المريه) مالا ، ولا أتعرج منهم فى الصناعات وأصناف التجارات تصرفا وادخارا ، والمدينة فى ذاتها مدینه كبيرة كثيرة التجارات والمسافرون اليها كثيرون ولم يكن فى بلاد الاندلس أحضر من أهلها نقدا ولا أوسع منهم أحوالا » (٣) .

ولاجدال فى أن الفضل الاعظم فيها جناه أهل المريه من ثروات طائلة انما يرجع الى اشتغالهم فى التجارة ، وإلى نشاط حركتها التجارية مع الشرق ، فقد كانت مقصد مراكب التجار من الاسكندرية وجميع مدن الشام (٤) ومحط للسفن ودارا للتجار والمسافرين (٥) . ويؤكد ياقوت نشاط حركة

(١) ابن خرد ذاب : المسالك والممالك ، ص ١٥٤ .

(٢) المقرئ : فتح الطيب ، ص ٥٠ ، ص ١١٠ .

(٣) صفه الغرب ، ص ١١٧ ، ص ١٩٨ .

(٤) صفه المغرب ، ص ١٩٧ ؛ راجع أيضا الجيوى : الروض المطار ، ص ١٨٤ .

(٥) السقطى (ابو عبد الله محمد بن ابى محمد الحافى) : كتاب آداب المحامه ، ص ٤٠ .

تحقيق لطفى بروفنسال وكولان ، باريس ١٩٢١ ، ص ٥٠ .

الصادر والوارد بالمريه في قوله : « منها (أى المريه) يركب التجار ، وفيها تحمل مراكب التجار ، وفيها مرفأ للسفن والمراكب » (١) . ويفهم من نص ياقوت أنه كانت هناك حركة صادرات تجارية من المريه إلى مختلف موانئ البحر المتوسط وكذا حركة واردات تجارية إليها من تلك الموانئ .

وينبغي أن نقر بأن النصوص التاريخية العربية سواء المعاصرة للاحداث أو المتأخرة ، قد ذودتنا في الواقع بما يكفي من الأخبار لالقاء بعض الضوء على صادرات الاندلس و واردتها سواء ما يتعلق بالمحاصيل الزراعية أو ما له صلة بالمنتجات الصناعية ، فابن حوقل يذكر أن « بالاندلس غير طرز يرد إلى مصر متاعه وربما حمل منه شيء إلى أقاصى خرسان وغيرها » (٢) ، ويضيف في موضع آخر فأما أردبيتهم المعمولة بجانه فتحمل إلى مصر ومكة واليمن وغيرها » (٣) .

ومن المحاصيل والمنتجات الصناعية التي كانت تصدر من المريه إلى بلاد الشرق الوشى صناعة المريه (٤) والزجاج والفخار المزجج والزليجى (٥) ، والبسط التتلية صناعة مرسية وكانت من السلع التي يغالى في ثمنها بالشرق ، والعنبر الذى كان يحمل إلى مصر وتباع أوقيته بعشرين ديناراً ، والحنى-اطه

(١) معجم البلدان ، المجلد الخامس ، ص ١١٠ ، ص ١٨ .
Al-Karim (Gamal) , Op. cit., 134 .

(٢) ابن حوقل : صورة الارض ، ص ١٠٥ ، ص ١٠٦ .

(٣) نفس المصدر ، ص ١٠٩ .

(٤) الضبى : بنية الملتصق ، ص ٤٦٨ ، القرى : نفح الطيب ، ص ٢٠٧ .

(٥) القرى : المصدر السابق ، ص ١٤٥ ، ص ١٨٧ .

وحجر المرقيشينا الذهبية ومعدن الزئبق يحمل إلى جميع الافاق (١) ، وحمى المريه الذى يشبه الدرقي رونقه بالوانه العجيبة (٢) ، كما كانت تحمل من مرسية الأسيرة المرسعة والحصر الفتانه الصنعة كالات الصفر والحديد من السكاكين والامقاص المذهبه وغير ذلك من الات العروس والجندى ما يبهز العقل كلها تجهز وتصدر إلى بلاد أفريقية وغيرها (٣) . وأهم ما كانت تصدره المريه من منتجاتها المنسوجات الحريرية التى كانت لها سوق نافعة فى المشرق الاسلامى . أما المحاصيل والمنتجات الصناعية التى كان يستوردها أهل الأندلس من الشرق فأهمها القمح الذى تحمله المراكب من تنس إلى سواحل الاندلس (٤) ، والعطور جميع أصنافها ما عدا الزعفران والعنبر من أرض الهند (٥) ، والرخام من قرطاجنه وأفريقية وتونس ومن بلاد الافرنج (٦) .

ولم تقتصر العلاقات التجارية بين المريه وثغور المشرق الاسلامى فحسب بل تجاوزتها الى الجمهوريات الايطالية مثل جنوه وبيزا (٧) .

(١) القرى : تقع الطيب ١٨٢ ١٣٧ ١٣٨ .

(٢) نفس المصدر ١٨١ ١٨٧ ١٨٤ ٢٠٧ وكان يحمل الى البسلاد ويستخدمه الناس لتبريد مياههم فيضمونه فى البراريد وكيزان الماء (راجع ايضا : السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة الرية الاسلامية ١٦٣ ١٦٤ هـ (٣) .

(٣) القرى : المصدر السابق ١٨١ ١٨٧ .

(٤) ابن سديد المغربى : كتاب الجغرافيا ، ص ١٤٢ .

(٥) القرى : المصدر السابق ، ١٨١ ، ص ١٣٩ .

(٦) نفس المصدر ، ١٨٢ ، ص ١٠٤ .

Hyd ; Op. cit. t. II , p. 725.

(٧)

الفصل الثالث

الحركة العلمية

اولا : الحركة الادبيه واللغويه

بلغت الدولة الاموية في الاندلس اوج مجدها الحضارى في عصر الخلافة الذي يشغل عهد الخليفة الناصر وولده الحكم المستنصر ، ثم عهد الحاجب المنصور محمد بن ابي عامر ولما انهارت الخلاية الاموية وسارت الفوضى انحاء الاندلس في اعتقاب الفتنة ، أخذت شمس الاندلس تنحدر نحو المغرب مؤثمة بقيام دويلات الطوائف .

وعلى الرغم من التفكك السياسى الذى طرأ على البلاد وما ترتب عليه من فتن واضطرابات وحروب اهليه ، ومنازعات بين مختلف هذه الدويلات ، فقد سطعت شمس الشعر والادب ، وبلغ النشاط الادبى مداه وتنافس ملوك الطوائف في اقتناء فحول الشعراء والكتتاب ، وبالغوا في اجتذابهم الى حواضرهم بالهبات القيمة ، فارتقت دولة الادب في الاندلس وازدهرت ازدهارا لم تشهد من قبل (١) ، وأصبحت قصور قرطبة واشيلية المريّة وبطايوس منتديات لاهل الشعر والادب ، ولم يقتصر الامر على ذلك فقد صاحب هذه النهضة الادبية نهضة فنية غنائية لانظير لها من قبل ، عندما تنافس ملوك الطوائف في اجتلاب حذاق الغناء الى حواضرهم (٢) ، ويذكر الشقندى في رسالته : « ولم تزل الشعراء تهادى بينهم تهادى النواسم بين الرياض ، وتفتك في اموالهم

(١) آنخل جوتالك بالنتيا : تاريخ الفكر الاندلسى ، ١٣ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، ص ١٠٠ .

فُتكة البراض ، حتى أن أحد شعرائهم بلغ به مارآه من منافستهم في امداحه أن حلف أن لا يمدح أحدا منهم بقصيدة إلا بمائة دينار ^(١) . وبذلك تحولت عواصم الاندلس الى بغدادات صغيرة كثيرة ^(٢) ، اضيف الى ذلك كله ماساد هذا العصر من روح الاسراف والبذخ والاجرام السافر الذي لا يتورع عن شيء من المطامع والتزوات الى الخناجر والسموم ^(٣) .

ولم تكن المواد بعيدة عن هذه الحركة الادبية المباركة ، فكانت من بين دول الطوائف التي ازدهرت فيها العلوم والاداب ، وبلغت أوج ازدهارها الادبي في عصر المعتصم بن صمادح الذي يعتبر بحق العصر الذهبي للعلوم والاداب وذلك بفضل تشجيعه وبذله للمال ، ولعل أبلغ وصف في ذلك قول الفتح بن خاقان يمتدحة « ملك اقام سوق المعارف على ساقها ، وأبدع في انتظامها وأتساقها ووضح رسمها ، وأنت في جبين أوانه رسمها ، ولم تخل ايامه من مناظرة ، ولا عمرة الا بمذاكرة بمناظرة » ^(٤) .

وهكذا ازدهرت الحياة الادبية في المرية بفضل ملكها المعتصم وبفضل أدبائها البارزين أمثال الوزير الكاتب أبو العباس أحمد بن زكريا ، وأبو الحسن مختار عبد الرحمن بن سهر الرعيني ، وأحمد بن ادهم ، وأحمد بن قاسم النحوي المعروف بابن الاديب ، وإبراهيم بن أحمد بن محمد بن اسود الغساني ، ومحمد بن محمد بن الحسن الزبيدي ، وأبو عبد الله بن عبادة المعروف بابن القزاز .

(١) القرى : تقع الطيب ، ٤ ، ص ١٨٠ .

(٢) غارسيا غوميث : الشعر الاندلسي ، ترجمة الدكتور حسين مؤنس ، الطبعة الثانية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٦ ، ص ٤٤ .

(٣) غارسيا غوميث : نفس المرجع ، ص ٤٤ .

(٤) ابن سعيد ، المغرب ، ٤ ، ص ١٩٦ ، ص ١٩٧ .

واعظم ادياء هذا العصر جميعا الوزير الكاتب ابو العباس احمد بن زكريا ويكنى ابا جعفر ، كان عليما بفنون الادب ، قديرا على التعبير عن ارائه في سر ورقة ، تمتع بشهرة فائقة ، بجانب مهارته في الخطابه ، وتبحره في الفقه ، مقتبسا للشعر من غير طبع فيه (١) . ومما ساعد على تبوئه هذه المكانة الادبيه الساميه هوايته لجمع الكتب فيقال ان مكتبته كانت تزيد على اربعمائة الف مجلد كامل عدا الاوراق والكراسات المنفصلة (٢) . وعلى الرغم من المواهب المتعددة التي تميز بها . الا انه اتصف بالكبرياء والغرور . والعجب بنفسه لدرجة انه عند زيارته لقرطبة مع زهير العامري واجه اديب قرطبه ابا عامر بن شهيد بكل احتقار وازدراء ، وذم اهل قرطبة عندما سئل عنهم بقوله : « ما رأيت بقرطبة الاسائلا او جاهلا » (٣)

ومن مشهور شعره ايات كان يرددها في كل مجلس وعند كل مناسبة ، وبخاصة في اوقات لعبه الشطرنج :

عيون الحوادث عني نيام وهضمي على الدهر شيء حرام
وذاع هذا البيت عند الناس ، فاستذكروه . الى حد ان بعض الشعراء

(١) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ٢ ، ص ١٢٥ ، وأنظر أيضا ، ابن الخطيب ، الاحاطة ، ص ١٠٠ ، م ٢٦٧ دوزي : ملوك الطوائف ، ترجمه الامتاذ كامل صيلاني ، ص ١٧ ، ٢٨ .

(٢) خوليان ريبيرا : المكتبات وهواة الكتب في أسبانيا ، ترجمة الدكتور جمال محرز ، مجلة ميمو المخطوطات المريية . ، المجلد الخامس ، الجزء الأول ، مايو ١٩٥٩ ص ٨٠ .

(٣) ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ٢ ، ١٧٦ ، وراجع أيضا ، أنخل جوثالت بالنتيا : تاريخ الفسكرا الاندلسي ، ص ١٠٩ .

قلب مصراعه .

سيوقظها قدر لا ينام (١) .

وقد انتهى امر ابن عباس بوقوعه أسيراً في قبضة باديس بن حبوس صاحب غرناطة الذى قتله بيده في ٢١ ذى الحجة ٤٢٧ هـ (١٠٣٥ م) (٢) .
اما ابو الحسن مختار بن عبد الرحمن بن سهر الرعيني (٣) ، الذى تولى قضاء
المزب في عهد زهير العامري ، فقد كان جامعاً لفنون العلم والمعرفة ، وتمكن فيها ،
وتميزه أسلوبه بالسلاسة والعدوثة ، وكان الرعيني شخصية قوية تعتر بنفسها
ويقتل ان زهير ملك المربة استدعاه يوماً من مجلس حكمه ، فجاءه يمشى على
مهل ، فاستعجله رسول زهير ، فلم يهرع في مشيته ، فلما دخل مجلس زهير
قال له : « يافقيه ما هذا البطء ؟ فتأخر الى باب المجلس ، وطلب عصا ، وشمر
ثيابه . فقال له زهير : ما هذا ؟ قال هذا يليق باستعجال الحبائب لى ، فضحك
زهير واستحلاه ولم يعد الى استعجاله » (٤) . وبالإضافة الى ملكته الادبية
فقد كان شاعراً مطبوعاً ، وتغلب على شعره روح السخرية فيذكر ان
دخل ذات يوم حماماً وكان يجلس بازائه عامى اساء اليه الادب ،
فقال الرعيني :

الا لعن الحمام داراً فانه سواء به ذو العلم والجهل في القدر

(١) ابن الخطيب : الاحاطة ، ١٠٠ ، ص ٢٦٩ ، وأنظراً أيضاً دوزى : ملوك الطوائف

ص ٤٩ ، بالثبوت : تاريخ السكر الاندلسى ، ص ١١٠ .

(٢) ابن الخطيب : المصد ، السابق ، ١٠٠ ، ص ٢١٨ .

(٣) ابن بشكوال : مكتاب الصلاة ، القسم الثانى ، ص ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ابن سعيد :

المغرب ، ٢٠٠ ، ص ١٧ .

(٤) المقبرى تنبع الطيب ، ١٠٠ ، ص ٣٥٢ .

تفصيح به الاداب حتى كانها مصاييح لم تنفق على طاعة العجبر^(١)

وتوفي الرعيني بقرطبه سنة خمس وثلاثين واربعائه (١٠٤٣ م) ^(٢).

ومن ادباء المرية ايضا أحمد بن ادهم مرلى بنى مروان ويكنى ابا بكر ، اصله من جيان ، وسكن قرطبه ، وذكر ابن حيان انه ولى القضاء بالمرية لخيران العامري وكان متمكنا فى الفقه غزيرا فى الادب ، صائبا فى حكمة ، وتوفى فى ذى القعدة سنة ٤٢٩ هـ (١٠٣٧ م) ^(٣).

وكان أحمد بن قاسم النحوى المعروف بابن الاديب ، من اهل العالم والادب بقرطبه ثم نزل بالمرية وأستقر بها ، وكف بصره فى حدادته سنة ، وتوفى بالمرية فى سنة ٤٤٢ هـ (١٠٤٠ م) ^(٤).

وكاتب ابراهيم بن احمد بن محمد بن اسود الغساني ، وهو من أهل بجانه من المهتمين بالعلم متصفا بالصلاح والقيم والتواضع ، وتوفى سنة ٤٦٧ هـ (١٠٧٤ م) ^(٥).

ومن اعلام الادب وعلوم اللغة فى المرية ايضا ، محمد بن محمد بن الحسن الزبيدي ، الاديب النحوى ، وكان من اهل الادب والرياسة ، وقداهلتة هذه الصنفات لتولى القضاء بها ^(٦) ، والى فى النحو كتابا ساه « الواضح »

(١) المقرئ فتح الطيب ، ٤ ، ٣٥٢ .

(٢) ابن بشكوال : مکتبات الصلة ، القسم الثانى ، ص ٦١٥ .

(٣) ابن الابار : التکملة لکتاب الصلة ، ٢ ، ص ٤٠ ، ٤١ ، « ترجمة ١١٥ » .

(٤) ابن بشكوال : المصدر السابق ، القسم الاول ص ٥٢ « ترجمة ١١٠ » .

(٥) نفس المصدر ، ص ٩٦ ، « ترجمة ٢١٥ » .

(٦) الحميدى « أبو عبد الله محمد بن أبى نصر قنوح بن عبد الله الازدى » : جلدوة المتنبس فى ذكر ولادة الاندلس ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦ ، ص ٣٨ .

واختصر كتاب العين للخليل بن احمد اختصارا حسنا (١) .

ومن مشاهير الادباء فى عصر بنى صهادح ابو عبد الله محمد بن عباد
المعروف بالقزاز ، وكان من بيت كتابه ونباهه (٢) ، وبجانبه ، براعته فى
النثر برع ايضا فى الشعر والموشحات التى كثر استعمالها عند اهل
الاندلس (٣) ، ومن شعره فى ابن صهادح قوله :

ولو لم اكن عبدا لآل صهادح وفى ارضهم اصلي وعيشى ومولدى
لما كان لي الا اليهم ترحل وفى ظلمهم أمسى وأضحى وأغتنى (٤)
ومن قصيده أخرى يمدح فيها المعتصم قوله :

نقى الحب عن مقاتى السكرى كما قد نقى عن يدى العدم
فقد قر جبك فى خاطرى كما قرنى راحتك الكرم (٥)

وكان للشعراء عند المعتصم بن صهادح بوجه خاص سوق نافقه ، فقد
قصده كبار شعراء هذا العصر ، واحاط نفسه بطائفه من فحول الشعراء
اضفوا على دولته - رغم صغرها - مظهرا من التخمame والعظمه (٦) .
ومن أعظم هؤلاء الشعراء الذين قصدوا المريه فى عهد خيران العامرى ،

(١) الضي : بنية المئتمس ، ص ٦٦ ، المرقى ، فصح الطيب ، ٥ ، ص ٢٤ .

(٢) ابن الابار : التكله لكتاب الصله ، ص ٣٩٢ ، ترجمة (١٠٩٩) .

(٣) ابن سعيد : المغرب ، ٢ ، ص ١٣٦ ، ١٣٧ .

(٤) المرقى : فصح الطيب ، ٤ ، ص ٣٨٠ .

(٥) نفس المصدر ، ٥ ، ص ٣٤١ .

(٦) أنجل جونتالك بالنتيا : تاريخ الفكر الاندلسى ، ص ١١٠ ، السيد عبد العزيز

سالم : تاريخ مدينة المريه الاسلاميه ، ص ١٧٦ .

الشاعر أبو عمر أحمد بن دراج القسطلی^(١) الذي تمتع بشهره فائقه في نظم الشعر فكان بين جلة العلماء والمقدمين من الشعراء^(٢) ، ويصفه الثعالبي في كتاب اليتيمه بقوله : « هو بالصقع الاندلسي كالمتنبى بصقع الشام »^(٣) . وذكره ابن حيان بقوله : « سباق حبه الشعراء العامرين وخاتمة محسني أهل الاندلس أجمعين »^(٤) . وينم شعر القسطلی عن مجموع علمه وعلى منهجه في البلاغه والرسائل مما يدل على سعه إطلاعه وتمكنه^(٥) . ويذكر الحميدى انه سمع « أبا محمد على بن احمد ، وكان عالما بنقد الشعر يقول : لو قلت انه لم يكن بالاندلس أشعر من ابن دراج لم أبعده ، وقال مرة أخرى : لو لم يكن لنا من فيحول الشعراء الا احمد بن دراج لما تأخر عن شأو » حبيب

١ ، ابن سعيد : المغرب ، ٢٨ ، ص ٦٠ ، من تخطه دراج من اعمال جياث ، (تنس المصدر والجزء والصفحة) .

٢ (الحميدى : جنود المقتبس في ذكر ولاء الاندلس ، ص ١١٠ ، وانظر ايضا ، ابن بشكوال : كتاب العله ، ٩٨ ، ص ٥٠ : الضبي ، بقية الملتبس ، ص ١٥٨ ، ابن بسام الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ٤٣ .

٣ ، الثعالبي (ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابوري) : يتيمة الدهر في محاسن أهل مصر ، ٢٨ ، تحقيق شيخ محمد عيسى الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٦ ، القاهرة ، ص ١٠٤ ، وانظر ايضا : ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ١ ، ص ٤٤ ، ابن سعيد : المصدر السابق ، ص ٦ ، المقرئ : فتح الطيب ، ٤٨ ، ص ١٨٤ .

٤ (ابن بسام : المصدر السابق ق ١ ، م ١ ، ص ١٤٤ .

٥ (الحميدى : المصدر السابق ، ص ١١٠ ، راجع ايضا ، ابن بشكوال المصدر السابق ص ٤٠ ، الضبي المصدر السابق ، ص ١٥٨ .

والمتنبى « (١) ويشبهه المستشرق الأسباني الاستاذ غرسيه جومث بالشاعر الأسباني جنجيرا وذلك في تعقيده عن الفهم (٢) .

ومن المعروف ان ابن دراج القسطلي لم يجد بدا في زمن الفتنه: بعد أن ضاقت به الحال من ان يضرب في مناكب شبه الجزيرة بحثا عن مستقر جديد وخرج فعلا من قرطبة واخذ يحول في أنحاء الاندلس من ملك الى ملك ومن أمير إلى أمير مما عبر عنه ابن حيان : قائلا « فاستقرى ملوكها أجمعين ما بين الجزيرة الخضراء فسرقسطة من الثغر الأعلى بهز كلا بمديحة » (٣) . وكان خيران العامري صاحب المرية ممن مدحهم ابن دراج ، اذ مدحه بقصيده طارت شهرتها في المشرق والمغرب ، وهو متوجه الى سرقسطة سنة ٤٧٠ هـ (١٠١٦ م) ومنها :

لك الخير قد أوفي بعهدك خيران وبشراك ، قد آواك عز وسلطان (٤)
وتعتبر هذه القصيدة من أجل ما نظم ابن دراج وأصدقاه ، أما خيران

١ (الحيدى : جذوه المتنبى ، ص ١١٣ ، ص ١١٤ ، وراجع ايضا ، ابن بشكوال : الملح ١ ، ص ٢٤٠ ، الضبي : بشية المتنبى ، ص ١٦١ .

٢ (الشعر الاندلسي ، ص ٢٨ ، وراجع ايضا ، انجل جونتاث : بالشتيا : تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ٦٦ .

٣ (ابن بسام : الذخيرة : ق ١ ، م ١ ، ص ٤٤ ، ومن ابن دراج ايضا : راجع الدوايه الرائعه التي عقدها المذكتور محمود على مكى في مقدمه ديوان ابن دراج ، (ديوان ابن دراج القسطلي ، المقدمة) .

٤ (ديوان ابن دراج ، ص ٦٨ ، راجع ايضا ، ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ ، م ٩ ، ص ٤٥ ، ابن الخطيب : اعمال الاله-لام ، : القسم الخامس بالاندلس ، ص ٢٤٢ .

فلم يكافئه ابن دراج على ما نظمته في مدحه بجائزه نجزيه (١) .

ومن مشاهير شعراء المعتصم بن صمادح ، أبو الفضل جعفر بن أبي عبد الله ابن شرف البرجي ، وله تواليف في الامثال والاخبار والاداب والشعار (٢) ولكنة ينزع عادة نحو الفلسفة (٣) ، ولذلك عرف بالحكيم الفياسوف (٤) ، واشتهر بمدح المعتصم بن صمادح ، ومما مدحه به قوله :

لم يبق في الجود في أيامكم اثر الا الذي في عيون الغيد من حرر (٥)
 ومن اتصل بالمعتصم من الشعراء أبو عبد الله بن الحداد وأبو حنص بن الشهيد ، اما أبو عبد الله بن الحداد واهله من وادي آش وسكن المريه ، فقد ارتفعت منزلته عند المعتصم إلى حد ان اسند اليه الوزارة ، وكان من الطبيعي ان ينظم ابن الحداد جل شعره في مدح بني صمادح ارباب نعمته ، ومن مدائحه للمعتصم قوله :

لعلك بالوادي المقدس شاطيء فكالعبر الهندى ما انا واطيء
 ولى في السرى من نارهم ومناهم بجواد هواء والنجوم طوافي (٦)

(١) الجيديد : جنوه القفس ، ص ٢٩٤ (ترجمه ٩٣٠) .

(٢) ابن بدوآل : كتاب العله ، ص ١٢٠ ، ص ١٣١ ، ابن بسام : التاريخ ، القسم الثالث مخطوط ، لوحة ٢٧٤ ، ابن سعيد : المغرب ، ص ٢٠٢ ، ص ٢٣٠ ، ص ٢٣١ .

(٣) غارسيا ثوميث : الشعر الاندلسي ، ص ٥٢ .

(٤) آنخل جوثالث بالثيا : تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ١١٠ .

(٥) ابن سعيد : المصدر السابق ، ص ٢٣٢ .

(٦) ابن بسام : التاريخ ، ص ١٠٣ ، ص ٢٠٢ ، ابن سعيد : المصدر السابق ، ص ٢٣٢ .

واحِب ابن الحداد صبيه نصرانية تدعى نويره قال فيها شعرا ينم عن عاطفه مشبوهه (١) ، وكذا استمرت حبائل الود ممتده بينه وبين المعتصم فيتره من الزمان الى ان تغير قاب المعتصم عليه فأقصاه عنه ذلك لان ابن الحداد رماه بالبخل ، فأثر ابن الحداد الرحيل عن المربه حتى لا يتعرض لسخطه ومقته ، فسار الى سرقسطة في سنة ٤٦١ هـ (١٠٦١ م) ، واقام بها في كنف المقتدر بن هود ، وكانت تتاب ابن الحداد بين الحين والحين حالات من اليأس والتشاؤم فيتحدث عن الزهد والاعتزال (٢) ، ويتمثل ذلك في بيتين من شعره انشدهما عند خروجه من المربه :

لزمت قناعتى وقعدت عنهم فلست ارى الوزر ولا الاميرا
وكنت سمير اشعارى سفاها فعدت للنسنياتي سميرا (٣)

وام يهنا ابن الحداد في حياته الجديدة بسرقسطة فقد كان ما يزال متعلقا بصديقه ابن ميمادح فلم يلبث ان عاد الى المربه بعد ان صفح عنه المعتصم وتوفي بها في سنة ٤٨٠ هـ (١٠٨٠ م) (٤) من آثاره ديوان شعر كبير مدون على حروف المعجم ، ركتاب في العروض سمى به بالمستنبط (٥) ، وقال ابن

١ (ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ م ٢ ص ٢٠٢ .

٢ (انخل جوثالث بالنبيا : تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ١١٢ .

٣ (ابن بسام : الذخيرة ، ق ١ م ٢ ص ٢٠١ .

٤ (ابن الابار : التكملة لكتاب الصلة ، ص ٣٦٩ .

٥ (ابن بسام : المصدر السابق ، ق ١ م ٢ ص ١٠١ ، ابن الابار : المصدر

السابق ص ٣٩٨ ، ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ١٤٣ ، ص ١٤٤ الكي

(محمد بن شاذكر بن احمد) : ذوات الواقيات ، تحقيق الشيخ محمد محي الدين

مهد الحفيد ، ج ٢ ، مطبعة الحداثة ، بمصر ، ١٩٥٠ ، ص ٣٤١ .

بسام فية « ترى العلم ينم على أشعاره ويتبين في منازعه وآثاره ، وله في العروض تأليف ، وتصنيف مشهور معروف » (١) .

أما الشاعر أبو حنص بن الشهيد ، فكان ارس النظم والنثر (٢) ، أنشد قصائد كثيرة في مدح المعتصم ، من ذلك قوله :

سبط الـيـدين كأن كل غمامه قدر كبت في راحتيه أناملا
لأعيش الا حيث كنت وانما تمضي ليال العمر بعدك باطلا (٣)
وفي بلاط ابن صراح عاش ابو عبد الله البكري الجعفي الشاعر فترة
من الزمن حظى فيها بالرعاية ، واصطفاه المعتصم وآثر مجالسته ورفع
مرتبته (٤) ، وكان شاعرا فذا له شعر كثير وخمريات تدور حول ميله الى
ملذات الحياة ، فمن ذلك قوله :

خليلى انى قد طربت الى الكأس وتقت الى شم البنفسج والآس
فقموا بنا تلهو ونستمع الغناء أنسرق هذا اليوم سرا من الناس (٥)
ومن الشعراء الذين اجتذبتهم المعتصم بهباته ابو القاسم اسعد الذي مدح
المعتصم بقصيده منها :

إذا سار سار الجود تحت لوائه فليس يحط المجد الا اذا حطا (٦)

(١) ابن بسام : المصدر السابق ، ق ٢٠٤ م ٢٤٢ ص ٢٠١ .

(٢) ابن بسام : المصدر السابق ، ق ٢٠٤ م ٢٤٢ ص ٢٣٩ ، راجع أيضا ، ابن عسافى :

البيان المغرب ، ص ٢٣٤ م ١٧٥ ابن عبيد : المغرب ، ص ٢٤٢ م ٢٠٩ ، ابن

الخطيب : أعمال الأعلام ، القسم الخامس بالاندلس ، ص ١١٠ .

(٣) ابن سعيد : المصدر السابق ، ص ٢٠٩ .

(٤) ابن الأبار : الملل السيرة ، ص ٢٤٢ م ١٨٦ .

(٥) نفس المصدر والجزء ، ص ١١٧ .

(٦) المقرئ : نفح الطيب ، ص ٢٢٩ م ٢٣٩ .

ومنهم الشاعر أبو القاسم خلف بن فرج اللبيري المعروف بالسميسري ،
وكان من أعظم شعراء البصرة في عصر الطوائف ، امتاز بين معاصريه من
الشعراء بالهجاء (١) وبالسخرية اللاذعة (٢) . وفيه يقول ابن بسام : « كان
باقعة عصره واعجوبة دهره . . . له طبع حسن ، وتصرف مستحسن ،
في مقطوعات الايات ، وخاعبه اذا هجا وقدح » (٣) ، ومن أمثلة شعره في
هجاء المعتصم ومدينة المريه قوله :

بئس دار المريه اليوم دارا ليس فيها لساكن مايجب
بسلده لآتمار الا بريح ربما قد تهب أولاتهب (٤)
وقوله :

قالوا المريه فيها نظافة قلت ايه
كأنها طست تبر ويبصق الدم فيه (٥)

وقد ألف كتابا سماه « شفاء الامراض في انتهاك الاعراض » (٦) .
ومن الوافدين على المريه من شعراء الاندلس الشاعر أبو الحسن جعفر
ابن الحاج ، أحد فحول شعراء عصره ، وتتميز على غيره بميله الى الزهد (٧) ،

(١) ابن سعد : المغرب ٢ ص ١٠ .

(٢) غارسيلا قوميت : الشعر الاندلسي ص .

(٣) ابن بسام : الذخيرة ٢ ق ١ م ٢ ق ٣ ص ٣١٣ .

(٤) ابن بسام : الذخيرة ٢ ق ١ م ٢ ص ٣١٣ ، وأنظر أيضا القرى : نفع
الطبيب ص ٣٦٠ .

(٥) ابن بسام : المصدر السابق والذخيرة ، القرى . المصدر السابق ، الصفحة .

(٦) أنخل جونثا بالنتيا : تاريخ الفخر الاندلسي ، ص ١١٣ .

(٧) الغنبي : بشية المتعمس ، ص ٢٥٧ ، « ترجمه ٦١٦ » .

وقد وصفه ابن سعيد بقوله : « اختار تعب النسك على تلك الراحة » (١) .
وقال من خمسة يرثي فيها ابن صراح ، ويندب الاندلس زمن الفتنة منها :
تَنسُجُ الدنيا على ابن معن كأنها تكلى أصيبت بآبن
أكرم مأمول ولا استثنى اثني بعتامة ولا اثني
والروض لا ينكر معروف المطر (٢) .

ولدينا أسماء عديدة من شعراء الاندلس العظام قصدوا ابن صراح بالمريه
نخص بالذكر منهم أبو بكر بن عمار ، وكان له حظ من الادب (٣) ،
وأبو الوليد النحلي البطليوس (٤) ، والأسعد بن ابراهيم بن بليطه ، الذي
يصفه ابن بسام بانه « فارس جحفل ، وشاعر محفل » (٥) ، وأبو عبد الله
محمد بن معمر المالكي المعروف بابن أخت غانم ، وكان يقول الشعر في سر
ذو حافظة نادره بجانب ولعه بكتب النحو والفقه والشريعة والطب (٦) .

وكان المعتصم نفسه شاعرا مطبوعا نسبت إليه اشعار كثيرة ، وكان بنوه
أيضا من الشعراء المجيدين . ومن ابناء المعتصم الشعراء ، رفيع الدولة وأبو
جعفر أحمد وعز الدولة ، واختهم الزجاله ام الكرام .
فأما رفيع الدولة ابو يحيى بن المعتصم بن صراح ، فقد وصفه الجعاري بانه :

(١) ابن سعيد : المفرد ، ٢ ، ص ١٧٧ .

(٢) المقري : نزه الطيب ، ٥٠ ، ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

(٣) ابن سعيد : المصدر السابق ، ٤٠ ، ص ٢٢٩ .

(٤) أنخل جونتالت بالثيا : تاريخ الفكر الاندلسي ، ص ١١٢ .

(٥) ابن سعيد : المصدر السابق ، ٤٠ ، ص ١٧ .

(٦) أنخل جونتالت بالثيا : المرجع السابق ص ١١١ ، وغانم خاله المنسوب اليه هو

الإمام العالم غانم الخزومي ، (المقري : المصدر السابق ، ٤١ ، ص ٢٦٧) .

«فرع زاك من تلك الشجرة الكريمة، وعارض جود من صوب ملك الديمة»^(١)
ومن شعر رفيع الدولة قوله :

لئن منعوا عني زيارة طيفهم ولم الف في تلك الطلول مقيلا
فما منعوا ريح الصبا سوق عرفهم وقد بكرت تندى على بليلا^(٢)
ومن شعر أبي جعفر احمد قوله :

أتى بالدر من فوق القصب فطارت نحوه طير القلوب^(٣)
ومن قول أخيه عز الدولة أبو مروان عبد الله بن المعتصم ، يخاطب أباه
من محبسه :^(٤)

أبعد السنا والمعالى خمول وبعد ركوب المذاكي كبول ؟
ومن بعد ما كنت حرا عزيزا أنا اليوم عبد أسير ذليل ؟
حللت رسولا بفرناطة فخل بها بي خطب جليل
وثقت إذ جئتها مرسلا وقد كان يكرم قبلي الرسول
فقدت المرية ، أكرم بها فاللوصول إليها سبيل
فرأجبه أبوه :

عزيز على ، ونوحى ذليل على ما قاسى ، ودمعى يسيل
لقطعت إليس أغمادها وشقت بنود وناحت طبول
لئن كنت يعقوب في حزنه ويوسف انت ، فعصير جميل^(٥)

(١) ابن سعيد : الغرب ٤ - ٢ ص ١٩٩ « ترجمة ١٨١ » .

(٢) ابن الأبار : الحلة السراء ٤ - ٢ ص ٩٥ ، وأنظر أيضا ابن سعيد : المصدر السابق ٤ - ٢ ص ٢٠٠ .

(٣) ابن سعيد : نفس المصدر ٤ - ٢ ص ٢٠٠ .

(٤) كان رسولا لايه الى ابن تاشفين ، فأمر هذا باعتقاله « راجع مذكرات الأوب » .

عبد الله ص ١٦٢ ابن الأبار : الحلة السراء ٤ - ٢ ص ٨٨ ٨٩ «

(٥) ابن الأبار : الحلة السراء ٤ - ٢ ص ٨٨ ٨٩ .

شاعرات المريه:

ولم يقتصر نظم الشعر على الشعراء ، بل نظمها ايضا شاعرات عشن في عصر المريه الذهبي في ظل بنى صمادح ، وفي خلال يقظته الادبيه ونهضته الشعرية (١) ، ومن شاعرات المريه : الغسانيه البجانيه ، وزينب المريه ، وغايه المنى ، وام الكرام بنت المعتصم بن صمادح .

الغسانيه البجانيه :

عاشت في بجانها من عمل المريه في القرن الخامس الهجري (٢) ، واتسم شعرها بالاصالة والعمق (٣) ، ومن نظمها في الغزل وشكوى الفراق :

اتجزع ان قالوا سترحل اظفان وكيف تطيق الصبر ويحك اذ بانوا
فما بعد الا الميئ عند رحيلهم والا فصبر مثل صبر واحزان (٤)

زينب المريه :

وهي مثل سابقتها من الحرائر ، قدمت شعرا ناضجا كل النضوج نابضا بالحياة صافي الاسلوب في غير عمر ، صادق الحس في غير خفاء (٥) ، ومن نظمها :

يا أيها الراكب القادى لطينه عرج انبئك عن بعض الذي أجد

(١) السيد عبدالعزيز سالم : تاريخ مدينة المريه الاسلاميه ٧٤٤ وما يليها .

(٢) ابن سعيدي : الغرب ٤٢٠ ص ١٩٢ .

(٣) مصطفى الشكعة : مسود من الادب الاندلسي ، ذا النهضه العربيه ، بيروت ،

١٩٧١ ص ١١٥ .

(٤) ابن سعيدي : المصدر السابق ٤٢٠ ص ١٩٢ .

(٥) مصطفى الشكعة : المرجع السابق ص ١١٦ .

ما عاج الناس من وجد نضمهم الا ووجدى بهم فوق الذى وجدوا (١)
غايه المنى :

وهى جارية ، قدمها قيان الى المعتصم بن صمادح لى يختبرها قبل أن يشتريها
فسألها : ما اسمك ؟ فقالت : غايه المنى ، وكان ابن صمادح يريد قينه شاعره ،
فقال لها الامير : اجيزى :

اسألو غايه المنى

فقال فى سرعة بديهه ورقه خاطر

من كسا جسمى الضنا

وارانى مولها سيقول الهوى أنا (٢)

وهى واحده من هؤلاء الشاعرات من حرائر وقيان كن يطربن الاسماع
باشعارهن الاتويه العذبه الرقيقه (٣) .

ام الكرام بنت المعتصم بن صمادح :

واذا كانت الفسانيه البجانيه وزينب المربه من بنات الشعب ، وغايه المنى
واحده من القيان ، فان شاعرنا ام الكرام كانت اميره من بيت ملك بنى
صمادح ، ولقد جرت العاده فى قصور ملوك الاندلس ان يعهدوا بيناتهم ونسائهم
لمعلمات يتعهدن بالتعليم والتهديب وقراءه الشعر وحفظه ، وليس بغريب على
المعتصم بن صمادح الشاعرو راعى الآداب ، والفنون ان يعهد بتاديب ابنته (٤) ،

(١) المقرئ : نفع الطيب ٤ - ٦ - ٢٢ .

(٢) المقرئ : نفع الطيب ٤ - ٥ - ٢٢ .

(٣) مصطفى الشكعة : صور من الادب الاندلسى ٢ - ١٩٨ .

(٤) وبذكرنا فى هذا بالاديبه ولاده بنت المستكفى النوفه ٨١ : هـ ، التى أثرت

فى الاوساط الاديبه بقرطبه بقدر كبير خاصه لدى الشاعر ابن زيدون .

لما لسه فيها من نبوغ وذكاء حتى نظمت الشعر الجميل وأسهمت بقدر في انشاء
الموشحات (١) ومن شعرها الرقيق العذب قولها :

ألا ليت شعري هل سبيل خلوة ينزه عنها سمع كل مراقب
وياعجبا اشتاق خلوة من غدا ومشواه ما بين الحشا والترائب (٢)

ان ام الكرام شاعرة رقيقة بارعة الغزل حسنة التعبير، وقد اثر انها كانت
تصنع التواشيع ، ولا يستطيع ذلك الا الشاعر ذو القدره ، والفنان ذو الموهبة
والصنعة لما تخضع له الموشحة من نسق يتكرر بين اقفال وغضون وتشطير وترصيع
الذي يجعل من ام الكرام شاعره فنانه بارعة واديبه بارزه (٣) .

الدراسات اللغوية والنحوية :

اهتم اهل الاندلس بالدراسات اللغوية والنحوية اهتماما خاصا منذ قيام دولة
عبد الرحمن الاوسط، ولكن هذه الدراسات كانت مقصورة على قراءة النصوص
الادبية سواء المنشور منها او المنظوم لتربية الملكات الادبية عند ابنائهم (٤) . ثم
بدأت الدراسات اللغوية تعتمد على ما نقله الاندلسيون في رحلاتهم إلى المشرق
من معجونات علماء اللغة المشاركة امثال سيبويه والكسائي وابو علي القالي (٥)
فقد ادخل جودى بن عثمان العيسى (ت ١٩٨ هـ) في الاندلس كتاب الكسائي
بعد عودته من المشرق (٦) . ومنذ ذلك الحين اخذت تظهر بعض التواليف في

(١) مصطفى الشكعة : صور من الادب الاندلسي ، ص ١١٨ .

(٢) المقرئ : نفع الطيب ، ص ٢٦٤ ، ص ٢٢٤ ، ص ٢٢٤ .

(٣) مصطفى الشكعة : المرجع السابق ، ص ١٢٠ .

(٤) لطفى عبد البديع : الاسلام في أسبانيا ، ص ٧٣ .

(٥) السيد عبد العزيز : عالم : تاريخ مدينة الاسلاية ، ١٨٠٠ .

(٦) لطفى عبد البديع : المرجع السابق ، ص ٧٣ .

النحو ، فكتب جودى بن عثمان كتابا فى النحو بعنوان « منبه الحجاره »^(١) ، كما ألف أبو بكر بن القوطيه (ت ٣٦٧ هـ) ، مصنفين هامين احدهما كتاب « تصاريح الافعال » والثانى « كتاب المقصود والمحدود »^(٢) ومن كبار علماء النحو فى الاندلس محمد بن الحسن الزبيدى الذى كان واحد عصره فى علم النحو وحفظ اللغة^(٣) ، ألف فى النحو كتابا سماه « الواضح » ، واختصر كتاب « العين » ، وله فى اخبار النحويين كتابا مشهوره^(٤) .

وفى عصر ملوك الطوائف ، ظهر عدد كبير من كبار علماء النحو واللغة فى الاندلس ، وساهمت المريه بعدد كبير من علمائها فى اللغة فى هذه الحركة العلميه من النحويين ، أبو الحسن سليمان بن محمد بن الطراوة نحوى المريه ، الذى ذاق زملاءه ، وصفه ابن بشكوال قولا : « لم يكن بها (أى المريه) فى هذه الصناعه مثله ، وله الذكر السائر فى « لائق »^(٥) ، ولا بن الطراوة ايضا من التقييدات فى النحو ماهو مشهور () .

كما برز محمد بن احمد بن عبد الله النحوى ويعرف بابن اللجاش ، وكان ملما بالاصول والنحو ، ومن تواليفه اختصار فى كتاب ابى جعفر الطبرى فى

(١) ابن سعيد : المغرب ، ج ١ ، ص ١١٣ .

(٢) ابن الفرضى : تاريخ علماء الاندلس ، القسم الثانى ، ص ٧٦ ، « ترجمة ١٣١٨ » ،

الضبي : بغية المنتقى ، ص ٥١٩ ، ترجمة « ١٥١٩ » .

(٣) ابن الفرضى : المصدر السابق ، القسم الثانى ، ص ٨٩ ، ص ٩٠ ، « ترجمة ١٣٥٧ »

(٤) الضبي : بغية المنتقى ، ص ٦٦ « ترجمة ٦٥ » ، المقرئ : تتبع الطيب ، ص ٤٤

ص ٧٥ ، ص ٧٤ .

(٥) ابن سعيد : المغرب ، ج ٢ ، ص ٢٠٨ ، المقرئ : المصدر السابق ، ص ٤٤ ، ص ٣٥٥ .

(٦) المقرئ : نفس المصدر ، ص ٤٤ ، ص ١٧٥ .

تفسير القرآن (ت ٤٩٠ هـ) (١) ومنهم ايضا العالم اللغوى أبو عبد الله محمد بن
معمر بن أخت غانم الذى برز فى عصر المعتصم بن صمادح (٢) . وممن استوطن
المريه من علماء اللغة ايضا محمد بن نعمه الاسدى العابر القيروانى ، « وكان معنيا
بالعلم ، عالما بالعبرة وجمع فيها كتباً » (٣) . والفقيه احمد بن محمد بن أسود
الفسانى (ت ٤٦٩ هـ) (٤) ، والفقيه محمد بن يقي اللخمي (ت ٤٨١ هـ) ، وكان
فقيها ذو علم بالخبر وعلم الاثر (٥) ، ومنهم ايضا الفقيه احمد بن رشيق التغاي
البجاني الاصل « وكان حافظا للفقه وشوورا في المريه ، ونواظر عليه فى الفقه » (٦)
والفقيه احمد بن يحيى بن يحيى البجاني وكان من كبار فقهاءها ، وتولى أمر
الفتيا بها (ت ٤٧٢ هـ) (٧) .

ومن الوافدين على المريه زمن الفتنة ، الفقيه احمد بن عفيف بن عبد الله
ابن مريـوال بن جراح بن حاتم الاموى ، وقد غنى بالفقه وعقد الوثائق
والشروط ، فقصد خيران العامرى الذى احسن وفادته واكرمه وقربه إليه
لفضله وامانته ، وقلده قضاء لورقه (٨) .

-
- (١) ابن بشكوال : كتاب المله ٢٠٢ ص ٥٦٣ « ترجمة ١٢٣ » .
 - (٢) المقرئ : المصدر السابق ٢٠٤ ص ٣٦٧ .
 - (٣) ابن بشكوال : المصدر السابق ٢٠٢ ص ٦٠٣ « ترجمة ١٢٣ » .
 - (٤) نفس المصدر ٢٠١ ص ٤٦٤ « ترجمة ١٣٥ » .
 - (٥) نفس المصدر ٢٠٤ ص ٥٥٥ « ترجمة ١٢١٨ » .
 - (٦) نفس المصدر ٢٠١ ص ٥٣ « ترجمة ١١٤ » .
 - (٧) نفس المصدر ٢٠١ ص ٦٥ « ١٣٩ » .
 - (٨) نفس المصدر ٢٠١ ص ٣٨٢ « ترجمة ٧٥ » أنزل حوثات بالنسبة
تاريخ الفكر الاندلسى ٤٢٣ .

ثانيا : العلوم الدينية

كما اهتم أهل المريه بعلوم الادب واللغة ، اهتموا بالعلوم الدينية فاولوها نصيبا كبيرا من رعايتهم ، وصنفوا فيها الكتب ، ومن كبار المحدثين في المريه في عصر الطوائف عيسى بن محمد بن عيسى الرعيني ، ويعرف بابن صاحب الاحياس (ت ٤٧٠ هـ) ، وكان من جله العلماء ورجال الادب ، وتولى القضاء بالمريه (١) ، ومنهم ايضا ابراهيم بن سعيد بن عثمان بن وردون النسيري (ت ٤٧٩ هـ) الذي كان معنيا بالعلم والروايه (٢) ، ومحمد بن خلف بن سعيد ابن وهب ، المعروف بابن المراءط (ت ٤٩٥ هـ) ، وكان من اهل العلم والروايه (٣) .

ومن علماء التفسير المهلب بن احمد بن اسيد بن ابي صفره الاسدي (ت ٤٣٠ هـ) وواضح أنه ينتسب إلى بيت المهلب بن ابي صفره ، وله كتاب في شرح البغاري اخذه الناس عنه وولى قضاء المريه (٤) ، والفقيه محمد بن سعد بن ابن علي بن علي بن بلال القروي ، وكان عالما بالاصول والفروع ، وكتب الحديث بمكة ومصر القيروان (٥) ، وحجاج بن قاسم بن محمد بن هشام الرعيني وكان مشاوراً بالمريه (٦) ، وطاهر بن هشام بن طاهر الازدي ، وكان مغنيا

-
- (١) ابن بشكوال ، المصدر السابق ، ٢٠٢ ، ص ٤٣٧ ، « ترجمة ٩٣٩ » :
 - (٢) نفس المصدر ، ٤١٠ ، ص ٩٦ ، (ترجمة ٢١٧) .
 - (٣) نفس المصدر ، ٤١٠ ، ص ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، « ترجمة ١٢٢٤ » .
 - (٤) نفس المصدر ، ٤٢٢ ، ص ٦٢٦ ، ١٢٧ ، (ترجمة ١٧٩) .
 - (٥) نفس المصدر ، ٤٢٢ ، ص ٦٠٣ ، « ترجمة ١٣٢٢ » .
 - (٦) نفس المصدر ، ٤١٠ ، ص ١٥٢ ، (ترجمة ٢٤٢) ، الفبي : بشية المتمس ،
- ٢٨٥ (ترجمة ٦٩٠) .

بالمريه^(١) ، والمحدث خلف بن احمد بن جعفر الجراوى ، « وكان معتنيا بالعالم والروايه لة ، وتولى الخطبه بالمريه »^(٢) .

ثالثا : علم الجغرافيا

بدأ الاهتمام بالتأليف فى الجغرافيه عند الاندلسيين فى عصر الخلافة^(٣) ، وقد لقي اهتماما خاصا منهم ، نظرا لانقطاعهم عن العالم الاسلامى ، واحتكاكهم بالعالم الاروبى ، مما اوجب عليهم ان يعرفوا مسالكه الموصلة إلى بلادهم بالاضافه إلى طبيعته الجغرافيه وسكانه^(٤) .

وفى عصر ملوك الطوائف ظهر اول مؤلف جغرافى اندلسى ذو قيمة عظيمه وهو المسمى « المسالك والممالك » لابی عبيد الله بن عبد العزيز بن محمد البكرى (٤٣٢ / ٤٨٧ هـ ، ١٠٤٠ - ١٠٩٤ م)^(٥) .

وكثر التأليف فى الجغرافيا فى هذا العصر فظهر جمهور كبير من الجغرافيين الاندلسيين وشاركت المريه بنصيب وافر فى هذه الحركة العلميه ، ويكتفىها فخرا ان ينسب اليها جغرافى عظيم جليل الشأن وهو العذرى المعروف بابن الدلائى^(٦) . وينتسب العذرى الى بنى عذره ، وكان اثنين من اجداده وهما زغبه

(١) ابن بشكوال : المصدر السابق ٤١٠ هـ ٤٢٠ (ترجمة ٥٤٥)

(٢) نفس المصدر ٤١٠ هـ ١٧١ (ترجمة ٣٨٦)

(٣) آنخل جونتاك بالنثيا : تاريخ الفلكر الاندلسى ٢٠١ هـ

(٤) السيد عبد العزيز سالم : التاريخ والؤرخون العرب ٢٠٠ هـ

(٥) آنخل جونتاك بالنثيا : المرحم السابق ٣٠٩ هـ

(٦) هو أحمد بن عمر بن أنس بن دلهسات بن أنس بن هلمدان بن صمران بن

منيب بن زغبه بن قطينه العذرى ، وعرف بابن الدلائى ، ويسكن في إشباه العباس

(راجع الحميدى جذوة المقتبس ١٣٦ هـ ترجمة ٢٣٦) .

ابن قطبه وياسين بن يحيى قد نولا قرية دلايه في صدر الدولة الاموية بالاندلس (١) ومن ثم عرف بابن الدلائى نسبة إلى دلاية .

ولد العذري في المريه في سنة ٣٩٣ هـ (١٠٠١ م) ، وعندما بلغ الرابعة عشر من عمره أى في سنة ٤٠٧ هـ / ١٠١٦ م رحل مع والديه إلى المشرق ووصلوا إلى مكة في سنة ٤٠٨ هـ (١٠١٦ م) ، وجاوروا اعواما بها ، وسمع الكثير من شيوخها ومنهم الشيخ ابى العباس الرازى ، والشيخ ابو زر عبد بن احمد الهرمرى وعليه سمع صحيح البخارى كما سمع علي الكثير من القادمين اليها من أهل الرواية والحفظ من أهل العراق وخراسان والشام (٢) . ورحل عن مكة في سنة ٤١٦ هـ (١٠٢٥ م) .

ومما لاشك فيه ، ان هـ.ذ.ه. النشأة الدينية كان لها عظيم الاثر في اهتمامات العذري العلمية ، فان كنا نعرف العذري مؤلفا جغرافيا فقد وجه جل اهتمامه بعلم الحديث « بل ان عنايته بالحديث تنهض في المقام الأول على اقراء ايهات كتب الحديث وخاصة الصحيحين (٣) ، ومن تواليفه في هذا المجال « فهرسه شيوخه » وكتاب « انقضاض ابكار اوائل الاخبار » (٤) ، وقد أورد ياقوت الحموى اسم كتاب له بعنوان « اعلام النبوه » (٥) .

(١) العذري : ترصيع الاخبار ، ص ٩٥ ، دلايه : هي من اعمال المريه ، تقع في جنوب شرق برجه بمسافه تسعه كيلومترات ، (راجع : الحميرى : الروض المنظر ، الترجمة الفرنسيه ص ٦٦ ، مادة دلايه رقم ٧٥ ، وهامش نفس المصدر رقم ٣) .

(٢) ابن بشكوال ، كتاب الصلة ، ص ١٠ ، ص ٦٧ ، (ترجمة ١٤١) .

(٣) العذري : المصدر السابق ، ص د من مقدمه المحقق .

(٤) نفس المصدر والصفحة .

(٥) معجم البلدان ، المجلد ، الخامس ، ص ١١٩ .

والجدير بالذكر ان كتب التراجم (١) ، قد خلت من أثر اشارته إلى اهتمام العذري بالتأليف في الجغرافيا ، ولم تسم له كتابا في هذا المجال . أما الذين أشاروا إلى مصنفه في الجغرافيه ، فهم الجغرافيون القدامى بالاندلس ، فقد ذكره البكري في « المسالك والممالك » ، كما ذكره الادريسي في مقدمة كتاب « نزهة المشتاق في اختراق الافاق » وابن عبد المنعم الجبيري في « الروض المعطار في خبر الاقطار » (٢) ، كذلك ذكره ياقوت الحموي - وهو مشرقى - في معجم البلدان ، وأشار الى كتابه « نظام المرجان في المسالك والممالك » (٣) .

وكتاب « ترصيع الاخبار وتنويع الاثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك الى جميع الممالك » ، الذي صنفه العذري واستحسنه جغرافيه و الاندلس فقد فقد معظمه ولم يتبق منه الا جزء مخطوط عنده : « السفر السابع من ترصيع الاخبار وتنويع الاثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك » الى جميع الممالك » وقام بتحقيقه الاستاذ الدكتور عبد العزيز الاهواني (مدير ١٩٦٥) ، وذكر المحقق في مقدمة له أن هذا الجزء الذي وصل إلينا لا يتجاوز

(١) الحميدى : جذره المقتبس ، ص ١٣٦ ، (ترجه ٢٣٦) ، ابن بشكوال :
الصله ، ص ١٦٦ (ترجه ١٤١) ، الضبي : بقيه الملتص ، ص ١٩٥ ،
(ترجه ٤٤٦) .

(٢) حسين مؤنس : الجغرافيه والجغرافيون في الاندلس ، صحيفة مهمه الدراسات
الاسلاميه في مدريد (المجلدات السابع والثامن ، مدريد ١٩٥٩ /
١٩٦٠ ص ٢٧٩ .

(٣) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الخامس ، ص ١١٩ .

عشر الكتاب غالباً « (١) .

ويتضمن هذا الجزء وصفاً جغرافياً ضمنه المؤلف أشارت تاريخية للمواضع التي تعرض لها في كور تدمير ، وبلنسيه ، وسرقسطه ، واشبيلية ، ولبله وشذونه والجزيرة الخضراء وقرطبة ، استند فيها على روايات أحمد بن محمد الرازي وابنه عيسى مع تكملة الاخبار إلى أيامه (٢) .

وقسم العذري هذا الجزء - الذي بين أيدينا - إلى أقسام ، كل قسم تناول كوره من كور الاندلس (٣) ، ثم يتلو ذلك ذكر الطريق من قاء مدة الكوره السابقة إلى قاعدة الكوره التي يتحدث عنها ، ووصفه للطريق على أساس المحلات أو على أساس الأميال أو الفراسخ (٤) . ثم يتكلم العذري عن المدن التابعة للكورة ويعددتها واحده واحده (٥) ، معتمداً في ذلك على ما نقله من أحمد الرازي أولاً ، ثم يضيف من عنده تفصيلات هامة إن دلت على شيء ، فإنما تدل على اطلاع ومعرفة ومشاهدة (٦) ثم يتحدث عن الأقاليم التابعة لكل كوره وأعمالها وفي خلال حديثه عن الكوره نجد أنه يمدنا بتفاصيل تاريخية عن

١ العذري : ترصيع الاخبار ص ١ من مقدمه المحقق .

٢ حسين مؤنس - الجغرافيه والجغرافيين في الاندلس ص ٢٨٠ .

٣ ترصيع الاخبار ، راجع صفحات ارقام ١٧٤ ١٧٥ ٢١٤ ٢١٥ ٢١٦ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩ ٢٢٠ ٢٢١ ٢٢٢ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦ ٢٢٧ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣ ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦ ٢٣٧ ٢٣٨ ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٤٩ ٢٥٠ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ ٢٥٧ ٢٥٨ ٢٥٩ ٢٦٠ ٢٦١ ٢٦٢ ٢٦٣ ٢٦٤ ٢٦٥ ٢٦٦ ٢٦٧ ٢٦٨ ٢٦٩ ٢٧٠ ٢٧١ ٢٧٢ ٢٧٣ ٢٧٤ ٢٧٥ ٢٧٦ ٢٧٧ ٢٧٨ ٢٧٩ ٢٨٠ ٢٨١ ٢٨٢ ٢٨٣ ٢٨٤ ٢٨٥ ٢٨٦ ٢٨٧ ٢٨٨ ٢٨٩ ٢٩٠ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٣ ٢٩٤ ٢٩٥ ٢٩٦ ٢٩٧ ٢٩٨ ٢٩٩ ٣٠٠ ٣٠١ ٣٠٢ ٣٠٣ ٣٠٤ ٣٠٥ ٣٠٦ ٣٠٧ ٣٠٨ ٣٠٩ ٣١٠ ٣١١ ٣١٢ ٣١٣ ٣١٤ ٣١٥ ٣١٦ ٣١٧ ٣١٨ ٣١٩ ٣٢٠ ٣٢١ ٣٢٢ ٣٢٣ ٣٢٤ ٣٢٥ ٣٢٦ ٣٢٧ ٣٢٨ ٣٢٩ ٣٣٠ ٣٣١ ٣٣٢ ٣٣٣ ٣٣٤ ٣٣٥ ٣٣٦ ٣٣٧ ٣٣٨ ٣٣٩ ٣٤٠ ٣٤١ ٣٤٢ ٣٤٣ ٣٤٤ ٣٤٥ ٣٤٦ ٣٤٧ ٣٤٨ ٣٤٩ ٣٥٠ ٣٥١ ٣٥٢ ٣٥٣ ٣٥٤ ٣٥٥ ٣٥٦ ٣٥٧ ٣٥٨ ٣٥٩ ٣٦٠ ٣٦١ ٣٦٢ ٣٦٣ ٣٦٤ ٣٦٥ ٣٦٦ ٣٦٧ ٣٦٨ ٣٦٩ ٣٧٠ ٣٧١ ٣٧٢ ٣٧٣ ٣٧٤ ٣٧٥ ٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨ ٣٧٩ ٣٨٠ ٣٨١ ٣٨٢ ٣٨٣ ٣٨٤ ٣٨٥ ٣٨٦ ٣٨٧ ٣٨٨ ٣٨٩ ٣٩٠ ٣٩١ ٣٩٢ ٣٩٣ ٣٩٤ ٣٩٥ ٣٩٦ ٣٩٧ ٣٩٨ ٣٩٩ ٤٠٠ ٤٠١ ٤٠٢ ٤٠٣ ٤٠٤ ٤٠٥ ٤٠٦ ٤٠٧ ٤٠٨ ٤٠٩ ٤١٠ ٤١١ ٤١٢ ٤١٣ ٤١٤ ٤١٥ ٤١٦ ٤١٧ ٤١٨ ٤١٩ ٤٢٠ ٤٢١ ٤٢٢ ٤٢٣ ٤٢٤ ٤٢٥ ٤٢٦ ٤٢٧ ٤٢٨ ٤٢٩ ٤٣٠ ٤٣١ ٤٣٢ ٤٣٣ ٤٣٤ ٤٣٥ ٤٣٦ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٣٩ ٤٤٠ ٤٤١ ٤٤٢ ٤٤٣ ٤٤٤ ٤٤٥ ٤٤٦ ٤٤٧ ٤٤٨ ٤٤٩ ٤٥٠ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٤ ٤٥٥ ٤٥٦ ٤٥٧ ٤٥٨ ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٥ ٤٦٦ ٤٦٧ ٤٦٨ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٢ ٤٧٣ ٤٧٤ ٤٧٥ ٤٧٦ ٤٧٧ ٤٧٨ ٤٧٩ ٤٨٠ ٤٨١ ٤٨٢ ٤٨٣ ٤٨٤ ٤٨٥ ٤٨٦ ٤٨٧ ٤٨٨ ٤٨٩ ٤٩٠ ٤٩١ ٤٩٢ ٤٩٣ ٤٩٤ ٤٩٥ ٤٩٦ ٤٩٧ ٤٩٨ ٤٩٩ ٥٠٠ ٥٠١ ٥٠٢ ٥٠٣ ٥٠٤ ٥٠٥ ٥٠٦ ٥٠٧ ٥٠٨ ٥٠٩ ٥١٠ ٥١١ ٥١٢ ٥١٣ ٥١٤ ٥١٥ ٥١٦ ٥١٧ ٥١٨ ٥١٩ ٥٢٠ ٥٢١ ٥٢٢ ٥٢٣ ٥٢٤ ٥٢٥ ٥٢٦ ٥٢٧ ٥٢٨ ٥٢٩ ٥٣٠ ٥٣١ ٥٣٢ ٥٣٣ ٥٣٤ ٥٣٥ ٥٣٦ ٥٣٧ ٥٣٨ ٥٣٩ ٥٤٠ ٥٤١ ٥٤٢ ٥٤٣ ٥٤٤ ٥٤٥ ٥٤٦ ٥٤٧ ٥٤٨ ٥٤٩ ٥٥٠ ٥٥١ ٥٥٢ ٥٥٣ ٥٥٤ ٥٥٥ ٥٥٦ ٥٥٧ ٥٥٨ ٥٥٩ ٥٦٠ ٥٦١ ٥٦٢ ٥٦٣ ٥٦٤ ٥٦٥ ٥٦٦ ٥٦٧ ٥٦٨ ٥٦٩ ٥٧٠ ٥٧١ ٥٧٢ ٥٧٣ ٥٧٤ ٥٧٥ ٥٧٦ ٥٧٧ ٥٧٨ ٥٧٩ ٥٨٠ ٥٨١ ٥٨٢ ٥٨٣ ٥٨٤ ٥٨٥ ٥٨٦ ٥٨٧ ٥٨٨ ٥٨٩ ٥٩٠ ٥٩١ ٥٩٢ ٥٩٣ ٥٩٤ ٥٩٥ ٥٩٦ ٥٩٧ ٥٩٨ ٥٩٩ ٦٠٠ ٦٠١ ٦٠٢ ٦٠٣ ٦٠٤ ٦٠٥ ٦٠٦ ٦٠٧ ٦٠٨ ٦٠٩ ٦١٠ ٦١١ ٦١٢ ٦١٣ ٦١٤ ٦١٥ ٦١٦ ٦١٧ ٦١٨ ٦١٩ ٦٢٠ ٦٢١ ٦٢٢ ٦٢٣ ٦٢٤ ٦٢٥ ٦٢٦ ٦٢٧ ٦٢٨ ٦٢٩ ٦٣٠ ٦٣١ ٦٣٢ ٦٣٣ ٦٣٤ ٦٣٥ ٦٣٦ ٦٣٧ ٦٣٨ ٦٣٩ ٦٤٠ ٦٤١ ٦٤٢ ٦٤٣ ٦٤٤ ٦٤٥ ٦٤٦ ٦٤٧ ٦٤٨ ٦٤٩ ٦٥٠ ٦٥١ ٦٥٢ ٦٥٣ ٦٥٤ ٦٥٥ ٦٥٦ ٦٥٧ ٦٥٨ ٦٥٩ ٦٦٠ ٦٦١ ٦٦٢ ٦٦٣ ٦٦٤ ٦٦٥ ٦٦٦ ٦٦٧ ٦٦٨ ٦٦٩ ٦٧٠ ٦٧١ ٦٧٢ ٦٧٣ ٦٧٤ ٦٧٥ ٦٧٦ ٦٧٧ ٦٧٨ ٦٧٩ ٦٨٠ ٦٨١ ٦٨٢ ٦٨٣ ٦٨٤ ٦٨٥ ٦٨٦ ٦٨٧ ٦٨٨ ٦٨٩ ٦٩٠ ٦٩١ ٦٩٢ ٦٩٣ ٦٩٤ ٦٩٥ ٦٩٦ ٦٩٧ ٦٩٨ ٦٩٩ ٧٠٠ ٧٠١ ٧٠٢ ٧٠٣ ٧٠٤ ٧٠٥ ٧٠٦ ٧٠٧ ٧٠٨ ٧٠٩ ٧١٠ ٧١١ ٧١٢ ٧١٣ ٧١٤ ٧١٥ ٧١٦ ٧١٧ ٧١٨ ٧١٩ ٧٢٠ ٧٢١ ٧٢٢ ٧٢٣ ٧٢٤ ٧٢٥ ٧٢٦ ٧٢٧ ٧٢٨ ٧٢٩ ٧٣٠ ٧٣١ ٧٣٢ ٧٣٣ ٧٣٤ ٧٣٥ ٧٣٦ ٧٣٧ ٧٣٨ ٧٣٩ ٧٤٠ ٧٤١ ٧٤٢ ٧٤٣ ٧٤٤ ٧٤٥ ٧٤٦ ٧٤٧ ٧٤٨ ٧٤٩ ٧٥٠ ٧٥١ ٧٥٢ ٧٥٣ ٧٥٤ ٧٥٥ ٧٥٦ ٧٥٧ ٧٥٨ ٧٥٩ ٧٦٠ ٧٦١ ٧٦٢ ٧٦٣ ٧٦٤ ٧٦٥ ٧٦٦ ٧٦٧ ٧٦٨ ٧٦٩ ٧٧٠ ٧٧١ ٧٧٢ ٧٧٣ ٧٧٤ ٧٧٥ ٧٧٦ ٧٧٧ ٧٧٨ ٧٧٩ ٧٨٠ ٧٨١ ٧٨٢ ٧٨٣ ٧٨٤ ٧٨٥ ٧٨٦ ٧٨٧ ٧٨٨ ٧٨٩ ٧٩٠ ٧٩١ ٧٩٢ ٧٩٣ ٧٩٤ ٧٩٥ ٧٩٦ ٧٩٧ ٧٩٨ ٧٩٩ ٨٠٠ ٨٠١ ٨٠٢ ٨٠٣ ٨٠٤ ٨٠٥ ٨٠٦ ٨٠٧ ٨٠٨ ٨٠٩ ٨١٠ ٨١١ ٨١٢ ٨١٣ ٨١٤ ٨١٥ ٨١٦ ٨١٧ ٨١٨ ٨١٩ ٨٢٠ ٨٢١ ٨٢٢ ٨٢٣ ٨٢٤ ٨٢٥ ٨٢٦ ٨٢٧ ٨٢٨ ٨٢٩ ٨٣٠ ٨٣١ ٨٣٢ ٨٣٣ ٨٣٤ ٨٣٥ ٨٣٦ ٨٣٧ ٨٣٨ ٨٣٩ ٨٤٠ ٨٤١ ٨٤٢ ٨٤٣ ٨٤٤ ٨٤٥ ٨٤٦ ٨٤٧ ٨٤٨ ٨٤٩ ٨٥٠ ٨٥١ ٨٥٢ ٨٥٣ ٨٥٤ ٨٥٥ ٨٥٦ ٨٥٧ ٨٥٨ ٨٥٩ ٨٦٠ ٨٦١ ٨٦٢ ٨٦٣ ٨٦٤ ٨٦٥ ٨٦٦ ٨٦٧ ٨٦٨ ٨٦٩ ٨٧٠ ٨٧١ ٨٧٢ ٨٧٣ ٨٧٤ ٨٧٥ ٨٧٦ ٨٧٧ ٨٧٨ ٨٧٩ ٨٨٠ ٨٨١ ٨٨٢ ٨٨٣ ٨٨٤ ٨٨٥ ٨٨٦ ٨٨٧ ٨٨٨ ٨٨٩ ٨٩٠ ٨٩١ ٨٩٢ ٨٩٣ ٨٩٤ ٨٩٥ ٨٩٦ ٨٩٧ ٨٩٨ ٨٩٩ ٩٠٠ ٩٠١ ٩٠٢ ٩٠٣ ٩٠٤ ٩٠٥ ٩٠٦ ٩٠٧ ٩٠٨ ٩٠٩ ٩١٠ ٩١١ ٩١٢ ٩١٣ ٩١٤ ٩١٥ ٩١٦ ٩١٧ ٩١٨ ٩١٩ ٩٢٠ ٩٢١ ٩٢٢ ٩٢٣ ٩٢٤ ٩٢٥ ٩٢٦ ٩٢٧ ٩٢٨ ٩٢٩ ٩٣٠ ٩٣١ ٩٣٢ ٩٣٣ ٩٣٤ ٩٣٥ ٩٣٦ ٩٣٧ ٩٣٨ ٩٣٩ ٩٤٠ ٩٤١ ٩٤٢ ٩٤٣ ٩٤٤ ٩٤٥ ٩٤٦ ٩٤٧ ٩٤٨ ٩٤٩ ٩٥٠ ٩٥١ ٩٥٢ ٩٥٣ ٩٥٤ ٩٥٥ ٩٥٦ ٩٥٧ ٩٥٨ ٩٥٩ ٩٦٠ ٩٦١ ٩٦٢ ٩٦٣ ٩٦٤ ٩٦٥ ٩٦٦ ٩٦٧ ٩٦٨ ٩٦٩ ٩٧٠ ٩٧١ ٩٧٢ ٩٧٣ ٩٧٤ ٩٧٥ ٩٧٦ ٩٧٧ ٩٧٨ ٩٧٩ ٩٨٠ ٩٨١ ٩٨٢ ٩٨٣ ٩٨٤ ٩٨٥ ٩٨٦ ٩٨٧ ٩٨٨ ٩٨٩ ٩٩٠ ٩٩١ ٩٩٢ ٩٩٣ ٩٩٤ ٩٩٥ ٩٩٦ ٩٩٧ ٩٩٨ ٩٩٩ ١٠٠٠ ١٠٠١ ١٠٠٢ ١٠٠٣ ١٠٠٤ ١٠٠٥ ١٠٠٦ ١٠٠٧ ١٠٠٨ ١٠٠٩ ١٠١٠ ١٠١١ ١٠١٢ ١٠١٣ ١٠١٤ ١٠١٥ ١٠١٦ ١٠١٧ ١٠١٨ ١٠١٩ ١٠٢٠ ١٠٢١ ١٠٢٢ ١٠٢٣ ١٠٢٤ ١٠٢٥ ١٠٢٦ ١٠٢٧ ١٠٢٨ ١٠٢٩ ١٠٣٠ ١٠٣١ ١٠٣٢ ١٠٣٣ ١٠٣٤ ١٠٣٥ ١٠٣٦ ١٠٣٧ ١٠٣٨ ١٠٣٩ ١٠٤٠ ١٠٤١ ١٠٤٢ ١٠٤٣ ١٠٤٤ ١٠٤٥ ١٠٤٦ ١٠٤٧ ١٠٤٨ ١٠٤٩ ١٠٥٠ ١٠٥١ ١٠٥٢ ١٠٥٣ ١٠٥٤ ١٠٥٥ ١٠٥٦ ١٠٥٧ ١٠٥٨ ١٠٥٩ ١٠٦٠ ١٠٦١ ١٠٦٢ ١٠٦٣ ١٠٦٤ ١٠٦٥ ١٠٦٦ ١٠٦٧ ١٠٦٨ ١٠٦٩ ١٠٧٠ ١٠٧١ ١٠٧٢ ١٠٧٣ ١٠٧٤ ١٠٧٥ ١٠٧٦ ١٠٧٧ ١٠٧٨ ١٠٧٩ ١٠٨٠ ١٠٨١ ١٠٨٢ ١٠٨٣ ١٠٨٤ ١٠٨٥ ١٠٨٦ ١٠٨٧ ١٠٨٨ ١٠٨٩ ١٠٩٠ ١٠٩١ ١٠٩٢ ١٠٩٣ ١٠٩٤ ١٠٩٥ ١٠٩٦ ١٠٩٧ ١٠٩٨ ١٠٩٩ ١١٠٠ ١١٠١ ١١٠٢ ١١٠٣ ١١٠٤ ١١٠٥ ١١٠٦ ١١٠٧ ١١٠٨ ١١٠٩ ١١١٠ ١١١١ ١١١٢ ١١١٣ ١١١٤ ١١١٥ ١١١٦ ١١١٧ ١١١٨ ١١١٩ ١١٢٠ ١١٢١ ١١٢٢ ١١٢٣ ١١٢٤ ١١٢٥ ١١٢٦ ١١٢٧ ١١٢٨ ١١٢٩ ١١٣٠ ١١٣١ ١١٣٢ ١١٣٣ ١١٣٤ ١١٣٥ ١١٣٦ ١١٣٧ ١١٣٨ ١١٣٩ ١١٤٠ ١١٤١ ١١٤٢ ١١٤٣ ١١٤٤ ١١٤٥ ١١٤٦ ١١٤٧ ١١٤٨ ١١٤٩ ١١٥٠ ١١٥١ ١١٥٢ ١١٥٣ ١١٥٤ ١١٥٥ ١١٥٦ ١١٥٧ ١١٥٨ ١١٥٩ ١١٦٠ ١١٦١ ١١٦٢ ١١٦٣ ١١٦٤ ١١٦٥ ١١٦٦ ١١٦٧ ١١٦٨ ١١٦٩ ١١٧٠ ١١٧١ ١١٧٢ ١١٧٣ ١١٧٤ ١١٧٥ ١١٧٦ ١١٧٧ ١١٧٨ ١١٧٩ ١١٨٠ ١١٨١ ١١٨٢ ١١٨٣ ١١٨٤ ١١٨٥ ١١٨٦ ١١٨٧ ١١٨٨ ١١٨٩ ١١٩٠ ١١٩١ ١١٩٢ ١١٩٣ ١١٩٤ ١١٩٥ ١١٩٦ ١١٩٧ ١١٩٨ ١١٩٩ ١٢٠٠ ١٢٠١ ١٢٠٢ ١٢٠٣ ١٢٠٤ ١٢٠٥ ١٢٠٦ ١٢٠٧ ١٢٠٨ ١٢٠٩ ١٢١٠ ١٢١١ ١٢١٢ ١٢١٣ ١٢١٤ ١٢١٥ ١٢١٦ ١٢١٧ ١٢١٨ ١٢١٩ ١٢٢٠ ١٢٢١ ١٢٢٢ ١٢٢٣ ١٢٢٤ ١٢٢٥ ١٢٢٦ ١٢٢٧ ١٢٢٨ ١٢٢٩ ١٢٣٠ ١٢٣١ ١٢٣٢ ١٢٣٣ ١٢٣٤ ١٢٣٥ ١٢٣٦ ١٢٣٧ ١٢٣٨ ١٢٣٩ ١٢٤٠ ١٢٤١ ١٢٤٢ ١٢٤٣ ١٢٤٤ ١٢٤٥ ١٢٤٦ ١٢٤٧ ١٢٤٨ ١٢٤٩ ١٢٥٠ ١٢٥١ ١٢٥٢ ١٢٥٣ ١٢٥٤ ١٢٥٥ ١٢٥٦ ١٢٥٧ ١٢٥٨ ١٢٥٩ ١٢٦٠ ١٢٦١ ١٢٦٢ ١٢٦٣ ١٢٦٤ ١٢٦٥ ١٢٦٦ ١٢٦٧ ١٢٦٨ ١٢٦٩ ١٢٧٠ ١٢٧١ ١٢٧٢ ١٢٧٣ ١٢٧٤ ١٢٧٥ ١٢٧٦ ١٢٧٧ ١٢٧٨ ١٢٧٩ ١٢٨٠ ١٢٨١ ١٢٨٢ ١٢٨٣ ١٢٨٤ ١٢٨٥ ١٢٨٦ ١٢٨٧ ١٢٨٨ ١٢٨٩ ١٢٩٠ ١٢٩١ ١٢٩٢ ١٢٩٣ ١٢٩٤ ١٢٩٥ ١٢٩٦ ١٢٩٧ ١٢٩٨ ١٢٩٩ ١٣٠٠ ١٣٠١ ١٣٠٢ ١٣٠٣ ١٣٠٤ ١٣٠٥ ١٣٠٦ ١٣٠٧ ١٣٠٨ ١٣٠٩ ١٣١٠ ١٣١١ ١٣١٢ ١٣١٣ ١٣١٤ ١٣١٥ ١٣١٦ ١٣١٧ ١٣١٨ ١٣١٩ ١٣٢٠ ١٣٢١ ١٣٢٢ ١٣٢٣ ١٣٢٤ ١٣٢٥ ١٣٢٦ ١٣٢٧ ١٣٢٨ ١٣٢٩ ١٣٣٠ ١٣٣١ ١٣٣٢ ١٣٣٣ ١٣٣٤ ١٣٣٥ ١٣٣٦ ١٣٣٧ ١٣٣٨ ١٣٣٩ ١٣٤٠ ١٣٤١ ١٣٤٢ ١٣٤٣ ١٣٤٤ ١٣٤٥ ١٣٤٦ ١٣٤٧ ١٣٤٨ ١٣٤٩ ١٣٥٠ ١٣٥١ ١٣٥٢ ١٣٥٣ ١٣٥٤ ١٣٥٥ ١٣٥٦ ١٣٥٧ ١٣٥٨ ١٣٥٩ ١٣٦٠ ١٣٦١ ١٣٦٢ ١٣٦٣ ١٣٦٤ ١٣٦٥ ١٣٦٦ ١٣٦٧ ١٣٦٨ ١٣٦٩ ١٣٧٠ ١٣٧١ ١٣٧٢ ١٣٧٣ ١٣٧٤ ١٣٧٥ ١٣٧٦ ١٣٧٧ ١٣٧٨ ١٣٧٩ ١٣٨٠ ١٣٨١ ١٣٨٢ ١٣٨٣ ١٣٨٤ ١٣٨٥ ١٣٨٦ ١٣٨٧ ١٣٨٨ ١٣٨٩ ١٣٩٠ ١٣٩١ ١٣٩٢ ١٣٩٣ ١٣٩٤ ١٣٩٥ ١٣٩٦ ١٣٩٧ ١٣٩٨ ١٣٩٩ ١٤٠٠ ١٤٠١ ١٤٠٢ ١٤٠٣ ١٤٠٤ ١٤٠٥ ١٤٠٦ ١٤٠٧ ١٤٠٨ ١٤٠٩ ١٤١٠ ١٤١١ ١٤١٢ ١٤١٣ ١٤١٤ ١٤١٥ ١٤١٦ ١٤١٧ ١٤١٨ ١٤١٩ ١٤٢٠ ١٤٢١ ١٤٢٢ ١٤٢٣ ١٤٢٤ ١٤٢٥ ١٤٢٦ ١٤٢٧ ١٤٢٨ ١٤٢٩ ١٤٣٠ ١٤٣١ ١٤٣٢ ١٤٣٣ ١٤٣٤ ١٤٣٥ ١٤٣٦ ١٤٣٧ ١٤٣٨ ١٤٣٩ ١٤٤٠ ١٤٤١ ١٤٤٢ ١٤٤٣ ١٤٤٤ ١٤٤٥ ١٤٤٦ ١٤٤٧ ١٤٤٨ ١٤٤٩ ١٤٥٠ ١٤٥١ ١٤٥٢ ١٤٥٣ ١٤٥٤ ١٤٥٥ ١٤٥٦ ١٤٥٧ ١٤٥٨ ١٤٥٩ ١٤٦٠ ١٤٦١ ١٤٦٢ ١٤٦٣ ١٤٦٤ ١٤٦٥ ١٤٦٦ ١٤٦٧ ١٤٦٨ ١٤٦٩ ١٤٧٠ ١٤٧١ ١٤٧٢ ١٤٧٣ ١٤٧٤ ١٤٧٥ ١٤٧٦ ١٤٧٧ ١٤٧٨ ١٤٧٩ ١٤٨٠ ١٤٨١ ١٤٨٢ ١٤٨٣ ١٤٨٤ ١٤٨٥ ١٤٨٦ ١٤٨٧ ١٤٨٨ ١٤٨٩ ١٤٩٠ ١٤٩١ ١٤٩٢ ١٤٩٣ ١٤٩٤ ١٤٩٥ ١٤٩٦ ١٤٩٧ ١٤٩٨ ١٤٩٩ ١٥٠٠ ١٥٠١ ١٥٠٢ ١٥٠٣ ١٥٠٤ ١٥٠٥ ١٥٠٦ ١٥٠٧ ١٥٠٨ ١٥٠٩ ١٥١٠ ١٥١١ ١٥١٢ ١٥١٣ ١٥١٤ ١٥١٥ ١٥١٦ ١٥١٧ ١٥١٨ ١٥١٩ ١٥٢٠ ١٥٢١ ١٥٢٢ ١٥٢٣ ١٥٢٤ ١٥٢٥ ١٥٢٦ ١٥٢٧ ١٥٢٨ ١٥٢٩ ١٥٣٠ ١٥٣١ ١٥٣٢ ١٥٣٣ ١٥٣٤ ١٥٣٥ ١٥٣٦ ١٥٣٧ ١٥٣٨ ١٥٣٩ ١٥٤٠ ١٥٤١ ١٥٤٢ ١٥٤٣ ١٥٤٤ ١٥٤٥ ١٥٤٦ ١٥٤٧ ١٥٤٨ ١٥٤٩ ١٥٥٠ ١٥٥١ ١٥٥٢ ١٥٥٣ ١٥٥٤ ١٥٥٥ ١٥٥٦ ١٥٥٧ ١٥٥٨ ١٥٥٩ ١٥٦٠ ١٥٦١ ١٥٦٢ ١٥٦٣ ١٥٦٤ ١٥٦٥ ١٥٦٦ ١٥٦٧ ١٥٦٨ ١٥٦٩ ١٥٧٠ ١٥٧١ ١٥٧٢ ١٥٧٣ ١٥٧٤ ١٥٧٥ ١٥٧٦ ١٥٧٧ ١٥٧٨ ١٥٧٩ ١٥٨٠ ١٥٨١ ١٥٨٢ ١٥٨٣ ١٥٨٤ ١٥٨٥ ١٥٨٦ ١٥٨٧ ١٥٨٨ ١٥٨٩ ١٥٩٠ ١٥٩١ ١٥٩٢ ١٥٩٣ ١٥٩٤ ١٥٩٥ ١٥٩٦ ١٥٩٧ ١٥٩٨ ١٥٩٩ ١٦٠٠ ١٦٠١ ١٦٠٢ ١٦٠٣ ١٦٠٤ ١٦٠٥ ١٦٠٦ ١٦٠٧ ١٦٠٨ ١٦٠٩ ١٦١٠ ١٦١١ ١٦١٢ ١٦١٣ ١٦١٤ ١٦١٥ ١٦١٦ ١٦١٧ ١٦١٨ ١٦١٩ ١٦٢٠ ١٦٢١ ١٦٢٢ ١٦٢٣ ١٦٢٤ ١٦٢٥ ١٦٢٦ ١٦٢٧ ١٦٢٨ ١٦٢٩ ١٦٣٠ ١٦٣١ ١٦٣٢ ١٦٣٣ ١٦٣٤ ١٦٣٥ ١٦٣٦ ١٦٣٧ ١٦٣٨ ١٦٣٩ ١٦٤٠ ١٦٤١ ١٦٤٢ ١٦٤٣ ١٦٤٤ ١٦٤٥ ١٦٤٦ ١٦٤٧ ١٦٤٨ ١٦٤٩ ١٦٥٠ ١٦٥١ ١٦٥٢ ١٦٥٣ ١٦٥٤ ١٦٥٥ ١٦٥٦ ١٦٥٧ ١٦٥٨ ١٦٥٩ ١٦٦٠ ١٦٦١ ١٦٦٢ ١٦٦٣ ١٦٦٤ ١٦٦٥ ١٦٦٦ ١٦٦٧ ١٦٦٨ ١٦٦٩ ١٦٧٠ ١٦٧١ ١٦٧٢ ١٦٧٣ ١٦٧٤ ١٦٧٥ ١٦٧٦ ١٦٧٧ ١٦٧٨ ١٦٧٩ ١٦٨٠ ١٦٨١ ١٦٨٢ ١٦٨٣ ١٦٨٤ ١٦٨٥ ١٦٨٦ ١٦٨٧ ١٦٨٨ ١٦٨٩ ١٦٩٠ ١٦٩١ ١٦٩٢ ١٦٩٣ ١٦٩٤ ١٦٩٥

هذه الكوره (١) .

والكتاب يعتبر من أهم ما صنف في الجغرافيه الانداسيه حتى الان ، سواء من حيث المادة التي ضمنها اياها مؤلفه ، وهذا بجانب دقته في التحديد وضبطه في رسم الاعلام (٢) . ومر الجدير بالذكر ، أن تقرر أن العذرى قد اتبع منها علميا ، حيث أنه بدأ مما حيث انتهى عنده احمد الرازي ، فسعى بقدر امكانه الى اضافة تفاصيل جديدة الى وصف شبه الجزيرة واذا كان الوصف الدقيق لجغرافيه الرازي انها من طراز البلدان ، فان جغرافيه العذرى تضمنت بجانب دراسه البلدان المسالك والممالك في دراسة وصفيه عامية دقيقه (٣) .

وتوفي العذرى في سنه ٧٨٤ هـ (١٠٨٠ م) ، ودفن بمقبره الخوض بالمريه وصلى عليه ابنه أنس بتقديم المعتصم بالله محمد بن معين بن صمادح (٤) .

١ / حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص ٢٩٢ .

٢ / نفس المرجع ، ص ٢٨٧ .

٣ / حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص ٢٩٠ .

٤ / ابن بشكوال : كتاب الدوله : ص ٢١ ، ص ٦٧ ، الضبي : بغية التمس ، ص ١١٧ .

أما يافوت الحموي ، فقل أنه توفي في سنة ٤٧٦ هـ وقيل ٤٧٨ هـ بيلنسيه

(مجمع اللدان ، ص ٥٠ ، ص ١١٩) ، والسكن الاربع هو ما ذكره

ابن بشكول ، (كتاب الدوله ، ص ١٠ ، ص ٦٧) .

خاتمة

ونصل في نهاية هذا البحث الى عدد من الحقائق اسفرت عنها دراستي الطويلة للمريه الاسلاميه منها : ان حركة بناء المدن في الاندلس نشطت نشاطا واضحا في العصر الاموي ، وكانت المريه احدى ثمراتها . وعلى الرغم من ان المريه مدينه اسلاميه البنيان تم بناؤها في سنة ٣١٤ هـ في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر الا انها شغلت موضعا عمرانيا قديما ، فقد استدل الباحثون من الحفريات الاثرية على ان المريه اقيمت على اسس فينيقية قديمة عرفت باسم باستولس ، والموضع القديم المذكور كان معروفا في العصر الاسلامي الاول قبل ان يشرع المسلمون في تأسيس المريه بزمان طويل ، وفيه اسس البحريون حصنا او رباطا اتخذوه مرأى ومحرسا ، فاطلق على الموضع كلمة لسم مربة بجانه ، وظلت هذه التسميه مركبة الى ان اكتشفت المدينة المحدثه بالشطر الاول من الاسم المركب بعد ان مصرها عهد الرحمن الناصر .

واذا امعنا النظر في خريطة الاندلس باحثين عن موقع المريه ، فأننا نلاحظ انها حظيت بموقع بحري ممتاز في جنوب شرق شبه جزيرة ايبيريا فهي تطل على خليج شديد الاتساع والعمق يتميز بهدوء مياهه وقلة امواجه ، كما يتميز بمصانة ومنعته ، فحول البؤرة العمرانية التي تدرج في الارتفاع نحو جبل ليهم والخندق تتناثر حصون وقلاع تزيدها حصانه ومنعه ، ولم تكن المريه حتي اوائل القرن الرابع الهجري سوى رباط للجهاد ، ولم تظهر اهميتها كميناء وقاعدة بحرية للأسطول الاندلسي الا من عام ٣٢٨ هـ ، عندما عين الخليفة الناصر أول : الى من قبله على بجانه فأخذ هذا الوالي من ميناء المريه منطقة لعملياته البحرية ، ثم فطن الخليفة الناصر الى أهمية موقعها

وما يميز به من مزايا ، فأمر ببنائها وأدار حولها سورا محفوظا من العدو بالحراس والسمار وجعلها حاضرة الأقليم المحيط بها ، وأسند ولايتها الى ولاة يقيمون في قصبتها وتضاريف اليهم بجانه الحاقا . وتمضى السنون ويكتشف الحكم المستنصر اكثر من ابيه اهمية موقع المرية بالنسبة للساحل الجنوبي الشرقى ، فيشرع في دعمها ويتخذها قاعدة بحرية تضم معظم قطع الاسطول الخلافي وذلك لمواجهة الخطر النورمانى والماطمى ، وفي عهد خلفه هشام المؤيد يواصل حاجبة محمد بن عبد الله بن ابي عامر الاعتماد بالاسطول الاندلسى ، ويستعين بهذا الاسطول في نقل قرائنه ومعداته الى الحدود الغربية للاحتفاظ بسلاطان الامويين هناك . وهكذا ظهرت اهمية قاعدة المرية البحرية ظهورا ذا خطر زمن الخلافة الاموية في الاندلس ، ظلت تحتفظ باهميتها بعد ذلك زمن دويلات الطوائف فتألفت المرية وتبوأ المركز الاول بين قواعد الاسطول الاندلسى خاصة في عهد المعتصم بن صمادح الذى وجه جل عنايته باسطوله .

ومن الناحية الاستراتيجية لعبت المرية دورا هاما ابان احداث المرحلة الاخيرة من الخلاف الاموي في الاندلس حتى استقلال بني صمادح بحكمها فقد كانت بحكم حصانتها نقطة الانطلاق العسكرى لقوى خزان العامرى وحلفائه ، وقد ازداد مركز خيران قوة يوما بعد يوم بسبب انتزاعها بها واتخاذها مركزا لنشاطة السياسى والعسكرى ، وعندئذ أصبحت ملجأ الطامعين وتناوبها المنتزعون والنوار الى ان استقر الحكم فى النهاية فى بيت صمادح برضاء اهلهما .

ولما كانت المرية قاعدة بحرية وعسكرية فى آن واحد فقد اسندت رئاستها الى قائد البحر محمد بن رماحس الذى ظل فى منصبة الى أن قضى عليه

المنصور في عام ٥٣٩٩ هـ ، وما تجدر الاشارة اليه ان المصادر الغريبة لم تمدنا بولاة الماريه منذ مقتل محمد بن رماحس حتى عام ٥٩٧٣ هـ ومع ذلك فقد تمكنت بفضل ما أورده العذري من أخبار أن اضع جدولاً لولاة الماريه من بعده حتى عام ١٠٠٠ هـ ، واستنتجت من هذا الجدول أن سياسة الخلافة الاموية انذاك كانت تقضى بان يولى المدن الواقعة في مناطق القصور قواعد عسكريون - كما بن الرماحس نفسه - نظراً لاهمية الماريه باعتبارها قاعدة للاستطول والانطلاق على البحر المتوسط واستمرت الماريه يحكمها ولا من قبل الحكومة المركزية بقرطبة الى ان سقطت الدولة العامرية ، وضعف نفوذ الخلافة الاموية مما ترتب عليه اشتعال نار الفتنة البربرية وقيام دويلات الطوائف ، وانزعج الرؤساء والقراد والولاة على اختلاف اجناسهم في سائر انحاء الاندلس ، واقتسوا خططها واستبد كل منهم بحكم ما تغلب عليه من النواحي ، وفي خضم هذا الصراع انزعج خيران العامري بالماريه - وكان من جلة فتيان المنظورين ابى عامر الصقلابية وقد نال خيران في عهد هشام المؤيد مكانة رفيعة حكته من رئاسة الصقلابية وقيادتهم والمشاركة في جملة الفحول النابيين عن الدولة - بعد ان تغلب على مدينة مرسية عام ٤٠٣ هـ واستولى على كل اقاليم كورة تدمير ، ودانت له الماريه بعد تغلبه على افلج الضقابي عام ٤٠٥ هـ ، ومن ثم اصبحت الماريه قاعدة الرئيسة فجلاب اليها امواله ، وعندها واستوزر ابا جعفر احمد بن عباس بن ابى زكريا ليعاونه في تدبير شؤنة المملكة .

ولم يفتنى ان ابرز دور خيران العامري في احداث قرطبة وكيف انه لم يدعوا على بن حمود القائم بسبته ومساندته له عسكرياً ضد الخاينه المستعين بقرطبة ، وكان من اثر هذا التحالف انتمهار علي بن حمود وتوحيده قرطبة

في عام ٤٠٧ هـ ، لكن خيران الذي كان طامعا أن يعد مولاة هشاما حيا لم يلبث أن أخصب بخيبة أمل عندما اتضح له حقيقة موت هشام فقدم على ما بذله لآل حمود من عون ، وظهر خلافه بعد أن غادر قرطبه على الفور إلى شرق الاندلس ، وعاد إلى تنصيب خليفته من أعقاب بني اميه سنة ٤٠٧ هـ لقبه بالمرتضى . وأوضحت كيف عزم خيران على فتح قرطبه بعد أن انضم اليه منذر التجيبي صاحب سرقسطه وعدد من فرسان الفرنجة ، وكيف أجمع المتحالفون على خذلان المرتضى بعد أن أشاروا عليه أولا بمهاجمة بربر غرناطة قبل سيرهم إلى قرطبه ، وقيام خيران بمكاتبة ابن زيري الصنهاجي واتفاقه معه على التدرج بالمرتضى ولما هاجم المرتضى بجيشه بربر غرناطة تخلى منذر وخيران عنه وانسجبا من المعركة فجلت به الهزيمة وأطيح بالمرتضى الذي سقط صريعا في سنة ٤٠٩ هـ ، وقد انتهت إلى أن خيران تدخل في الأحداث السياسية بقرطبه عدة مرات . ثم تعرضت العلاقات المرية في عهده مع جاراتها بشرق الاندلس وبينت كيف ان الحسد يدفع مجاهد العامري إلى الاعتداء بجيوشه وأساطيله على المرية ، فقط طمع مجاهد في أن يطرد خيران منها وأن يستولي عليها وأن يضمها إلى مناطق نفوذه لكنه باء بالفشل . كما تعرضت للعلاقات العدائية بين خيران وجيرانه البربر اصحاب غرناطة ، ولم نعثر في المصادر التي بين ايدينا ما يلقى مزيدا من الضوء على هذه العلاقات ، ومع ذلك فقد رجحت أن سياسة المصلحه كانت الهدف الاول الذي كان يوجه خيران العامري في كل تحر كانه ، مع ما تميز به ايضا من مكر ودهاء وشجاعة واقدام وحسن تدبير حتى بلغت مملكة المرية في عهده اقصى اتساع لها فقد كانت تحدها شرقا المنطقة الممتدة من الساحل الاسباني الجنوبي الشرقي ومن جهة الغرب حتى وادي آش وحدود مملكة غرناطة ومن ناحية الشمال حتى بسطه

وجيان هذا بالاضافة إلى أوريولة ومرسيه ، وهذه الانطلاقة الخارجية لم تأت
من فراغ بل انعكاسا لسياسته الخارجية الناجحة جنت ثمارها المريه فأصبحت
من اهم مدن الاندلس لما اتسم به عمره من تشييد واصلاح .
ثم أوضحت كيف أن المريه واصلت ازدهارها في عهد زهير الذي جرى
على سياسة سلته وسعى إلى اصطناع سياسة خارجية استهدفت من وراءها المحافظة
على املاكة ودعم قوته وادت به في بعض الاحيان إلى مواجهة خصومه
ومنازلتهم ، بل اضطرتة احيانا أخرى إلى أن يتغلب على حلفائه بنى حبوس
ابن ماكسن أصحاب غرناطة وقيامه بحمله على غرناطة انتهت بهزيمته ومصرعه .
وبمصرعه تفقد المريه اكبر قواعدها الشالية مدينة جيان التى دخلت فى أعمال
غرناطة ، وتنتهى فترة ولاية الصقالبة على المريه . وتبدأ منذ ذلك الحين رقعة
المملكة فى الانكماش فأخذت املاكها البعيدة تخرج من حوزتها تدريجيا ،
ويقوم بامر المريه من بعده شيخها أبو بكر الرميمى فقام بإدارة شئون المريه
وضبط الامن والنظام بها ، إلى أن كاتب أهلها عبد العزيز بن عبد الرحمن
شنجول بن أبى عامر بيلنسيه الذى قدم إلى المريه وضمها إلى أعماله فى عام
٤٢٩ هـ غير أن العلاقات بينه وبين مجاهد انعامرى سرعان ما توترت فخرج
عبد العزيز إلى بلنسيه مبادرا لاستصلاح مجاهد وولى على المريه ابنه عبد الله
فى عام ٤٣٠ هـ واستوزر له ذا الوزارتين ابا الاحوص معن بن محمد بن صمادح
فاستغل معن بن صمادح فرصة غياب المنصور وموت ابنه عبد الله ودعا لنفسه
وانتزى بالمريه فى عام ٤٣٣ هـ ، وبذلك يبدأ عهد جديد فى حكم المريه تحت
أسرة بني صمادح .

ومما لاشك فيه أنه بفضل علاقات الصداقة والموده التى جمعت بين معن
وباديس صاحب غرناطة استقامت الامور لابي الاحوص بن صمادح ودانت

لورقة وياساسة وجيائن وغيرها ، لما عرف عن معن بن صمادح من الذناء بجانب ما كان يجمع به من العلم والثقافة والادب ، فاستقرت الاحوال بالمريية ونعمت بالهدوء ، وهو لذلك يعتبر المؤسس الحقيقي لدولة بني صمادح في المريية ، فقله اقام على حكمها زهاء عشر سنوات. إلى أن توفي في عام ٤٤٣ هـ وخلفه ابنه أبو يحيى محمد الملقب بالمعتصم الذي اسندت إليه مقاليد الامور بالمريية وهو حدث لم يبلغ الرشد بعد ، مما كان له أثره العميق في ضعف الحكومة وتجزؤ النواحي على الانقسام ، وبالتالي في انكماش رقعة المملكة فقد كان من الطبيعي أن يستغل الولاء من قبله فرصة ضعفه ويثورون عليه واهم هؤلاء الثوار ابن شبيب عامل آية. على لوزقة وبفضل تحالف الاخير مع المنصور بن عبدالعزيز ابن أبي عابر صاحب بلنسية لم يتمكن المعتصم من استرجاع لورقة رغم مساندة باديس صاحب غرناطة له وإذا عرفنا أن المعتصم ايضا قد فشل في الاستيلاء على حصن من عمل تدمير رغم مساعدة حليفه باديس له ، فان دلالة ذلك هي عدم خيرة المعتصم الحربية وبالتالي انعكاس ذلك على قوة الاماره وما ترتب على ذلك من انحسار اقاليمها وانكماش رقعته والاحداث التالية خير شاهد على ذلك وأول مظاهر الوهن أن العلاقات الودية التي كانت تربط بين المريية وغرناطة لم تلبث ان انقلبت الى علاقات عدائية ، إما لان المعتصم كان انداسيا يكره البربر ويتمصب للاندلسيين او بسبب تطلع ابن صمادح الى الاستيلاء على غرناطة ذاتها وضم املاكها اليه ، او ربما بسبب الدور الذي لعبه يوسف ابن تفرالة اليهودي وزير باديس الذي اتى الى ابن صمادح بذلك حتى يخرج بقواته واستطاع الاستيلاء على بعض اراضى من اعمال غرناطة الشرقية وعلى حصن وادي آيش ، واغلبت بقوته على غرناطة ، ومع ان العلاقات بين الدولتين لم تلبث عادت الى حالتها الاولى الا ان ذلك كان لفترة وجيزة .

فموجود وفاة بديس وتولى جفيدة عبد الله بن بلقين اماره غرناطة. وقمت
مغازلات كثيرة. بينهما اعتقد ان مردها كراهية المعتصم العميقة للبربر وراضطوا
نفي بعض الاحيان إلى مهادنتهم لسياسة المصلحة وحرصا على املاكة فقط .
كذلك تعرضت للحديث عن علاقات المعتصم بالعمد بن عباد - صاحب
اشبيلية - حيث انها علاقات عدائية وان تأزم العلاقات وتوترها بين الدولتين
انتهى الى قيام المعتمد بنزق المرية ، ومع ذلك فقد استطاع المعتصم بمهاته
ان يسوى هذه الخلافات والاجتماع بالمعتمد على حدود اشبيلية والمرية وتم
الصالح بينهما .

وبوجه عام ، توجهت الى النتيجة بانه على الرغم من فشل سياسته المعتصم
المطالنجيه بحيث ادت الى انكماش رقعة مملكته ، وان المرية شهدت ازدهارا
كثيرا غنى شتى النواحي شملت الجوانب العمرانية والادبية وغيرها .
ثم اجتمعت القمم التاريخية من الرحالة بتوضيح الاسباب التي ادت الى
هجوم المرابطين مسرح الاحداث بالاندلس ، وبيئت سياسة المعتصم نحو
المرابطين وسعيه على التقرب الى اميرهم ، ثم تحدثت عن الجواز الثالث لابن
تاشفين الى الاندلس وعزمه على اسقاط ملوك الطوائف عن عروشهم توحيدا
للتجاه الاسلاميه وتجنبا للتفكك السياسى والعسكرى واهتممت بتصوير
النهاية الملائمة لبنى صمادح في المرية - قبيل فرار مع الدولة بن صمادح
الى الجزائر .

ثم بدأت دراسة الجانب الحضارى من الرسالة وتوضيات الى عرض
صورة واضحة بقدر الامكان عن تطور الحياة العمرانية في المرية منذ نشأتها حتى
دخولها في ملك دولة المرابطين وكيف ان هذا العمران الذى ظهر بادئ ذي بدء
بمجرد بقعة عمرانية صغيره الحجم لم يلبث ان اتسع بالتدريج بفضل ازدهار المدينة

واستقرار الأوضاع بها وكثرة الوافدين إليها من مختلف أنحاء الاندلس ،
 قفاض غربا وشرقا فشمّل ربض المصلى والحوض ، ثم تطرقت الى الحديث
 عن الآثار الباقية بمختلف انواعها ، وحاوات عن عرض الصوره العامة الشامله
 للمريه من خلال هذه الآثار الباقية ودور الامراء والملوك فى تمصير المريه
 وزياده عمراتها بمنشآتهم المتنوعه من قصور ومساجد وقلاع واسوار ، كما
 حاولت أن أخطط لنطاق المدينه الخارجى بأبوابها المختلفه وتطبيق ذلك كله
 على خريطه المريه الحديثه .

وبالنسبه للجانب الاقتصادى حاولت ابراز الاتماج الزراعى والصناعى
 لمملكه المريه من خلال ما اعتمدت عليه من مصادر تاريخيه وجغرافيه واهتمت
 بوجه خاص بالصناعات التى اشتهرت بها المريه واهمها على الاطلاق صناعة
 المنسوجات الحريره التى طبقت شهرتها الاق ، هذا الى صناعه التحف
 والادوات الرخاميه كالاحواض والبيلات واللوحات المنشورية الشكل
 وشواهد القبور بالمريه لتوافر الرخام الصقيلى المملوكى بها ، هذا الى جانب
 صناعات اخرى مثل صناعه استخراج الزيوت من الزيتون وصناعه الادوات
 المعدنيه والتحف المصنوعه من الزجاج .

أما التجاره فقد تحدثت عنها طويلا لاهميه لموقع الجغرافى للمريه فى التحكم
 فى طرق التجاره فى الداخل والخارج والتحكم فى تصريف ائنائض الداخلى
 للمحاصيل الزراعيه والانتاج الصناعى الاندلسى سواء الى الغرب أو الشرق ،
 الى جدارها وصفت يباب المشرق ، وكيف ترتب على هذا النشاط التجارى الكبير
 اتخاذها سوقا عالميه وعمليه كبيره ساعدت على اجتذاب الوافدين الى المريه
 واكتظاظها بالسكان .

ثم انتقلت الى ابراز الجانب الفكرى من دراسه الحضاريه بألوانه

المتعددة فأشرت الى ان سياسته ملوك المريه وحكامها كانت خيرا على النهضه الفكرية التي شملت هذه المملكة منذ ان زال ظل الخلافة الاموية حتى دخول المرابطين الاندلس ، فقد ساعد حكام المريه بعطايهم الجزيله الشعراء على انتجاعها ونظام القصائد في مديح هؤلاء الحكام وكيف تألفت العلوم والاداب في حى هؤلاء الملوك فبرز العلماء من اهل المريه الوافدين اليها في مختلف فروع المعرفة . وكان هؤلاء اعظم الاثر في دفع حركة التقدم الحضارى للمريه بوجه خاص ، وللاندلس بوجه عام في عصر الطوائف . وهكذا استكملت صورته المريه في العصر موضوع الرسالة تاريخها الخافل بالاجداث ورائها الزاخر بالاثار الادبيه والماديه على السواء .

قائمة المخطوطات والمصادر والمراجع العربية والاجنبية

المخطوطات

(١) ابن بسام (أبو الحسن علي) ، ت ٥٤٣ هـ / ١١٤٧ م ،
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، القسم الثالث ، مخطوطة بغداد.

(٢) ابن حيان (أبو مروان) : ت ٤٦٩ هـ / ١٠٧٩ م ،
المقتبس في تاريخ رجال الاندلس ، قطعه عن عهد عبد الرحمن
الناصر ميكرو فيلم رقم ٢٠٨ ، مودع بمعهد المخطوطات بجامعة
الدول العربية بالقاهرة ، عن مخطوطة الخزانة الملكية بالرباط
رقم ٨٧٠ .

(٣) النوبري (محمد بن قاسم) : (أُلنه سنة ٧٧٥ هـ / ١٣٧٥ م) ،
مخطوطة الامام بالاعلام فيما جرت به الاحكام المقضية في
وقعة الاسكندرية ، صورة شمسية محفوظة بمكتبة كلية الاداب
جامعة الاسكندرية تحت رقم ٧٣٨ م ، عن النسخة الخطية
المحفوظه بمكتبة خدابخش تحت رقم ٢٣٣٥٠ .

المصادر العربية القديمة

- ١ - ابن الأبار (أبو عبد الله محمد القضاعى) ، ت ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م .
- ١ - الحلة السراء ، تحقيق الدكتور حسين مؤنس ، الطبعة الأولى ، جزئين ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٦٣ .
- ٢ - التكملة لكتاب المصلة ، جزئين ، مطبعة الخانجي بمصر والمثنى بغداد ، ١٩٥٦ .
- ٣ - المعجم من أصحاب القاضي الامام ابى عبد الله الصدفى ، دارالكاتب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٧ .
- أبو الفدا (عماد الدين اسماعيل بن محمد) :
- ٤ - تقويم البلدان ، تحقيق دى سلان ، باريس ١٨٤٠ .
- ابن ابى زرع (ابى الحسن على بن عبد الله الفاسى) :
- ٥ - الانيس المطرب بروض القرطاس فى اخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، المطبعة الفاسيه ، ١٣٠٥ هـ .
- ابن الاثير (على بن احمد) : ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٣ م ،
- ٦ - الكامل فى التاريخ ، جزء ٧ ، ٨ ، القاهرة ١٣٥٣ هـ .
- الادريسى (الشريف أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز) ، ت حوالى ٥٤٨ هـ / ١١٥٥ م ،
- ٧ - صفة المغرب واراض السودان ومصر والاندلس ، مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق فى اختراق الافاق ، تحقيق دى غويه ودودى ، لندن ، ١٨٦٤ .
- ابن بسام (ابو الحسن على) : ت ٥٤٣ هـ / ١١٤٧ م ،

٨ - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، القسم الأول من المجلد الأول
القاهرة ١٩٣٩ .

٩ - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، القسم الأول من المجلد الثاني ،
القاهرة ١٩٤٢ .

١٠ - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، القسم الرابع من المجلد الأول ،
القاهرة ١٩٤٥ .

١١ - الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ، القسم الثاني من المجلد الأول ،
تحقيق الدكتور لطفي عبد البديع ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،
١٩٧٥ .

ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك) : ت ٥٧٨ هـ / ١١٨٣ م ،
١٢ - كتاب الصلة في تاريخ أئمة الاندلس ، جزئين - الدار المصرية
للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦ .

البكري (أبو عبيد الله بن عبد العزيز) ت ٤٨٧ هـ / ١٠٩٤ م ،
١٣ - المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، تحقيق البارون دي سلاتن ،
الطبعة الثانية ، الجزائر ١٩١١ .

ابن بلقين (الأمير عبد الله الزيري) ،
١٤ - مذكرات الأمير عبد الله ، المسماه بكتاب التبيان ، تحقيق الاستاذ
لينى بروفنسال دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٥ .

ابن جبير (أبو الحسن محمد بن أحمد) : ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م ،
١٥ - رحلة ابن جبير ، تحقيق ولیم رایت ، لندن ١٩٠٧ .
ابن حزم (أبو محمد علي) : ت ٤٥٦ هـ / ١٠٦٤ م ،

١٦ - كتب طوق الحمامة في الالف والآلاف ، تحقيق بثروف ، ليدن ،

١٩١٤ .

١٧ - نقط العروس في تواريخ الخلفاء ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف

(مجلة كلية الآداب) ، مطبعة جامعة القاهرة ، ديسمبر ١٩٥١ .

١٨ - جمهرة انساب العرب ، تحقيق الاستاذ ليلى بروفنسال ، دار

المعارف بمصر .

الحيدى (أبو عبد الله محمد بن فتوح) : ت. ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م ،

٢٩ - جذوه المقتبس في ذكر رجال الاندلس ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

الحيرى (أبو عبد الله محمد بن عبد الله) : ت. اواخر القرن التاسع الهجرى ،

٢٠ - كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار ، تحقيق الانشافى ليلى

بروفنسال ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة

١٩٣٧ .

٣١ - مواد اندلسية جديدة من الروض المعطار لصباح الدين الحيدى ،

(مجلة معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية) ، المجلد الخامس -

الجزء الأول القاهرة ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٩ م .

ابن حوقل (أبو القاسم) : ت. ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م ،

٣٢ - كتاب صورة الارض ، دار مكتبة الحياة ، بيروت .

ابن حيان (أبو مروان) : ت. ٤٩٠ هـ / ١٠٧٩ م ،

٣٣ - المقتبس في اخبار بلاد الاندلس ، قطعة نشرها الابن لمشونز لفظونيا

باريس ١٩٣٧ .

٣٤ - المقتبس في اخبار بلاد الاندلس ، قطعة نشرها الدكتور عبد المرحمن

الحجى بيروت ١٩٦٥ .

٢٥ - المقتبس في أخبار بلد الاندلس ، قطانة نشرها الدكتور مخوذ علي
مكي ، لجنة احياء التراث الاسلامي ، القاهرة . ٢٣٩٠ هـ -

١٩٧١ م .

ابن علقان (أبو النصر الفتح بن محمد) : ت ٥٣٥ هـ / ١١٣٤ م ،

٢٥٠ ت ثلاثه العقيان ، طبعة مصر ، ١٣٢٠ هـ .

ابن خرداذبة (أبو القاسم عبيد الله) : ٣٠٠ هـ / ٩١٣ م ،

٢٧ - المسالك والممالك ، تحقيق دي غويه ، بريل ١٨٨٩ ، مكتبة المثنى
بغداد .

ابن الخطيب (اسان الدين) : ت ٢٧٦ هـ / ١٢٧٤ م ،

٢٨ - أعمال الاعلام فيمن بوع قبل الاعلام من ملوك الانبلا ، (الجزء
الخاص بالاندلس) ، تحقيق الاستاذ ليني برينفسال ، الطبعة الثانية
دار الكشوف بيروت ، ١٩٥٦ .

٢٩ - أعمال الاعلام فيمن بوع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام ، (القسم
للخاص بالمغرب) ، تحقيق الدكتور احمد مختار العبادي والاستاذ
محمد ابراهيم الكتاني ، دار الكتب بالدار البيضاء المغرب ١٩٦٤ .

٣٠ - مشاهدات لسان الدين بن الخطيب في بلاد المغرب والاندلس
(مجموعة رسائله) تحقيق الدكتور احمد مختار العبادي ، مطبعة جامعة
الاسكندرية ، ٥٥٨ .

٣١ - الاحاطة في اخبار غرناطة ، تحقيق الاستاذ محمد عبد الله عنان ،
جزءان - دار المعارف بمصر ١٩٥٥ .

الخناجي (شهاب الدين) :

٣٢ - شفاء العليل فيما في كلام العرب من النسخ - ل ، الطبعة الأولى ،

مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٥ هـ

ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد) : ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م ،

٢٣ - مقدمه العلامة ابن خلدون ، المكتبة التجارية ، مصر

٢٤ - كتاب البروديوان المبتدأ والخير ، جزء ٤ ، جزء ٧ ، يولاق ١٢٨٤ هـ

ابن خلكان (أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد) : ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م ،

٣٥ - وفيات الاعيان وأنباء أبناء الرمان حقه الدكتور احسان عباس

جزء ٧ ، دار الثقافة ، بيروت لبنان .

ابن دراج القسطلی :

٣٦ - ديوان ابن دراج القسطلی ، نشر وتحقيق الدكتور محمود علي مكي

دمشق ، ١٩٦١ .

ابن سعيد المغربي (علي بن موسى) :

٣٧ - المغرب ، في حلى المغرب ، جزءان ، تحقيق الدكتور شوقي ضيف

دار المعارف القاهرة ١٩٥٣ - ١٩٥٥ .

٣٨ - كتاب الجغرافيا ، الطبعة الأولى ، تحقيق الاستاذ اسماعيل العربي

مذهورات المكتب التجاري (طباعة) النشر والتوزيع ، بيروت ، ١٩٧٠

السقطي (أبو عبد الله محمد بن أبي محمد) ،

٣٩ - كتاب اداب الحسبه ، تحقيق الاستاذ ليفي بروفنسال والاستاذ

كولان ، باريس ١٩٣١ .

السلوى الناصري (أحمد بن خالد) ، ت ١٣١٥ هـ / ١٨٩٧ م ،

٤٠ - الاستقصاء لخبار دول المغرب الاقصى ، جزء ١ ، المطبعة البهية

المصرية ، القاهرة ١٣١٢ هـ .

الضبي (أحمد بن يحيى بن أحمد) : ٥٩٩ هـ / ١٢٠٣ م .

٤١ - بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الاندلس ، دار الكاتب العربي

١٩٦٧ .

ابن عذارى (أبو عبيد الله محمد) ، كان حيا ٧١٢ هـ / ١٢١٢ م ،

٤٢ - البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب ، طبعة بيروت ، الأول

والثاني في جزئين ، دار الثقافة ، بيروت - لبنان .

٤٣ - البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب ، الجزء الثالث ، تحقيق

الاستاذ ليفي بروفنسال ، دار الثقافة ، بيروت لبنان .

٤٤ - البيان المغرب في أخبار الاندلس والمغرب ، قضاة تختص بعصر

المرابطين في المغرب والاندلس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٧ .

العذري (أبو العباس احمد بن عمر بن انس) ، المعروف بالدلائى ، ت ٧٨ هـ /

٩٨٨ م ،

٤٥ - نصوص عن الاندلس من كتاب ترصيع الاخبار وتنويع الآثار

والبستان في غرائب البلدان ، والمسالك الى جميع الممالك ، تحقيق

الدكتور عبد العزيز الالهوانى ، مدريد ، ١٩٦٥ .

العمرى (ابن فضل الله) ، ت ٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م ،

٤٦ - مسالك الابصار في ممالك الامصار ، الجزء الخاص بوصف أفريقية

والاندلس ، نشر الاستاذ حسن حسنى عبد الوهاب ، تونس .

ابن غالب (الحافظ محمد بن أيوب) :

٤٧ - قطعة من فرحة الانفس في تاريخ الاندلس ، تحقيق الدكتور لطفي

عبد البديع ، (مجلة معهد المخطوطات العربية ، جامعة الدول العربية)

المجلد الاول ، الجزء الثانى ، نوفمبر ١٩٥٥ .

ابن الفرضى (أبو الوليد ، عبد الله بن محمد بن يوسف الازدى) ، ت ٤٠٣ هـ .

١٠١٣ م ،

٤٨ - تاريخ علماء الاندلس ، نشر كوديره ، الدار المصرية للتأليف

والترجمة ، مصر ، ١٩٦٦ .

القلة شندی (أبو العباس احمد) : ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م .

٤٩ - صبح الاعشى في صناعة الانشاء جزء ٥ ، طبعه دار الكتب

المصرية ١٩١٣ - ١٩١٩ .

ابن القوطيه (أبو بكر محمد بن عمر القرطبي) :

٥٠ - تاريخ افتتاح الاندلس ، تحقيق دون خوليان ريبيرو ، مدريد ، ١٩٢٦

ابن الكردبوس (أبو مروان عبد الملك) :

٥١ - كتاب الاكتفا . في أخبار الخلفاء ، القسم الخاص بالاندلس ،

تحقيق الدكتور احمد مختار العبادي ، (معهد الدراسات الاسلاميه

بمدريد) ، ١٩٧٢ .

المراكشي (عبد الواحد) ،

٥٢ - المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق الاستاذ محمد سعيد

العرين ، لجنة إحياء التراث الاسلامي ، القاهرة ، ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م .

المقدسي (شمس الدين أبو عبد الله محمد) ،

٥٣ - احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، تحقيق دي غويه ، ليدن ، ١٩٠٦

المسعودي (أبو الحسن بن الحسين بن علي) ،

٥٤ - كتاب التنبيه والاشراف ، نشر ذي غويه ، مطبعة بريل ، ليدن ١٨٩٢

المقريزي (تقي الدين احمد بن علي بن عبد القادر بن محمد) ،

٥٥ - كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ، جزء ٢ ، طبعه

بولاق القاهرة ، ١٢٧٠ هـ .

المقري (احمد بن محمد) : ت ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م ،

٥٦ - فتح الطيب من غصن أنداس الرطيب، تحقيق الشيخ محيي الدين
عبد الحميد ، عشرة أجزاء المكتبة التجارية، القاهرة ، ١٩٤٩ .

مؤلف مجهول :

٥٧ - الحلل الموشيه في ذكر الاخبار المراكشيه والمنسوب خطأ للسان
الدين بن الخطيب ، الطبعة الأولى ، مطبعة التقدم الاسلاميه ، تونس
١٣٢٩ هـ .

٥٨ - اخبار مجموعة في فتح الاندلس ، تحقيق دون لافونتي الكتزه ،
مدريد ١٨٦٧ .

ياقوت الجوى (شهاب الدين ابى عبد الله) : ت ٦٢٩ هـ / ١٢٢٩ م ،

٥٩ - معجم البلدان ، المجلد الخامس ، دار صادر بيروت ، ١٩٥٧ .

المراجع العربية الحديثة والكتب المعربة

- ١ - ارسلان (الأمير شكيب) : الخلل السندسيه في الاخبار والاثار الاندلسيه ،
الطبعة الاولى ، مطبعة الرحمانيه ، مصر
١٣٥٥ هـ / ١٩٣٦ م .
- ٢ - امارى (ميتخايل) : المكتبة العربية العقلية ، نصوص في التاريخ
والبلدان والتراجم والمراجع ، مكتبة المتن
بيغداد ، ليبسك ، ١٨٥٧ م .
- ٣ - الاهواي (دكتور عبدالعزيز) : الفاظ مغربية من كتاب ابن هشام اللخمي في
لحن العامة (مجله معهد المخطوطات العربية) ،
المجلد الثالث ، ١٩٧٢ .
- ٤ - بالباس (توديس) : الفن المراهطي والموحدى ، ترجمه الدكتور
سيد غايى دار المعارف بمصر ١٩٧١ .
- ٥ - البرقوقى (عبدالرحمن) : حضارة العرب في اسبانيا ، مصر ، ١٣٤١ هـ /
١٩٢٣ م .
- ٦ - بروفسال (لينى) : الاسلام في المغرب والاندلس ، ترجمة
الدكتور السيد عبد العزيز سالم والاستاذ
محمد صلاح الدين حلمى القاهرة ، ١٩٥٨ .
- ٧ - بالثيا (انخل جونتالت) : تاريخ الفكر الاندلسى ، ترجمة الدكتور
حسين مؤنس الطبعة الاولى ، مكتبة النهضة
المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٥ .
- ٨ - تشركوا (كليلياسارنلى) : مجاهد العامرى قائد الاسطولى العربى في غربى
البحر المتوسط في القرن الخامس الهجرى ،

الطبعة الاولى لجنة البيان العربى ، القاهرة ،

١٩٦١ :

٩ - حسين (دكتور حسن ابراهيم) : تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى جزء ٤ ، الطبعة الاولى ، مكتبه

النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٦٨ .

١٠ - دوزى (رينهارت) : ملوك الطوائف ، ترجمة الاستاذ كامل كيلانى ، مصر ، ١٩٥١ .

١ - الدورى (عبد العزيز) : تاريخ العراق الاقتصادى فى القرن الرابع الهجرى طبعه بغداد ، ١٩٤٨ .

١٢ - دينا - (عبد) : تاريخ العرب فى اسبانيا ، مصر ١٣٣١ هـ - ١٩١٣ م .

١٣ - ديكى (جيمس) : ملاحظات عن فلاحه البساتين العربى فى الاندلس (تقرير عن نشاط معهد الدراسات الاسلامية فى مدريد خلال شهر ديسمبر ١٩٦٦) .

١٤ - زيدان (جورجى) : تاريخ التمدن الاسلامى ، مراجعة وتعليق الدكتور حسين مؤنس ، جزء ٤ ، دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٥٨

١٥ - سالم (دكتور السيد عبد العزيز) : تاريخ المسلمين واثارهم بالاندلس ، دار المعارف بيروت ، لبنان ، ١٩٦٦ .

١٦ - : تاريخ مدينة المريه الاسلامية ، قعده اسطول الاندلس ، الطبعة الاولى ، دار النهضة المصرية ،

بيروت ١٩٦٦ :

- ١٧ - سامر د كوزيسيد هيت القريز) . المغرب الكبير ، الجزء الثاني ، الدار
القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦ .
- ١٨ - ... : قرطبة لخاصرة الخلافة في الأندلس ،
جزآن و دار النهضة العربية ، بيروت ،
١٩٧١ - ١٩٧٢ .
- ١٩ - ... : التاريخ والمؤرخون ، دار الكتاب
العربي للطباعة والنشر ، ١٩٦٧ .
- ٢٠ - ... : المساجد والقصور بجلاندلس في سلطنة
أقرأ : ١٩٥٨ ، القاهرة ، ١٩٥٨ .
- ٢١ - ... : العماره الاسلاميه في الاندلس و تطوره
(علم المكنز) ، المجلد الثامن ، العدد الاول
ابريل ، مايو ، يونيو ١٩٧٥ ، الكويت .
- ٢٢ - ... : تاريخ الإسكندريه وحضارتها في العصر
الاسلامي ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ،
١٩٦٩ .
- ٢٣ - ... : مدينه مرسيه ، موطن الشيخ الزاهد
أبو العباس المرسى مطبوعات جمعية الآثار
بالاسكندرية ، ١٩٦٩ .
- ٢٤ - ... : صور من المجتمع الاندلسي في عصر
الخلافة الأموية وعصر دويلات الطوائف
من خلال النقوش المحفورة في غلميه
المتنوع .

- ٢٥ - سالم (دكتور السيد عبد العزيز): قصود بني عباد اشميلية الولود ذكرها
في شعر ابن زيدون ، بحث في ألفية ابن
زيدون ، (تحت الطبع) .
- ٢٦ - سالم (دكتور السيد عبد العزيز): والعبادي (دكتور احمد مختار)
البعرية في المغرب والاندلس ، بيروت
لبنان ، ١٩٦٩ .
- ٢٧ - سرور (محمد جمال الدين) سياسة الفاطميين الخارجية ، دلو الفكر
العربي ، ١٩٦٧ .
- ٢٨ - الشبكية (دكتور مصطفى) صور من الادب الاندلسي ، دار النهضة
العربية ، بيروت ، ١٩٧١ .
- ٢٩ - الخوفي (دكتور خالد) : تاريخ العرب في اسبانيا في نهاية الخلافة
الاموية حلب ، ١٩٦٣ .
- ٣٠ - القيسي (محمد) : الاعلام الجغرافية الاندلسية (مجلة اليه)
العدد ٣ ، ١٩٦٢ .
- ٣١ - عاشور (دكتور سعيد عبد الفتاح): اوربا في العصور الوسطى ، جزء ١ ،
القاهرة ١٩٦٩ .
- ٣٢ - عباده (عبد الفتاح) : سفن الاسطول الاسلامي وأنواعها
ومعداتنا ، مطبعة الهلال مصر ١٩٦٣ .
- ٣٣ - العبادي (دكتور احمد مختار): دراسات في تاريخ الغرب والاندلس ،
المطبعة الأولى ، الاسكندرية ١٩٦٨ .
- ٣٤ - : سياسة الفاطميين نحو المغرب والاندلس
(صحيفة المطبعة المصرية للدراسات
الاسلامية بمطبعة) ١٩٥٧ .

٣٦- الجندى (دكتور احمد مختار) : قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام
دار النهضة المصرية للطباعة والنشر ، بيروت
لبنان ، ١٩٦٩ .

٣٧- ... : الصفحات الأولى من تاريخ المرابطين
(مجلة كلية الاداب بجامعة الاسكندرية)
العدد الحادى والعشرون ، مطبعة جامعه
الاسكندرية ، ١٩٦٨ .

٣٨- ... : من التراث العربى الاسبانى نماذج لاهم
المصادر العربيه والحوليات الاسبانيه
التي تأثرت بها ، (عالم الفكر)
المجلد الثامن ، العدد الأول ١٩٧٧ ،
الكويت .

٣٩- عباس (دكتور احسان) : تاريخ الأدب الاندلسى ، عصر سيادة
قرطبة ، دار الثقافة - بيروت ، الطبعة
الأولى ١٩٦٠ .

٤٠- عبد اللبديع (دكتور لطفى) : الاسلام فى اسبانيا مكتبته النهضة العربية
١٩٥٨ .

٤١- عبد الحئيد (دكتور سعد زغلول) : الاسكندرية من الفتح العربى حتى العصر
الفاطمى ، مقال بالكتاب الذى أصدرته
محافظة اسكندرية .

٤٢- العدوى (دكتور ابراهيم) : الاساطيل العربية فى البحر المتوسط ،
القاهرة ١٩٦٣ .

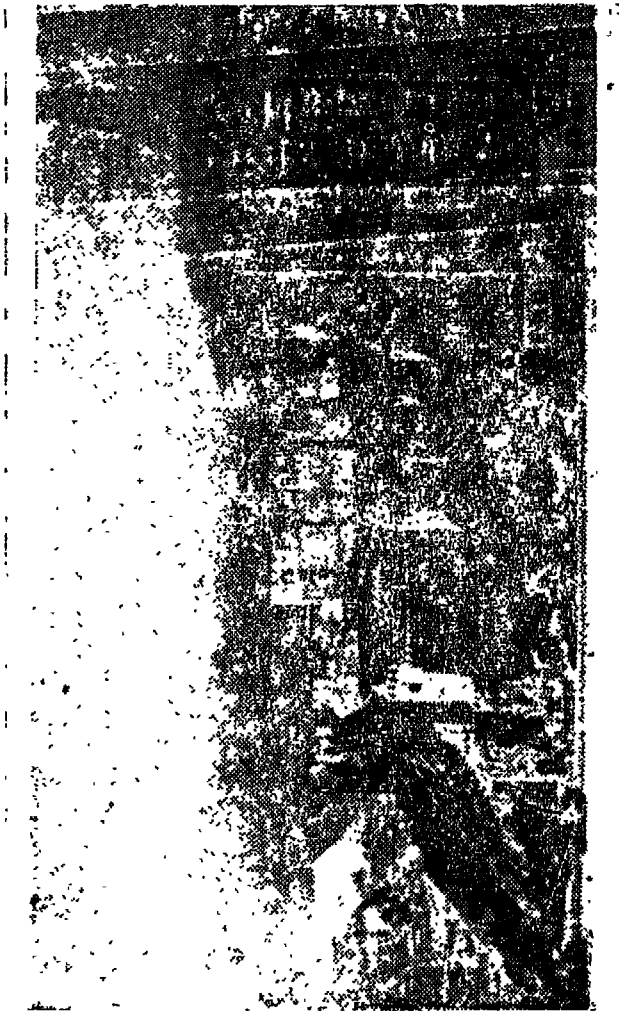
- ٤٣ - العدوى (دكتور ابراهيم) : اقريطش بين المسلمين والبيزنطيين في القرن التاسع الميلادى ، (المجلة التاريخية المصرية) ، المجلد الثالث ، العدد الثانى اكتوبر ١٩٥٠ .
- ٤٤ - عنان (محمد عبد الله) : دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المراتبى (الطبعة الأولى) ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٠ .
- ٤٥ - غرسيه غوميث (اميليو) : الشعر الاندلسى ، ترجمة الدكتور حسين مؤنس الطبعة الأولى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ١٩٥٥ .
- ٤٦ - ككونل (ارنست) : الفن الاسلامى ، ترجمة الاستاذ احمد موسى ومراجعة الاستاذ محمد ابراهيم الدسوقي ، مطبعة اطلس القاهرة ١٩٦١ .
- ٤٧ - محمود (دكتور حسن محمود) : قيام دولة المراتبين ، صفحة مشرقة فى تاريخ المغرب فى العمود الوسطى مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٧ .
- ٤٨ - مرزوق (دكتور محمد عبد العزيز) : الفن الاسلامى - تاريخه وخصائصه ، مطبعة اسعادية ، بغداد ، ١٩٦٥ .
- ٤٩ - ... : الفنون الزخرفية الاسلامية فى المغرب والاندلس دار الثقافة بيروت ، لبنان .
- ٥٠ - مورينو (جوفيت) : الفن الاسلامى فى اسبانيا ، ترجمة الدكتور

- لطفى عبد البديع والدكتور السيد هـ.د.
العزى ، مراجعة الدكتور جمال محرز دار
الكاتب العربى للطباعة والنشر ، ٨٤ ، ١٩٩٠ .
- ٥٠ - مؤنس (دكتور حسين) : فجر الاندلس ، دراسة فى تاريخ الاندلس
من الفتح الاسلامى إلى قيام الدولة الاموية
(١١٧١ - ٧٥٦ م) ، الطبعة الاولى القاهرة ١٩٥٩ .
- ٥١ - : ... : أثر ظهور الاسلام فى البحر المتوسط ،
(المجلة التاريخية المصرية) مايو ١٩٥٦ .
- ٥٢ - : ... : الجغرافيه والجغرافيين فى الاندلس (مطبعة
معهد الدراسات الاسلاميه فى مدريد) ،
المجلدان السابع ، والثامن مدريد ، ١٩٥٩ /
- ١٩٦٠ .
- ٥٣ - مؤنس (دكتور حسين) : السيد القميطور وعلاقاته بالمسلمين (المجلة
التاريخية المصرية) ، المجلد الثالث والعدد
الأول ، مايو ١٩٥٠ .
- ٥٤ - : ... : السفن الاسلاميه على حروف المعجم ،
مطابع الاهرام ١٩٧٤ .
- ٥٥ - : ... : القوى البحريه والتجاريه فى حوض البحر
المتوسط ، ترجمة الاستاذ احمد محمد عيسى
مراجعة وتقديم الاستاذ محمد شفيق غربال
مكتبة النهضة المصريه ، القاهرة ، ١٩٦٠ .

مراجع باللغة الأجنبية

- 1 - Abd Al-Karim (Gal. J. R. ...
muslim ...
Al Buldam , Homenaje a profesor Carrañizo, Sevilla
1973 .
- 2 - Pertrand (Louis) . The history of Spain, part I, London,
1934
- 3 - Dozy (R) : Histoire des Musulmans D'Espagne, 3 tomes ,
Leyde, 1932.
- 4 - ... : Recherches sur l'histoire de la litterature de
l'Espagne pendant le Moyen Age, Vol. I, Leyde, 1891.
- 5 - ... : Supplement aux dictionnaires, Paris, 1927.
- 6 - Enciclopedia de la cultura Espanola Editora Nacional, tomo
I, Madrid, 1963.
- 7 - Encyclopaedia of Islam.
- 8 - Ewert Christian) : El mihrab de la Mezquita mayor de Al-
meria, (Al-Andalus), XXXVI, 1971.
- 9 - Heyd (W) : Histoire du commerce du levant du Moyen-Age,
2 tomes, Leipzig, 1886.
- 10 - Huici Miranda (Ambrosio) : La invasion de los Almoravides
y la batalla de azlaca (Hesperis), 1933.
- 11 - Levi-Provençal (F) : L'Espagne Musulmane aux Xème siecle,
Paris, 1932.
- 12 - ... : Histoire de L'Espagne Musulmane, 3 tomes, Paris-
Leiden, 1950.
- 13 - ... : Inscription Arabes D'Espagne, 2 tomes, Leyde,
Paris, Mc MXXXI, 1931.

- 11 - ... - La description de l'Espagne d'Al-Razi,
(Al-Andalus), 1953.
- 15 - Montavez (Pedro Martínez): Islam Cristiandad en la economía mediterranea de la baja edad media, (XIII Congreso Internacional de Ciencias historicas), Moscou', 1970.
- 16 - Seco de Lucena (Luis): Los palacios del taifa almeriense Al-Mutasim en Cuadron de la Hambre), III, 1967.
- 17 - Torres Balbas (Leopoldo): Almeria Islamica, (Al-Andalus), Vol XXII, 1957.
- 18 - ... Restos de una casa Arabe en Almeria, (Al-Andalus), Vol, X, 1945.
- 19 - ... La mezquita mayor de Almeria, (Al-Andalus) Vol, XVIII, 1952.



شكل (١) قمبة المربه



شكل (٢) قصبة المريه وجانب من الاسوار التى تكتنفها



شکل (۳) بقایا أسوار لاشنکا



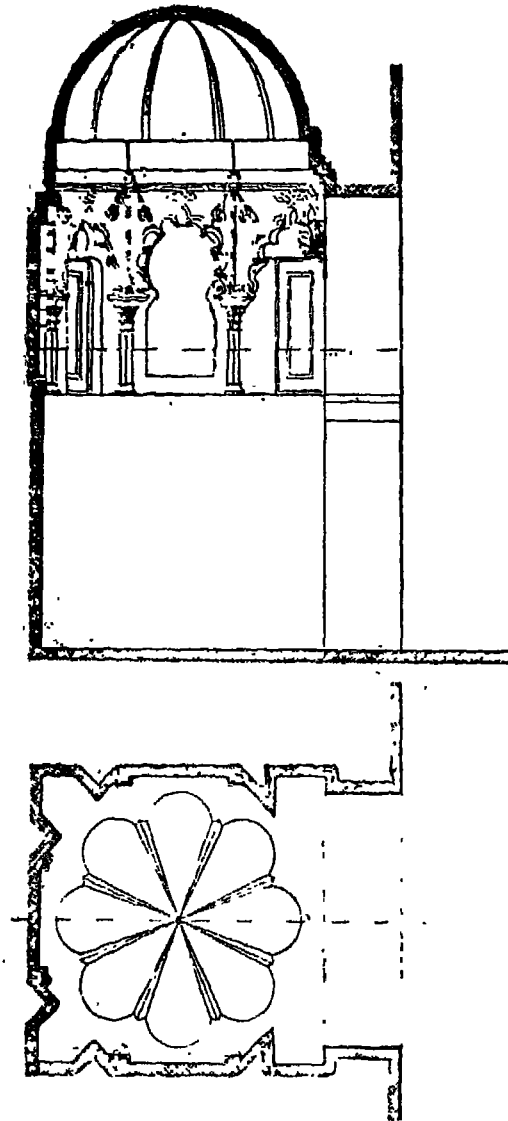
شكلي (٤) بقايا أسرار رهبين المصافي



شكل (٥) محراب جامع المريد



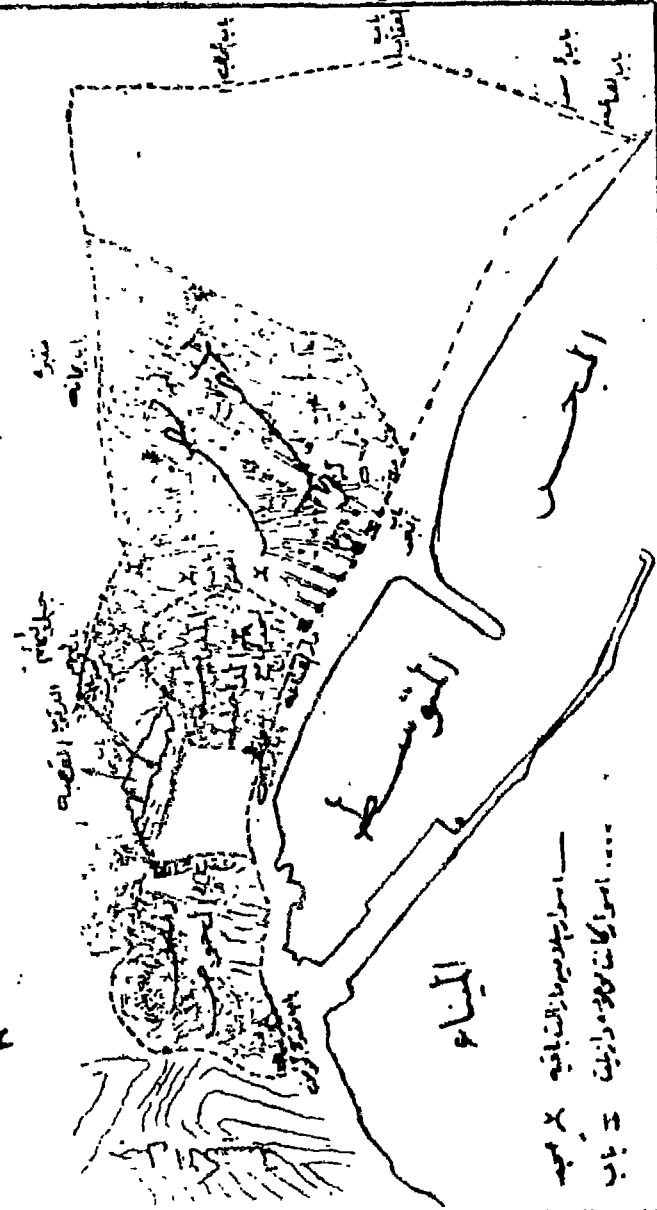
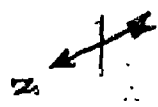
شكل (١٦) قبوة المخراب في جامع المربيه



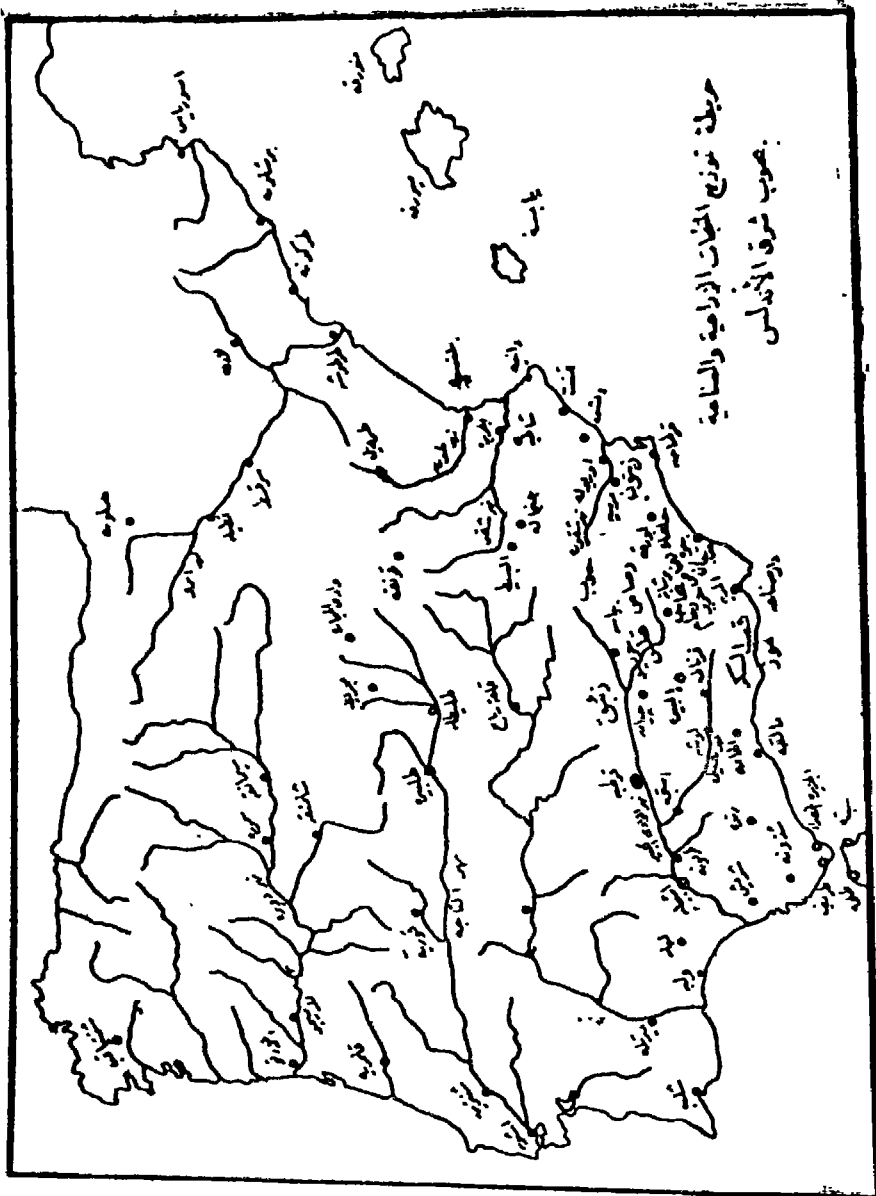
شكل (٧) قطاع لمحراب المسجد الجامع بالمريه

خطة المدينة وامتداد عمرائها في العصر الإسلامي

Plan de la Ciudad de Almeria
 من وضع قديمها الحديث الموزون في خريطة
 والطوغرافية التاريخية للمدينة



— سور المدينة والبلدانية
 ... أسوار الكائنات والبلدانية



شکل (۱۱)

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
٥ - ٦	تصدير
١ - ٢١	مقدمه
١ - ٩	أولا : موضوع البحث والدراسة
١٠ - ٢١	ثانيا : عرض لأهم مصادر البحث

الباب الأول

٢٣ - ١٦٣	التاريخ السياسي
٢٥ - ٢٦	الفصل الأول : تأسيس مدينة المريه وأهميه موقعها
٢٧	أولا : الخصائص الجغرافية لمدينة المريه
٢٧	الموقع
٢٩	المناخ
١٩	ثانيا : تأسيس مدينة بجانه وأثره في قيام المريه
	ثالثا : المريه أعظم قاعدة بحرية لأسطول الأندلس في البحر
٤٥	المعوسط
١١٨ -	الفصل الثاني : المريه في عهد خيران وزهير العامري
	أولا : النظام الإداري في المريه منذ انشائها حتى قيام دويلات
٧٧	الطوائف
٨٣	ثانيا : انتزاء خيران العامري بالمريه
٩٠	أولوية خيران

الموضوع	الصفحة
السياسة الخارجية لخيران العامري	٩٣
المربة في عهد خيران	١٠٣
ثالث : عهد زهير العامري	١٠٦
أعمال زهير في المربة	١١٥
بمعصرع زهير وتولية الشيخ أبو بكر الرميحي أمر المربة	١١٦
المربة في ظل حكم عبد العزيز عبد الرحمن تشنجوال يئلسية	١١٦

الفصل الثالث : المربة في ظل بني صمادح حتى

استيلاء المرابطين عليها	١١٩ - ١٦٣
أولا : قيام دولة بني صمادح في المربة	١١٩
أولويه بني صمادح	١١٩
أحداث الماربة في عهد المعتصم بني صمادح	١٢٣
ثانيا : ازدهار المربة في عهد المعتصم	١٣٢
ثالثا : الاوضاع السياسية في الاندلس قبل دخول المرابطين	٢٣٧
استدعاء المرابطين للجهاد في الاندلس	٢٤٦
سقوط المربة في أيدي المرينيين	

الباب الثاني

أهم المظاهر الحضارية	١٦٥ - ٢٥٣
الفصل الاول : تطور عمران مدينة المربة	١٦٧ - ١٩٩
تخطيط المربة وتطور عمرانها منذ تأسيسها حتى	
سقوطها في أيدي المرابطين	١٦٧

الموضوع	الصفحة
الآثار الباقية في مدينة المرية	١٧١
أولا : الآثار الحربية	١٧١
القعبة	١٧١
أسوار المدينة والربضين	١٧٤
أسوار المدينة القديمة	١٧٤
القطاع الشرقي	١٧٥
القطاع الغربي	١٧٨
أبواب المدينة	١٧٩
أبواب الربض الشرقي أو ربض المعلى	١٨٠
باب موسى ، باب ليهم ، باب بجانة	١٨٠
باب المري ، باب السودان ، باب دار صناعة المرية ،	
باب العقاب	١٨١
أبواب المدينة القديمة	١٨٢
باب البحر - باب الزياتين	١٨٢
أبواب الربض الغربي أو ربض الحوض	١٨٣
باب مقبرة الحوض	١٨٣
ثانيا : الآثار المدنية	١٨٣
القصر	١٨٣
قصور الصناديق	١٨٦
بقايا دار عربي بربض الحوض	١٩٠
ثالثا : الآثار الدينية	١٩٢

الموضوع	الصفحة
المسجد الجامع بالمرية	١٩٢
الاجزاء الباقية من الجامع	١٩٦
المساجد الاخرى بالمرية	١٩٨
المقابر	١٩٨
الفصل الثانى : الحياة الاقتصادية	
٢٢٨ - ٢٠١	
أولاً : الزراعة والحاصلات الزراعية للأقليم	٢٠١
ثانياً : الفنون الصناعية	٢٠٨
صناعة النسيج	٢٠٩
صناعة السفن	٢١٧
فن النحت على الرخام	٢١٩
الصناعات الاخرى	٢٢١
ثالثاً : التجارة	٢٢٢
الفصل الثالث : الحركة العلمية	
٢٥٣ - ٢٢٩	
أولاً : الحركة الادبية واللغوية	٢٢٩
الدراسات اللغوية والنحوية	٢٤٥
ثانياً : العلوم الدينية	
الحديث - القراءات - علم القرآن - التفسير	٢٤٨
ثالثاً : علم الجغرافيا	٢٤٩
خاتمة	٢٦٣ - ٢٥٥
قائمة المخطوطات والمصادر والمراجع العربية والأجنبية	٢٨١ - ٢٦٤

الموضوع	الصفحة
ملحق (١) الاشكال	
شكل (١) قصبة المرية	٢٨٣
شكل (٢) قصبة المرية وجانب من الاسوار التي تكتنفها	٢٨٤
شكل (٣) بقايا سور لاشانكا من القصبة إلى المدينة	٢٨٥
شكل (٤) بقايا أسوار ريف المصلى	٢٨٩
شكل (٥) محراب جامع المرية	٢٨٧
شكل (٦) قبوة المحراب بجامع المرية ...	٢٨٨
شكل (٧) قطاع لمحراب المسجد الجامع بالمرية	٢٨٩
ملحق (٢) : الخرائط	
شكل (٨) مملكة المرية (عصر الطوائف) ...	٢٩٠
شكل (٩) تخطيط المرية وامتداد عمرانها في العصر الاسلامي	٢٩١
شكل (١٠) تخطيط لمدينة المرية في القرن الثامن الهجري	٢٩٢
شكل (١١) خريطة توزيع المنتجات الزراعية والصناعية	
بجنوب شرقي الاندلس	٢٩٣

مطبعة مصانع الإسكندرية للكتاب
محمد محمود محمد سعيد
شارع أديب إسحق. تليفون: ٥٨٤٧٠ - ٨٠٩١٠



٣٢٥ قرشا